ديوان

محمد الصيد القيرواني

في المديح النبوي والابتهالات

تقديم وتحقيق

د. أحمد الطويلي

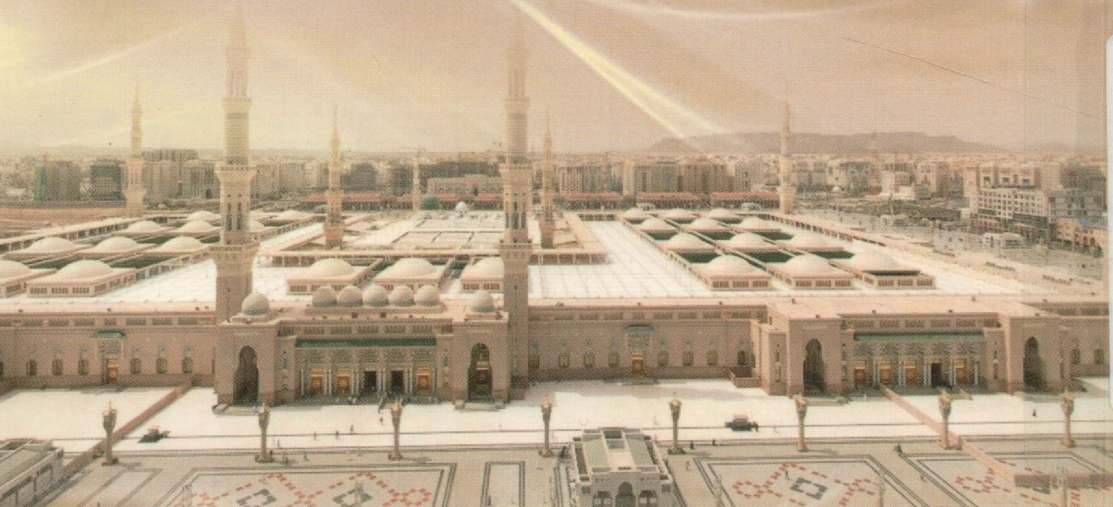

هذا الديوان عن نسخة فريدة من مكتبة الشيخ الوالد، رحمه الله، لشاعر من شعراء القيروان الفحول، وهو محمّد الصّيد الناري القيرواني، عاش في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر، توفّي سنة 1266 هـ / 50-1849م. يتضمّن الديوان قصائد دينيّة فذّة مطوّلة تلفت الانتباه لمعانيها الرقيقة، وصيغتها البليغة. وهي مدحيات للرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام تذوب رقّة، وتعجّ بمعاني التقوى والتّعلّق بحبّ النبيّ سيّد المرسلين، وأفضل الخلق كلّهم، والتشوّق إلى زيارة المقام الكريم.

ردمك: 978-9973-02-672-9

ديوان

محمد الصياد القيرواني

في المديح النبوي والابتهالات

تقديم وتحقيق
د. أحمد الطويلي

جميع الحقوق محفوظة
تونس 2011

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

مقدمة

هذا الديوان لشاعر من شعراء القيروان الفحول، وهو محمّد الصّيد المناري القيرواني، عاش في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر، توفّي سنة 1266 هـ/ 1849–50م. يتضمّن الديوان قصائد دينيّة فذّة مطوّلة تلفت الانتباه لمعانيها الرقيقة، وصيغتها البليغة، وهي مدحيات للرسول الأكرم عليه الصّلاة والسلام، ولهذا الشاعر أشعار أخرى مدحية لعلماء من القيروان ومقطوعات غزلية موزّعة في المخطوطات والكنّاشات التونسيّة.

والمطالع لهذا الديوان يجد قصائده تذوب رقّة، وتعجّ بمعاني التقوى، والتّعلّق بحبّ النبيّ سيّد المرسلين وأفضل الخلق كلّهم، والتشوّق إلى زيارة المقام الكريم، وتتعلّق بعض القصائد بمناسبات دينية مثل ختم صحيح البخاري أو المولد النبويّ الشريف أو إحياء ذكرى بعض الغزوات.

ونستشفّ من الديوان تجربة الصّيد الدينيّة، يعبّر عنها بصدق ورع، في لهجة وجدانيّة مؤثّرة مثل شكواه من الزّمان :

رجوت زماني أنْ يسُرَّ فأبكاني
وَحَاوَلته بُرْءَ الكِلاَم فأضْنَانِي

أو في قوله متوسّلا بالرسول الكريم :

ألا يا رسولَ اللّه غَوْثًا وعَطْفَةً
على ذي وِجا مُسْتَرْسَلِ الحُزْنِ حَيْرَانِ

وتصدر هذه القصائد عن تأمّل في السيرة النبوية الشريفة ومعرفة عميقة بجزئياتها وتفاصيلها، وقد درس الصّيد كتب السيرة النبوية التي كانت مخطوطاتها وافرة بالقيروان مثل سيرة ابن هشام وكتاب ابن سيّد الناس، وتبدو في هذه الأشعار نزعة صوفيّة مشبعة بالإيمان الصادق، والعشق النبوي الخالص، عبّر عنها في تفنّن وصوّر الرّسول في أكمل صورة خلْقا وخُلقا :

يقولون بدرٌ قلتُ منه ضياؤُه
وقالُوا ذُكاءَ قلْتُ منهُ اسْتُمِدَّت
عَلَى أنّه للخَلْق أعظمُ نعمَة
حَباهمْ بها المولَى وأكبرُ منْحة

يصدر هذا الديوان عن نسخة فريدة في مكتبتنا وهو أثر يدلّ على أنّ القيروان لم تخل عبر العصور من حياة أدبية راقية، ومن شعراء أفذاذ، ناهيك وأنّها بلد ابن رشيق وابن شرف وإبراهيم الحصري وعلي الحصري، وبلد الشاذلي عطاء الله والناصر الصدّام ومحمود الباجي أصحاب دواوين دينيّة صدرت، عرّفنا بها في كتابنا «شخصيات تونسيّة».

محمد الصيد القيرواني

(ت 1266 هـ/1849–1850 م)

هو أبو عبد الله محمّد بن أبي حفص عمر الصّيد المناري القيرواني، من أدباء القيروان وشعرائها الفحول في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، توفّي سنة 1266 هـ /1849–50 م، ولد بالقيروان ونشأ بها، وتعلّم بجامعها الأعظم، ودرس على مشايخه وعلمائه، ثمّ كانت له رحلة إلى تونس للتعلّم بها في شبابه، فأخذ عن علماء الزيتونة الأعلام مابه تضلّع في العلوم الشرعيّة والأدبيّة.

وقد امتاز بموهبته الشعرية الفذّة، ومقدرته الفائقة في النظم. وحين رجع إلى القيروان كلّف بتنظيم أوقاف الزاوية الصحابية والسهر عليها، فكان أوّل وكيل فيها.

وكان إلى جانب هذه الخطّة يجلس للتدريس بجامع عقبة يدرّس خاصة اللغة والبلاغة فتخرّج على يديه العديد من الأعلام نذكر منهم محمّد بن صالح عيسى الكناني صاحب كتاب «ديباجة الأعيان فيمن كان في أواسط القرن الثالث عشر بالقيروان» وهو مخطوط بدار الكتب التونسيّة رقم 18599، وكتاب «تكميل العلماء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان»[1].

وقد ترجم الكناني لشيخه في هذين الكتابين، يقول عنه في كتابه «ديباجة الأعيان» : «أبو عبد الله محمّد بن أبي حفص عمر الصيد المناري خديم الزاوية الصحابية شيخنا الذي بفنّه

(1) انظر : «تكميل الصلحاء والأعيان» نشر المكتبة العتيقة، تونس 1970، تعليق محمد العنابي.

عارف، ومبدي منه اللطائف، ودرّة وقتنا السالف، له نظم سلك فيه خير طريق، مقتفيا أثر ابن رشيق، ينظم المطوّلات ويجيد، وله فيها الباع المديد، من حسن المعاني، وتشييد المباني، ولسان حال البلاغة يقول : هذا زماني. تفرّع من أصل شامخ، وحسب باذخ، له رحلة إلى حضرة تونس في عنفوانه، وقرأ على مشايخ أهل زمانه، ورجع إلى القيروان يتوقّد ذكاء كذكاء إياس، فتأهّلتْ ربوعها منه بالاستئناس، أخذتُ عليه بعض اصطلاحات القاموس، والخزرجية وعلم البديع، وهو في الثلاثة بديع».

ثمّ يذكر الكناني أنّه صدرت منه موشّحات قد عارضه فيها الصّيد منها موشّح في مطرب بالألحان «له جمال بارع يذهل به لبّ الرائي والسامع»، وذلك في سنة 1258 هـ/1842 م، ومنها في العشق والغرام. ويسجّل هذه الموشّحات الثلاثة بمعارضاتها ويقول : «أستغفر الله العظيم من الهفوات عن خروجي برسم هذه الموشحات»، ويقول : «هذا الغرض طوي بساطه، والعمر ضاق مناطه، بذهاب زمن الصّبا، ونذير الشيب نبا».

شعر الصّيد :

يقول الكناني عن شعر الصيد في «الدّيباجة» : «إنّ هذا الشيخ له ديوان شعر كبير، وتكلّم في كلّ الأغراض كثيرا، وقصائده مطوّلات من الثلاثمائة بيت إلى ما دونها[1]، مات وتركه في المسودّات عند ابنه ولم أظفر به وإلاّ كتبت من كلامه نبذة صالحة للمرام، توفيّ رحمه الله سنة 1266 هـ /1849–50 م، وأنا تلك السنة حججت وكان أعطاني قصائد في مدح سيّد البشر ﷺ وأوصاني أن أضعها داخل التربة الشريفة فوفيت بما أوصاني ومات بعدي رحمه الله»، (أي مات بعد غيابه عن القيروان).

ننشر هذا الديوان عن نسخة فريدة في مكتبتنا، وهو الديوان الذي كان ضائعا، وسلّم منه الصّيد قصائد إلى الكناني كي يضعها في التربة الشريفة، وقد مدح الصّيد في هذا الديوان

(1) نلاحظ أن هذا الديوان الذي بين أيدينا قلّما يتجاوز بعض قصائده المائة بيت.

الرسول ﷺ، وذكر سيرته العطرة، وأخلاقه الكريمة، ومزاياه وفضائله، وحياته من يوم مولده إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، مرورا بالتغنّي بمعجزاته وغزواته والتوسّل بزوجاته وصحابته رضي الله عنهم. وتبدو في الديوان نزعة الشاعر الصوفية المتشبّعة بالإيمان الصادق، والعشق النبوي المضطرم ؛ في لغة متينة ؛ وتنويه بالأحداث التاريخية المتعلّقة بالسيرة النبوية العطرة ممّا يدلّ على اطّلاع واسع ودقيق على التاريخ الإسلامي في عهد النبوّة.

وتعجّ كثير من قصائد الديوان بالإشارات البليغة إلى عدد كبير من الصحابة الكرام ورجال الصوفية البررة وأصحاب المذاهب السنيّة. وتتميّز بجودة مطالعها، وحسن خواتمها، تأتي عفوية، صادرة عن قلب مفعم بالإيمان، فمحمّد الصّيد شاعر متضلّع في اللغة، بصير بفنّ البلاغة، متمرّس بعروض الشعر، مطّلع بعمق على مراحل التاريخ الإسلامي، أحداثه وأعلامه.

وتبلغ هذه القصائد مستوى عاليا من الشاعرية الوجدانية، وحسن الصياغة، وثراء اللغة، وخصب الخيال، وبلاغة الصور. تنطبع مطالعها في الذاكرة، وتطرب النفس مصداقا لقول ابن رشيق في «العمدة» : «حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطيّة النجاح» وقوله : «الشعر قفل أوّله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره فإنّه أوّل ما يقرع السمع، وبه يستدلّ على ما عنده من أوّل وهلة».

وتنتهي القصائد عموما بالابتهالات الحارّة إلى الله تعالى، والدعوات الخالصة الصادرة من قلب متضرّع، فالصّيد يدعو بنبرات مؤثّرة ليغيث الله القيروان بالمطر فيخلّص أرضها من جفافها وقحطها فتنتعش التربة، ويحيا الحيوان، وتشمل دعواته أهل القيروان ليلطف الله بهم ويشملهم برحمته وغفرانه.

ونستشفّ من شعر الصيد بعض العناصر الذاتية، ففيه معلومات عن حياته وعائلته مثلما في قصيدته التي يشير فيها

إلى فقره المدقع، وكثرة أبنائه ممّا يحرمه من السفر إلى البقاع المقدّسة، وأداء فريضة الحج، وزيارة الأماكن التي طالما تشوّق إليها بحرارة ووجد وحنين دافق، يقول :

[البسيط]

يهيم للشَّرْقِ مشتَاقًا فتُقعده
زُغْب صغارٌ كأفراخ الغرابيب
لم يُبق دهرهُمُ ما يستعين به
معلّمٌ عند تعليمٍ وتأديبِ

ونجده كثير الشكوى في شعره من حاله وكثرة ذنوبه ويتوسّل بالرّسول والصحابة ورجال الصوفية ليغفر الله له ذنوبه.

آثار الصّيد الشعرية :

إلى جانب الديوان الديني «وقصائد مولدية» له :

1 — ديوان «اللزوميات» قدّمه بقوله : «ممّا يتشرّف به اليراع والبنان، ويتشوّف له العقل ويروق به الجنان، ويسعد به الذراع والساعد، ويجنح اليه المباعد والمساعد، مع من لا يفي ذو لسان بواجب شكره، ولا يقدر جنان على استيفاء مناقب ذكره، أيمن الطلعة الأحمدية، وصفوة الملّة المحمّديّة، مولانا محمد ﷺ، وشرّف وكرّم، وواصل وأنعم». وهو قصائد مرتّبة على حروف المعجم.

2 — قصائد رثى بها علماء من القيروان، أورد الكناني منها في «ديباجة الأعيان» مرثيتين، الأولى في رثاء الشيخ محمّد بن أبي بكر بن محمّد الصدّام اليمني إمام الجامع الأعظم، والمفتي ورئيس مجلس الشورى بالقيروان، وهي في إثني عشر بيتا، والثانية في رثاء الشيخ محمد بن عبيد الغرياني المدرّس، وهي في أحد عشر بيتا أيضا ولنا قصيدتان مخطوطتان له في مكتبتنا في رثاء الشيخ محمّد الصدّام، الأولى في 33 بيتا والثانية في 80.

3 — قصائد ومقطوعات غزلية وموشحات : منها ثلاثة عشر نصّا بين قصيدة ومقطوعة مخطوطة، جملتها 59 بيتا في كنش رقم 18771 بدار الكتب الوطنيّة[1]، من رصيد حسن حسني عبد الوهّاب، وهو كنش صغير الحجم، في 48 ورقة، كتب حسن حسني عبد الوهاب على الصفحة الأولى ما يلي : «جلبتُ هذا المجموع الشعري من مدينة القيروان عند زيارتي إليها بمناسبة المولد الشريف من سنة 1325 هـ».

كما أنّ في كنش للشيخ الوالد رحمه الله بعض هذه المقطوعات. ويبدو أن هذه الأشعار الغزلية قد كتبها الصيد في عهد الشباب قبل أن يتوب وينقطع إلى النظم في الغرض الديني، ونلمس في هذه الأشعار شاعرية رقيقة، فقلبه يختلج شوقا إلى محبوبه، ويكتفي بزورة من حبيبه حتّى في المنام، وتصبح حياة الصيد رهينة لقاء بالمحبوب فيشتكي من الحسّاد والوشاة والعذّال، ويتعجّب كيف يلام العاشق الولهان ولا يلام المعشوق الذي يقتل بجفونه، ويعذّب بهجره وبعده، ويجيب الصّيد حسّاده بأنّه باق على هواه، وبأنّ حبّه صادق، دائم :

[الطويل]

يقولون : قد عرَّضتَ نفسكَ للهوى
وكنتَ لدينا بالهداية تُعْرفُ
فدَعْ حبّه كَيْ تَستَريحَ من العَنَا
وقول الخنا من عادل ليس يُنصف
قلتُ لهم : مـنَ أيـن ذاك أحبَّتـي
وداعي الهوى مازال بالقلب يَهْتف
لئن كلّموا بالفحش سمع عواذلي
لقد أطربوا باسم الحبيب وشنّفوا

(1) الكنش هو دفتر يسجّل فيه صاحبه ما يروق له من الفوائد والأشعار والقواعد العمليّة، ويكون صاحبه عادة من أهل العلم والأدب، فيحرص على تسجيل ما يعترضه في مطالعاته أوسماعه من أشعار رائقة، وأقوال لائقة، وإفادات مختلفة، وللشيخ الوالد رحمه الله كنانيش عديدة ذكرناها في كتابنا «أوراق قيروانيّة».

فدعني ومن أهوى ووجدي ولوعتي
وقل للأعادي لست أسلو فعنّفوا
وحقّ الهوى ما كان شوقي لريبةٍ
ولا كنتُ بين النّاس بالفُحش أُعرَف
أنادي وقد باح الغرام بلوعتي
ودمعي من البين المشتّت يُذْرف
أيامانعي طيبَ الوصال فَلَيسَ لي
فؤادٌ إذا رمت السُّلُوّ يُسْعِفُ
بِحقّك دُمْ في الودِّ واقمعْ بزورَةٍ
شياطين عذْلٍ في الملاَمَةَ أَسْرفوا

ويرى الصّيد أنّ من يخشى المعاتبة ولوعة الفراق وما يترتّب عن الحبّ من الجفاء والعناء ليس بالمحبّ الحقيقي، ولن يستطيع أن يحقّق آماله :

[الطويل]
إذا كنتَ تخشى عارَ قولِ المُعَاتِب
فإنّك بالمَرْغوب لستَ بِرَاغِب
وإنْ كنت تخشَى الشَّوْقَ فانْأ عنِ الهوى
فتأمنَ من فَتْكِ الظُّبَى والمُرَاقِب
ضَنَيْتُ ولم أدْرِ بأيِّ منيّتي
بنَبْل الجُفون أم بقوسِ الحواجب
وقال فؤادي : لا تخَفْ فتْكَ فاتِك
لأنّي صبورٌ لاقتحام النّوائب
إليكَ، لَعمري، لستُ ممّنْ إذا اتّقى
عِضَاضَ الأفاعي نامَ فوقَ العَقَارِب

وفي كنّش للشّيخ والدنا رحمه الله : قال الشيخ محمد الصّيد القيرواني :

[الطويل]
أباحَ دمِي يومَ النّوى بلحَاظه

فقلتُ : أجلْ عينُ الظّبى تَسْفكُ الدّما
فهلْ رشفةٌ من ماءِ ثغر تَجُدْ بها
تُـرَوّي حَشَا صبٍّ مُعنّى من الظّما
فقال : وأين الماءُ أبصرتَ عندنا ؟
فقلتُ : نَعَمْ إنّي أرَى عِنْـدَكُم لَمَـى

وقال أيضا :

[الوافر]

أقـولُ إلى الحبيـب وقد تَبَـدّى
من القمـرين وجهُكَ كانَ أبهَـرْ
فقـال : نعم وفيَّ خصـالُ حُسْنٍ
تَشُبُّ لظَى القلـوبِ له وتَـزْفر
فخَـالي عنبـرٌ والخـدُّ ورد
وريقـي سكّـرٌ والثغْـر جـوهر

ولا تخلو هذه الأشعار من محسّنات بديعية كالترصيع والكناية والتشبيه والجناس ومختلف الصّور البلاغية.

3 — موشحات : ضمّن الكناني كتابه «ديباجة الأعيان» نصوص ثلاثة موشحات غزلية عارضه بها الصّيد، ولم يضمّنها كتابه «تكميل الصلحاء» قائلا : «أعرضت عن ذكرها لخروجي عن الغرض وما يحدث من الشجون» ذلك لأنّ نصوصها تتنافى مع غرض كتاب «التكميل» وهو الصلاح والتقوى والفلاح، إذ خصّصه الكناني إلى صلحاء القيروان وزهّادها.

يقول الكناني في «الديباجة» : «كان صدر منّي موشّحات، وعارضني بمثلها ولا بأس بذكرها فمنها قوله في مطرب بألحانه الرائقة، بمعان من النظم فائقة، وله جمال بارع، يذهل لبّ الرائي والسّامع، وذلك في سنة 1258» ثمّ يذكر الموشّحات مع معارضات الصّيد.

وبعد أن ذكر هذه الموشحات الستّة قال : «أستغفر الله

العظيم من الهفوات، عن خروجي برسم هذه الموشّحات (...) فهذا الغرض طوي بساطه، والعمر ضاق مناطه، بذهاب زمن الصبا، ونذير الشيب نبا». يبتدئ موشّح الصّيد الأول بهذا البيت :

لحـاظُ عينيـه والحـواجبْ
مَعْ قـدّه الأهيـف الـرَّشِيقْ
لـم تسطـع شـأوَها القَـواضِبْ
والسُّمْـرُ والمُنْتَضَـى المـريق

والموشَّح الثاني بقوله :

ما في الهوى كتمان يا معشـرَ العُشّاق
كـلاّ ولا سُلْـوان مِنْ خمرة الأحْداق

عملنا في هذا الديوان :

حافظنا على ترتيب القصائد كما وردت في الديوان، وقمنا بإصلاح الكثير من الأخطاء النحوية والصرفية خاصة في الرسم، وشرحنا العديد من الكلمات الغريبة، وبيّنا بعض الوقائع التاريخية، وعرّفنا بالأعلام من الصّحابة وزوجات الرسول الكريم وغيرهم. ووضعنا عناوين للقصائد تيسيرا للرجوع إليها، وأعددنا فهرسا للأعلام والأشعار، ونختم بهذه الدعوات الخالصة التي ابتهل بها محمّد الصّيد القيرواني إلى الله عزّ وجلّ ليتفضّل علينا بالرّعاية والرضى والتّوفيق.

فيـا عـالِمَ النَّجْـوى، وإنْ خَفِـيَ الدُّعا
ويا مُجزل النّعمى، ويا واهبَ الزُّلْفى
سألنـاك بالأسْمَـى الحبيـبِ نبيّنـا
محمّدِ الهـادي الـذي بـه يُسْتشفى
تفضّـلْ علينـا بالرّعايـة والـرّضى
وكنْ كافيا من كلّ ما ساء كي نُكفى
وجُـدْ يا جميـلَ العفـو عنّـا بنعمـة
وهاطل نَيْل منك يَسْتصْحِبُ اللُّطفا
ولا تَبْلنَـــا يا ربَّنَـا لمحـــالنا

لمحلِ دهـا عَظْمَ الضليعة والعجفَـا
وكفَــر خطــايانا بــوابل رحمــة
وصيّب إحسـان يعُمُّ الـورى عَطْفا
وروِّح غــدًا أرواحَنــا في منــازلِ
بهـا الرَوْح والريحانُ والغادةُ الهيفـا
فــإنَّك مــولانا بــذاك وعَــدْتَنا
وإنَّـك يا منَّـانُ أكــرَمُ منْ وفَّـى

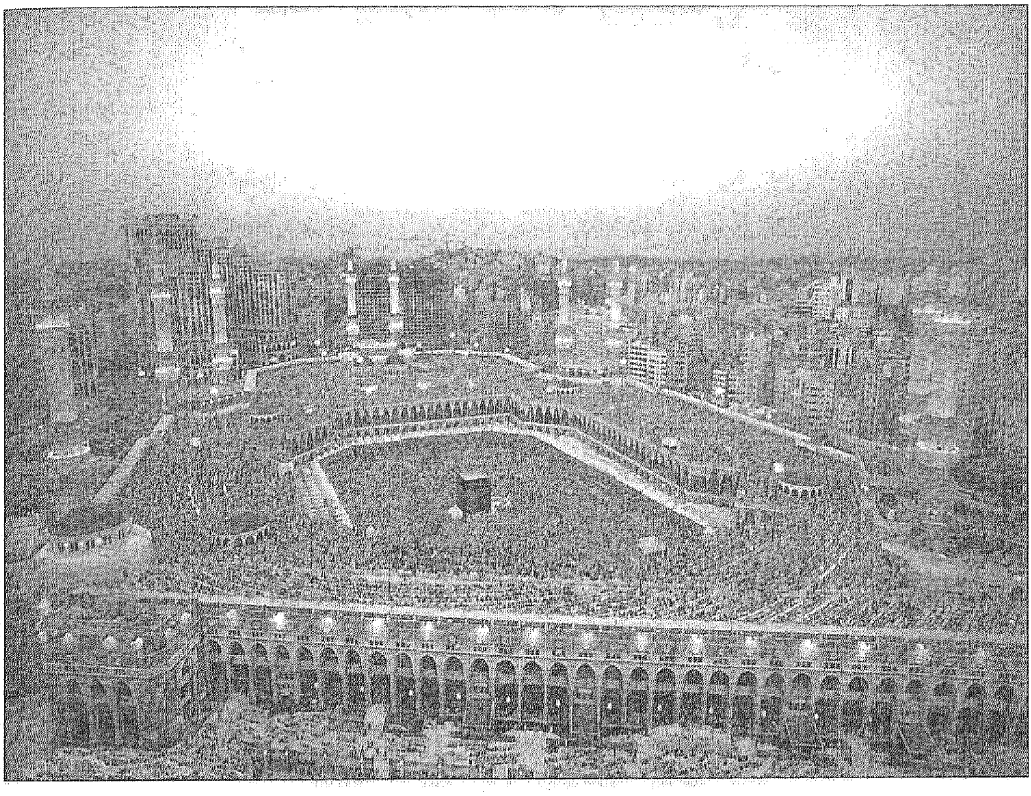

الحرم المكّي الشريف

في المديح النبوي

إنّ شعر المديح النبويّ من أصعب ما يعالج فنيّا من الأغراض لبساطة معانيه وتداولها، فهو يصدر عن الإيمان الحار المتدفّق في النفس، ويقتضي التكوّن المتين في السيرة النبويّة العطرة، والتاريخ الإسلامي عموما، والتضلّع في اللغة. وينبّهنا ابن شباط في كتابه «صلة السمط وسمة المرط» إلى أن الفحول قد يسقطون في معالجة هذا الغرض، يقول في مقدمة شرحه لتخميسه للشقراطسية : «اعلم أن نظم الشعر في التوحيد ومدح النبيّ ﷺ وفي الزهديات والمواعظ، وبالجملة في كلّ مقصود من الحقّ، من أصعب ما يحاول البليغ، وفيه تسقط الفحول، والسرّ في ذلك أنّ الشعر مبناه على التخييل والتشبيه والتمثيل».

لقد سنّ الشعراء من الصحابة المديح النبوي، ووضعوا ركائزه الفنّية بما تميّز به من تدفّق في العاطفة الدينيّة المعتمدة على الصدق والوفاء للرسول والإيمان العميق بالله ورسله وأنبيائه، وأصبح شعر المديح سلسا، ليّنا، يتّصف بالصبغة الخطابية المدافعة عن الدين الجديد بعد أن كان المديح في الجاهليّة معقّدا، ملتوي الأسلوب.

وكان حسّان بن ثابت أوّل من نظم المعاني الإسلاميّة الجديدة شعرا، ودعا إليها بحماس وحمية إسلاميّة، فجاء شعره من ناحية السبك والمعاني والتسلسل المنطقي والاحتجاج العقلي بليغا جدّا آزر به الإسلام في دعوته، وأصبح هذا المديح المنوال الذي نسج عليه الشعراء من بعده في باب المديح النبوي.

* * *

كان حسّان بن ثابت رضي الله عنه من الشعراء الصحابة الذين كانوا يمدحون النبيّ وينافحون عنه ويمجّدونه ويشيدون بخصاله وأخلاقه العليا، وهو الأنصاري الخزرجي، فكان ينقض هجاء من هجا الرّسول من الشعراء ويعارضهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام، ويعيّرهم بالمثالب. وكان الرسول يقول له : اذهب إلى أبي بكر فليحدّثك حديث القوم وأيّامهم وأحسابهم ثمّ اهجم وجبريل معك. وفي رواية أخرى : وروح القدس لا يزال يؤيّدك.

وكان ﷺ ينصب له منبرا في المسجد يقوم عليه ينافح عنه ويقول له : أجب عن رسول الله، اللّهم أيّده بروح القدس. وفي رواية :اهج وهاج وجبريل معك.

وفي رواية أخرى إنّ روح القدس معك ما هاجيتهم، وفي رواية جبريل معك. وفي رواية : إن الله يؤيّد حسّان بروح القدس ما نافح عن رسول الله ﷺ.

وقال حسّان للرسول حين دعاه لهجو قريش : لأسلّك منهم سلّ الشعرة من العجين، ولي مقول ما أحبّ أنّ لي به مقول أحد من العرب وإنّه ليفري ما لا تفري الحربة.

ثم أخرج لسانه فضرب به أنفه كأنّه لسان شجاع (أي حيّة بطرفها شامة سوداء). ثمّ ضرب به ذقنه وقال : لأفرينّهم فري الأديم، فقال النبي : اهجهم كأنّك ترضخهم بالنبل فهجاهم. فقال الرسول : لقد شفيت يا حسّان وأشفيت.

وقال الرسول عن حسّان : ذاك حاجز بيننا وبين المنافقين، لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق.

وطلب حسّان الإذن من الرسول ليردّ على بعض الشعراء ممّن هجوه، فقال الرسول : فكيف وهو منّي ؟ فقال : والله لأسلّنّك منه كما تسلّ الشعرة من العجين.

فقال الرسول : يا حسّان فأْت أبا بكر، فإنّه أعلم بأنساب العرب منك، فأتاه فقال له : كفّ عن فلانة واذكر فلانة.

قال حسّان يخاطب أبا سفيان :

هجـوتَ محمّـدا فـأجبتُ عنْـه
وعنـــدَ الله فِـي ذاك الجَـــزَاءُ

أتهجـــوه ولســتَ لـه بكـفء
فشـــرُّكما لخيـــركمَا الفـــدَاءُ
... فـإنّ أبـي ووالـده وعـرْضي
لعـرض محمّـــد منكم وقـــاءُ
... لسـاني صـارمٌ لا عَيـبَ فيـه
وبحـــري لا تكـــدّرُه الـــدِّلاءُ

روى أحد الصحّابة قال : كنّا يوما عند النبي ﷺ فقال لحسّان : أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية فإنّ الله قد وضع عنّا آثامها في شعرها فأنشده قصيدة للأعشى مجابها علقمة العامري :

علقـــمُ، ما أنـــتَ إلى عـــامر
النـــاقض الأوتـــارَ والـــواتر

فقال النبيّ : يا حسّان لا تعدْ تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا. فقال : يا رسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر ؟ فقال النبي : يا حسّان، أشكرُ النّاس للناس أشكرهم لله، وإنّ قيصر سأل أبا سفيان عنّي فتناول منّي، وأنّه سأل هذا (يعني علقمة العامري) فأحسن القول.

وقالت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها عن حسّان رغم أنّه كان من أصحاب حديث الإفك : كان يجيب عن رسول الله ﷺ ويشفي صدره من أعدائه، وقد عمي وإنّي لأرجو أن لا يعذّب في الآخرة.

واستشهدت عائشة بشعر حسّان بن ثابت في الرسول حين تحدّثت عن زوجها محمّد ﷺ فقالت : كان والله كما قال فيه شاعره حسّان:

متى يبدُ في الليل البهيم جبينه
يلحْ مثل مصباح الدُّجَى المتوقّد

ومن مديح حسّان للرسول هذه الأبيات، ذات المَعاني الجديدة في الشعر العربي إذاك، والصّور الموحية، والكلمات التي صارت لها دلالات دينيّة محدثة في الأدب العربي :

أغـــرُّ، عليـــه للنبـــوّة خـــاتَمٌ
مـن الله منَ نـــور يلوح ويُشهـــدُ
وضـم الإلـه اسمَ النبـيّ إلى اسمـه

إذا قال في الخمس المؤذّنُ : أشهدُ
وشقَّ لهُ من اسْمه ليُجلّه
فذو العرش مَحمودٌ وهذا مُحمَّدُ
نبيٌّ أتانا بعد يأس وفَترة
من الرُّسْل والأوثانُ في الأرض تُعبدُ
فأمْسى سراجا مستنيرا وهاديا
يلوحُ كما لاح الصقيلُ المهنَّدُ

* * *

ومن شعراء المديح النبوي كعب بن زهير وهو ابن الشاعر زهير بن أبي سُلمى، وكعب هو صاحب قصيدة «البردة» الشهيرة في المديح النّبوي، وهي لاميّة في 58 بيتا مطلعها غزلي وهو :

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ
متَيّمٌ إثْرها لم يُفدَ مكبولُ
وَمَا سُعادُ غداةَ البينِ إذ رَحَلوا
إلاّ أغنُّ، غضيضُ الطرف مكْحولُ
تجلو عوارضَ ذي ظلْمٍ إذا ابتسَمت
كأنّه مُنهَلٌ بالرَّاح معلولُ

ثمّ يتخَلّص كعب إلى وصف النّاقَة :

أمستْ سُعادُ بأرض لا يبلّغُها
إلا العتاقُ النجّيباتُ المراسيلُ

وينتقل من البيتَ الحادي والخمسين إلى غرض المديح النبوي، مدافعا عن نفسه بعد أن أهدر الرسول دمه، فجاء إليه تائبا خاشعا، مستنيبا، فأمّنه واستمع إلى قصيدته في مسجد المدينة في السنة التاسعة للهجرة. ومن شدّة ما راقته القصيدة خلع عليه بردته، وألقاها على كتفيه.

وقد بذل معاوية بن أبي سفيان في البردة عشرة آلاف درهم لكنّ كعب قال : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ .

ولمّا تُوفّي كعبُ بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا وأخذها منهم. وظلّت البردةُ في ورثته، يلبسها الخلفاء في الأعياد، وقد

حُفظت ونقلت إلى مصر ثمّ انتقلت إلى الآستَّانَة، وهي اليوم في متحف تُوبكابي Topkapi بإسطنبول مع عددَ من آثار النبي ﷺ، وفي لوحة في الواجهة كتب : يُرْجَى من السّياح أن يقفوا أمام هذه الآثار بكلّ أدب واحترام وخشوع.

وقد جَازَى الرسول عليه الصّلاة والسّلام كعب بن زهير على قصيدته بالإضافة إلي بُرْدَته الشريفة مائة رأس من الإبل كما يُذْكرُ في السيرة النبوية. ويروي كعب نفسه كيف جاء إلى الرسول تائبا معلنا إسلامه يقول : توجّهت إلى الرسول صلوات الله عليه فأنخت راحلتي على باب المسجد، ودخلت المسجد، ودنوت من النبي فقُلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدا رسول الله، الأمان يا رسول الله !

قال : من أنت ؟

قلت : كعبُ بن زهير

قال : الذي يقول ما يقول !

ثمّ أقبل على أبي بكر رضي الله عنه فاستنشده الشعر فأنشده أبو بكر الأبيات التي قالها كعب يلوم أخاه بجير على اعتناقه الإسلام، فعقّب كعب عليها بأنّه لم يقلها بتلك الصورة وإنّما قال :

سقـــاك أبو بَكـــر بكـــأس رَويَّـــــة
وأنْهَلـك المـــأمونُ منهـــا وعَلّكـــا

فقال الرّسول : مأمون والله.

فأنشده إذاك بُردته :

بـــانت سعـــادُ فقلبـــي اليـــوم متبـــولُ
متيَّـــمٌ إثْـــرها لـــمْ يُفْـــدَ مكبـــولُ

وقد شرح البردة عدد هام من اللغويين والأدباء، نذكر منهم ابن هشام وابن الأنباري وثعلبا وابن دريد والسيوطي والتبريزي والهروي وخالد الأزهري ومحمد بن مرزوق التلمساني وعبد القادر البغدادي، يقارب عددهم السبعين[1]

وخمست قصيدة البردة وشطّرت وعورضت مما يدلّ على عناية الأدباء والشعراء بها. بالإضافة إلى الاعتقاد بأنّها مباركة،

---

(1) انظر القائمة في كتاب : شرح الأنباري لقصيدة البردة، تحقيق محمود حسن زيني، تهامة 1980.

تجلب الثواب والبركة لقارئها.

يقول كعب بن زهير في هذه القصيدة :

أنبئتُ أنّ رسـول الله أوْعَـدَني
والـوعْد عندَ رسـول الله مأمـولُ
مهلا، هـداك الـذي أعطاك نَافلـةَ الـ
ـقـرآن فيـه مَـواعيظٌ وتفصيـلُ
لا تَأْخُـذَنّي بأقـوال الـوُشَاة ولـم
أذْنبْ وإنْ كثُـرتْ فـيَّ الأقـاويلُ
...مـازلْتُ أقتطـعُ البيداءَ مُـدّرعا
جُنْح الظّلام، وثـوبُ الليل مسْـدولُ
حتّـى وضعـتُ يَميَنـي لا أنَـازعُها
في كـفِّ ذي نَقمَـات قيلُـه القيـلُ
...إنَّ الرَّسُولَ لسَيْـفٌ يُسْتضَاء بـه
مُهنَّـدٌ مِنْ سُيُـوفِ الله مَسْلُـولُ

«لقد قدم كعب بن زهير متنكرا حين بلغه أن الرّسول صلوات الله عليه أوعده فأتى أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فلمّا صلّى الصبح أتاه به وهو متلثّم بعمامته فقال : يا رسول الله ؛ رجل يبايعك على الإسلام، وبسط يده فحسر عن وجهه فقال : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، هذا مقام العائذ بك، أنا كعب بن زهير. فتجمّمته الأبصار، وغلظت له لما كان ذكره النبي ﷺ وقد أهدر دمه لأبيات قالها حين أسلمَ أخاه فأنشده كعب الرّسول هذه القصيدة»[1].

وكان الرسول ﷺ يرتاح للشعر، وكان يقول للنابغة الجعدي حين يمدحه : أجدت لا يفضّض الله فاك ! وكان بعض الصحّابة يتناشدون والنبيّ جالس بينهم يتبسّم.

* * *

ومن المدائح النّبوية «الهمزية» التي نَظَمَها الإمامُ البوصيري

(1) نفسه : المقدّمة.

أوّلها :

كيفَ تَـــرْقَى رُقيَّـــكَ الأنْبيَـــاءُ
يَـا سمـــاءً مـا طَـــاوَلَتْهَا سَمَـــاءُ

وهي قصيدة تتلى في موالد الرسول وتتضمّن سيرة تمجيدية للنبيّ الكريم، رواها البوصيري بقلب فائض بالإيمان، وفكر مُطّلع على دقائق حياة محمّد ﷺ كانَ «البوصيري «مُخْلِصًا فيما نظم، يصدر عن حبٍّ صادق، وقلب خاشع مُنيب، محبٍّ إلى أبعد الحدود، يَوَدّ القرب ويَحوم كالفراش حول ابتهاج النّور»[1].

تنفذُ هذه القصيدة مباشرة إلى القلب بألفاظها الرائقة، وعباراتها الموحية، وصورها البديعة، ومعانيها الفائقة، فهي قصيدة مشرقة بالسَّناء والأضواء ومصابيح النور والهدى، مفعمة بكلمات الهناء والشّفاءَ والوفاء والإباء..

وهي تنطق بنداءات إلى توخّي طريق الحقّ الواضح والنّور البهيج والهداية السماوية ودنيا الضياء الوهّاج.

قصيدة تصوّر مواقف الرّسول عليه الصلاة والسلام، وكيف بهَرَ النُّور الإلاهي عالم الهداية النّبوية، ففاض على العالم.

وللإمام شرف الدين البوصيري قصيدة أخرى لا تقصر عن الهمزية وهي القصيدة الميمية المشهورة باسم «البُردة» أو «البُرأة» التي عارضها أحمد شوقي بقصيدة :

رِيمٌ على القَـاعِ بَيْن البَـان والعَلَم
أحلّ سَفْـكَ دَمي في الأشهُـرِ الحُـرُم
يالائِمـي في هَـواهُ والهَـوَى قَـدَرٌ
لَوْ شفَّك الوَجْدُ لم تعْذلْ ولم تَلُم

وتبتدئ البردة البوصيرية هكذا :

أمِـنْ تَـذَكُّرِ جيـرانٍ بـذي سَلَـم
مَـزَجْتَ دمعًـا جـرى من مُقلةٍ بِـدَم
أمْ هَبَّـتِ الـرّيحُ من تِلقـاءِ كاظمـةٍ

(1) ديوان البوصيري، شرح عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، د.ت. ص 25. والفقرة للدكتور سعد ظلام.

وأوْمَض البرقُ في الظلماء من إضَمِ
فما لعينيك إنْ قلتَ آكففَا هَمَتَا
وما لقَلبِكَ إنْ قُلتَ استفِقْ يَهِم

يحدّثنا البوصيري عن ظروف نظمه «البُردة» فيقول : «كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ﷺ، ثمّ اتّفق بعد ذلك أنّه أصابني فالجٌ أبطَل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البُردة فعملتها واستشفعت بها إلى الله، عزّ وجلّ، في أنْ يعافيَني، وكرَّرتُ إنشادَها، وبكيت وتوسّلت به، ونمت فرأيت النبيّ ﷺ فمسح وجهي بيده الكريمة، وألقى عليّ بردة، فآنتبهت ووجدتُ فيَّ نهضة، فخرجتُ من بيتي ولم أكن أعلمت بذلك أحدا، حتّى لقيني بعض الفُقراء (أي المتصوّفة)، فقال : أريدُ أن تعطيني القصيدة التي مدحتَ بها رسول الله ﷺ فقلتُ : أيُّها ؟

فقال : التي انشأتها في مرضك، وذكر أوّلها وقال : والله لقد سمعناها البارحة وهي تُنشد بين يدي رسول الله ﷺ ورأيتُه ﷺ يتمايل، وأعجبتْه وألقى على من أنشدها بُرْدَة، فأعطيته إيَّاها، وذكر الفقير ذلك فشاع المنام إلى أن اتَّصل بالصَّاحب بَهاء الدّين بن حَنَا وزير الملك الظاهر بَيْبَرَسْ فبعث إليَّ واستنسخها، ونَذر أن لا يسمعها إلَا قائما حافيا مكشوف الرأس، وكان يُحبُّ سماعها هو وأهل بيته، ثمّ بعد ذلك أدرك سَعدَ الدِّين الفَارقاني المَوقِّع رمدٌ، أشرف منه على العمى، فرأى في المَنام قائلا يقول له : إذهب إلى الصّاحب وخذ البردة واجعلها على عينيك تعافى بإذن الله تعالى وذكر منامه.

فقال الصّاحبُ : ما عندي من أثر النَّبي ﷺ شيءٌ يقال له البردة ثمّ قال : لعَلَّ المرادَ قصيدةُ البوصيري : يا ياقوت، قل للخادم يفتتح صندوق الآثار ويخرج القصيدة من حُقِّ العنبر، ويأت بها، فأخذَها ووضعها على عينيه فعُوفيتا، ومن ثمّ سُمِّيَتْ البُردة»[1].

كان البوصيري وهو يكتب سيرة الرسول ﷺ شعرا في قصائد عديدة خاصة منها الهمزية والبُردة يَسْتلهم حياة محمّد «وما فيها من مواقف الإيمان والخشوع للذّات العلية، ومعاني

(1) مقدمة ديوان البوصيري : ص 27—28.
(2) نفسه : ص 25.

القوة الرّوحية وعظمة النّفس المُفْعمَة بنور الألوهية»[2].

وقد ارتقى البُوصيري بقصيدة المَدْح النبوي إلى أعلى مراتبها من الجَلال والبَراعة وعمق المشاعر ممّا جعله يتربّع على قمّة المديح النبوي لا من حيث الكمّ وحده بل أيضا من حيث الكيف[1].

يرجع نسَب البُوصيري إلى بلاد المغرب، فهو من قبيلة صنهاجة، واسمه الكامل محمد بن سعيد بن حمّاد الحَيْنوني الصنهاجي، ولد سنة 608 هـ/1211 م وتوفّي سنة 696 هـ/1296 م، قال يفتخر بأصله المغربي، وهو دوما يميل إلى المغاربة ويؤثرهم بحبّه :

فقل لَنَا من ذا الأديبُ الذي
زادَ به حُبّي وَوَسْوَاسي ؟
إنْ كَانَ مثلي مَغربيًّا فما
في صُحْبَة الأجْنَاسَ منْ باس[2]

وللإمام البوصيري قصيدةٌ لامية عارَض بها بُرْدَة كعب بن زهير التي أوّلها :

بانتْ سُعَادُ فقلبي اليومَ متبولُ
متيَّمٌ إثْرَها لَمْ يُفْدَ مكبولُ

واسمها «ذُخْرُ المَعَاد» وهي في 210 أبيات. أوّلها :

إلى مَتَى أنتَ باللذات مشْغُولُ
وأنتَ عَنْ كلّ ما قدَّمْتَ مَسْؤول
في كلّ يوم تُرَجّي أنْ تَتُوبَ غَدًا
وعَقْدُ عزمك بالتَّسْويف محلُول

وهي قصيدة في السِّيرة النبوية الشريفة أيضا، وتمجيد أعمال الرسول وأخلاقه ومواقفه ومعجزاته وغزواته، يقول فيها :

حَسْبي إذَا ما مَنَحَتُ المصطفى مدَحي
في الحشْر تزكيّةً منه وتعديلُ
مَدْحٌ به ثَقُلتْ ميزانُ قائله

(1) ديوان البوصيري : ص 23.

(2) نفسه : ص 155 وانظر عن البوصيري كتابنا : الضوء المبين في التعريف بأولياء تونس الصالحين، تونس 2004.

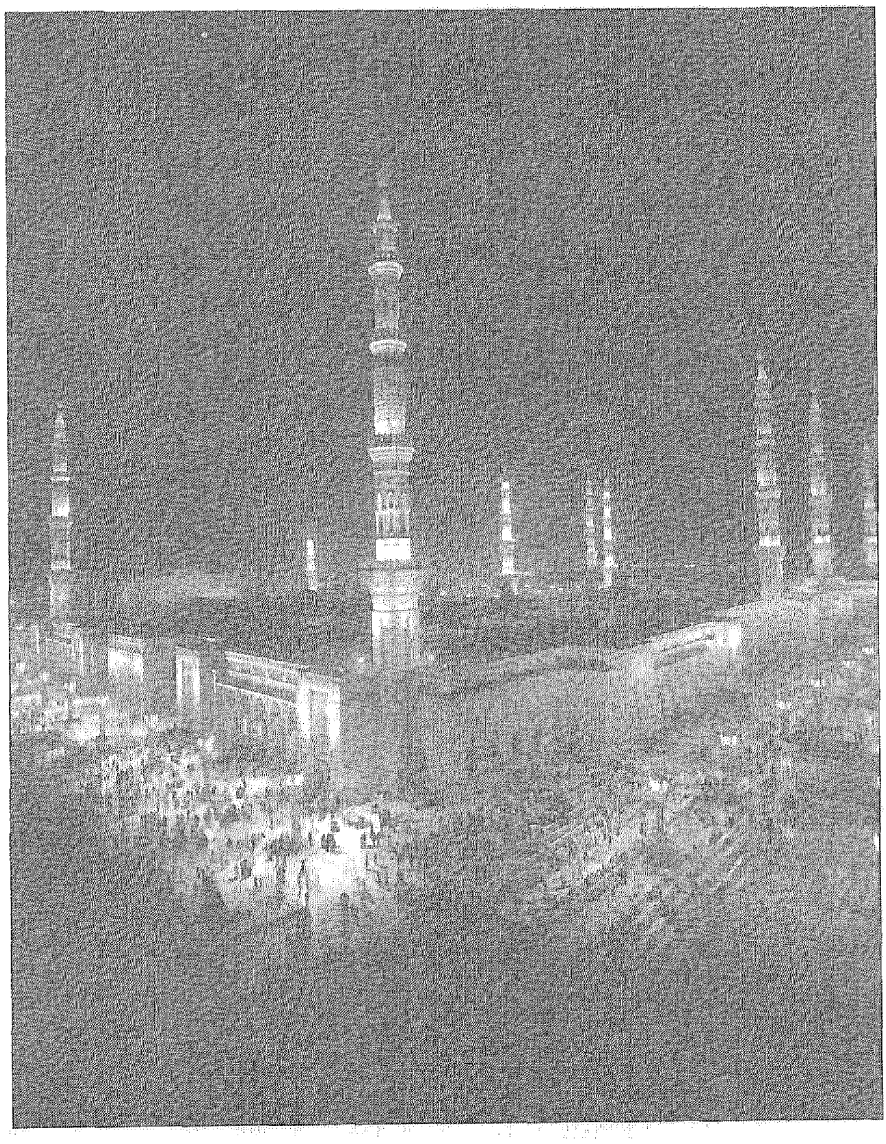

المسجد النبوي الشريف

دِيوَانُ

محمد الصيد القيرواني

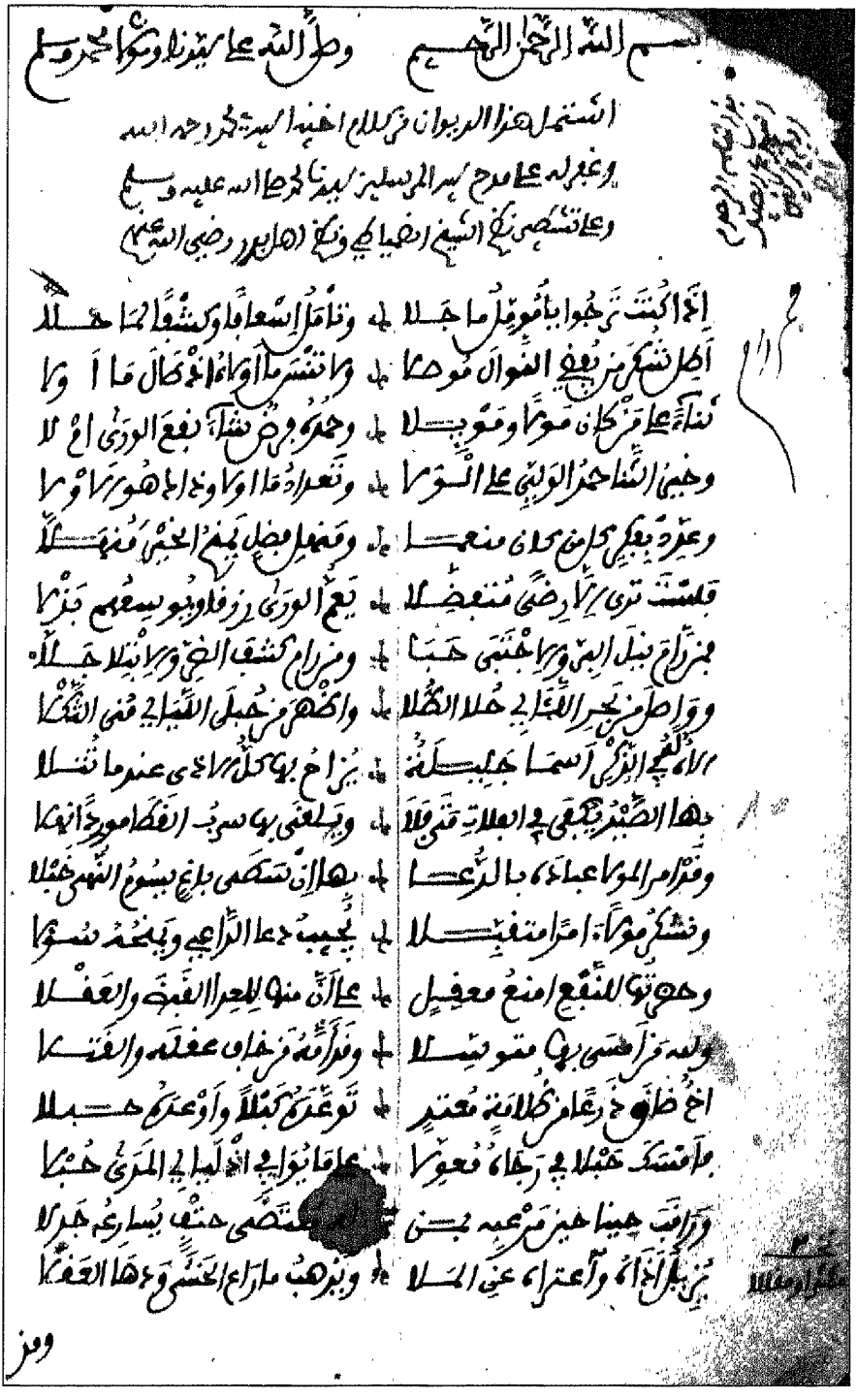

الصفحة الأولى من الديوان

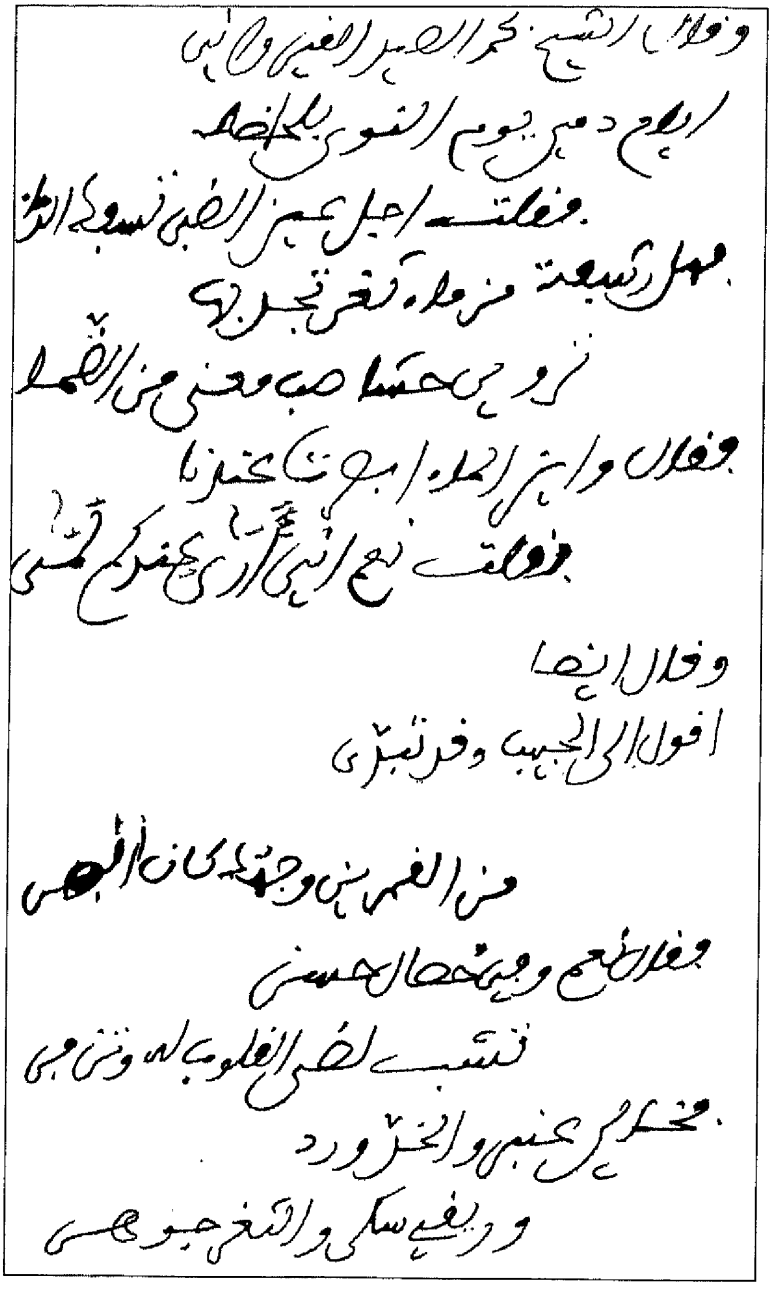

شعر غزلي للصيد من كنش للشيخ الوالد بقلمه

صورة من قصيدة مدحية للصيد من ورقات خاصة

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وسلّم

اشتمل هذا الديوان على كَلام أخينا سيّدي محمّد بن المنّعم المرحوم السيد عمر الصّيد القيرواني رحمه الله

وغفر له على مَدْح سيّد المرسلين سيّدنا محمّد ﷺ (*)

1 - ختم صحيح البخاري

له رَحِمَه الله تَعالَى وغَفرَ لَهُ في خَتْم صَحيح الإمام البُخاري رَضي الله تَعالَى عَنْه، سنة 1261 [46-1845]

[طويل]

لَكَ الحَمْدُ مَوْلاَنَا وإنَّ لَكَ الشُّكْرَا ... عَلَى جَمْعنَا جَمْعًا لذكْرِكَ وَالذِّكْرَى

بِمَقْعَد صِدْقٍ عِنْدَ صَدْرِ وَرَوْضَة ... بَهَا مَنْهَلٌ طَيِّبْتَ وِرْدَهُ وَالصَّدْرَا

جَمَعْتَ لَهُ فَضْلاً عِبَادًا أَقَمْتَهُمْ ... لَيَسْتَمِعُوا ذِكْرًا وَيَعْتَبِرُوا فِكْرَا

وَلَمْ تَدْعُهُمْ حَتَّى خَلَقْتَ لَهُمْ نُهًى ... وَأَعْضَدْتَهَا بِالمُدْرَكَاتِ لِكَيْ تُدْرَى

فَوَافَى لَهُ جَمْعٌ نَحْوَهُ تَبَرُّكًا ... وَقَوْمٌ أَتَوْهُ لِلقِرَاءَة وَالإِقْرَا

وَأَنْتَ الوَلِيُّ الفَتَّاحُ وَالمُنْعِمُ الَّذي ... يَعُمُّ نَدَا إِنْعَامِه العَبْدَ والحُرَّا

وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تَخْلُقْ وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تَجُدْ ... وَلَكِنَّ مَوْلَى البَرِّ لاَ يَتْرُكُ البِرَّا

يُقِيتُ العبيدَ الكُلَّ، مَنْ كَلَّ أو حَجَا[1] ... وَيَكْسُوهُمْ مَنْ بَرَّ مِنْهُمْ ومن جَرَّا[2]

يُؤَمِّنُ مُرْتَاعًا وَيُشْبِعُ جَائِعًا ... وَيُبْرِئُ مَوْجُوعًا وَيَسْمَعُ مُضْطَرًّا

وَفِي حَضْرَةِ الأَسْمَاءِ مَا يُرْشِدُ النُّهَى ... عَلَى كَوْنِ مَا قَرَّرْتَ مِنْ كُلِّ مَا مَرَّا

وَلَمْ يَكُ فِيهَا غَيْرُ مَا قَدْ أَرَدْتَهُ ... عَلَى رَغْمِ مَنْ يَأْبَاهُ فَازْوَرَّ أو سُرَّا

تُوَاصِلُ إِنْعَامًا إِلَيْنَا وَأَنْعُمًا ... وَتُفْضِي بِآلاَءٍ تَعُمُّ الوَرَى طُرَّا

هَوَاطِلُ مِفْضَالٍ إِذَا وَرَدَتْ ضُحًى ... لِغُصْنٍ ذَوَى صُبْحًا تَقَوَّى بِهَا ظُهْرَا

(*) ابتدأ الديوان بتشطير لامية الدمياطي، آثرنا أن ننشر التشطير في آخر الديوان، وينصّ التقديم على تشطير نظم الشيخ الدمياطي ونظم أهل بدر، وهذا التشطير الأخير سننشره إن شاء الله مع ديوانه الثاني، «قصائد مرتّبة على حروف المعجم».

(1) يُقيتُ مضارع أقات أطعم، وحَجَا : وقف

(2) جَرَّ على نفسه جَريرَةً : ارْتَكَبَ إثْمًا

وَإِنْ يَمَّمَتْ عَصْرًا مُعَنًّى بِمَغْرِبٍ أَتَاهُ، وَمَا جَاءَ الْعِشَاءُ، شِفًا يَتْرَى
فَيُصْبِحُ فَجْرَ الْيَوْمِ يَخْطُرُ فِي مِنًى وَقَدْ زَالَ عَنْهُ بِالْمُنَى كُلُّ مَا ضَرَّا
وَعِزُّكَ أَدْنَى نِعْمَةٍ مِنْكَ لَمْ يَقُمْ بِوَاجِبِهَا عَبْدٌ وَلَوْ شَكَرَ الدَّهْرَا
وَكَيْفَ بِأَعْلاَهَا هِدَايَتُكَ الَّتِي أَقَمْتَ لَهَا بِالْمَشْرِقِ الْمُشْرِقَ الْبَدْرَا

* * * * *

خُلاَصَةُ سِرِّ الْكَوْنِ إِنْسَانُ عَيْنِهِ صَفِيٌّ، لُبَابُ الصَّفْوَةِ، النِّعْمَةُ الْكُبْرَى
سَرِيٌّ حَوَى بِالْمَجْدِ أَكْمَلَ غَايَةٍ تَقَاصَرَ عَنْهَا بَاعُ طُولِ الْوَرَى قَصْرَا
هَدَيْتَ بِهِ جَمْعًا سُرَاةً تَسَارَعُوا لِدَعْوَتِهِ فَوْرًا فَخَوَّلْتَهُمْ وَفْرَا
وَمَكَّنْتَهُمْ مِمَّا حَوَى قَصْرُ قَيْصَرٍ وَمَالَمَّ بَهْرَامٌ وَمَا صَاغَهُ كِسْرَى[1]
وَكَانَ لَهُ ذِكْرٌ حَلاَ يُنْعِشُ الْقُوَى وَنَشْرُ حَدِيثٍ طَيِّبٍ يَشْرَحُ الصَّدْرَا
جُمَانُهُ يَحْكِي عِقْدَ سِلْكٍ تَنَاثَرَتْ لآلِيهِ تَشْنِيفًا لأَسْمَاعِنَا نَثْرَا
عَلَى أَنَّهُ عَذْبٌ لِرَاوٍ وَسَامِعٍ يَفُوقُ سَنَاءً فِي تَنَظُّمِهِ الدُّرَّا
وَحَسْبِيَ يَا نِعْمَ الْحَسِيبُ فَوَصْفُهُ جَمِيلٌ أَرَى إِنْ رُمْتُ ذِكْرًا لَهُ حَصْرَا
فَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ مِنْكَ الثَّنَا عَلَى جَمِيلِهِ تَعْظِيمًا لَهُ وَلَنَا ذُخْرَا
وَنَسْتَوْهِبُ الإِحْسَانَ مِنْكَ بِجَاهِهِ فَجَاهُهُ جَاهٌ، يَا عَلِيّ، عَلاَ قَدْرَا
وَنَرْجُو مِنَ الْمَوْلَى إِجَابَةَ جَمْعِنَا فَقَدْ قُلْتَ ادْعُونِي أُزِلْ عَنْكُمُ الضُّرَّا

* * * * *

بِذَاتِ الْعُلَى وَالْكِبْرِيَاءِ، بِسِرِّهَا بِعِزِّكَ، بِالْقَدْرِ الَّذِي أَحْرَزَ الْكِبْرَا
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى، بِحَضْرَةِ مَلْكِهَا، بِأَعْظَمِهَا قَدْرًا، بِأَكْثَرِهَا ذِكْرَا
بِعِلْمِكَ، بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، بِسِرِّهِ، بِكُلِّ كِتَابٍ جَمَّعَ النَّهْيَ وَالأَمْرَا
بِصَفْوَتِكَ الْمُخْتَارِ أَعْظَمِ شَافِعٍ يُحِبُّ لَنَا مِنْكَ الْكَرَامَةَ وَالأَجْرَا
بِأَهْلِ الصَّفَا جَمْعًا نَبِيءٍ وَمُرْسَلٍ وَأَمْلاَكِ مَلْكٍ قَاهِرٍ لِلْوَرَى طُرًّا
بِقَدْرِ الرِّضَى الصِّدِّيقِ خَيْرِ مُصَدِّقٍ وَأَسْعَدِ مَنْ لَبَّى بَشِيرَ الْهُدَى فَوْرَا
أَبِي بَكْرٍ الأَرْضَى أَجَلِّ خَلِيفَةٍ تَقَدَّمَ فِيهَا عَنْ رِضًى فَاعْتَلَى صَدْرَا

(1) البهرمة عبادة أهل الهند، وبهرام : سلطان من سلاطينهم.

بِصَاحِبِهِ الْفَارُوقِ مَنْ فَارَقَ الْعِدَا وَفَرَّقَهُمْ حَتَى عَلاَ دِينُنَا جَهْرَا
أَبِي حَفْصٍ الأَسْمَى الرِّضَى عُمَرَ الَّذِي أَتَى طَائِعًا طَهَ وَ«طَهَ» لَهُ تُقْرَا
بِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ أَسْمَحِ مَنْ قرى فَجَهَّزَ جَيْشًا فِي مَدَى زَمَنِ الْعسرا
شَهِيدٌ لَهُ فَضْلُ الْمَشَاهِدِ وَالْعُلَى وَكَانَ شَهِيدَ الدَّارِ حِينَ قَضَى صَبْرَا
بِقَدْرِ عَلِيٍّ الْبَطْلِ أَقْدَمِ مَنْ سَطَا وَأَقْدَمِ مَنْ لَبَّى وَمَا بَلَغَ الْعشْرَا
وَأَصْهَرِ مَنْ سَلَّ الظُّبَا الْبِيضَ فِي وَغَى وَأَشْهَرِ مَنْ هَزَّ الرُّدينِيَّةَ السُّمْرا
بِجَاهِ سَعِيدٍ، بِابْنِ عَوْفٍ، بِعَامِرٍ بِحُرْمَةِ سَعْدٍ، بِالزُّبَيْرِ الرِّضَى الأَقْرَا
بِطَلْحَتِهِمْ ذِي الْخَيْرِ وَالْكُلُّ كُمَّلٌ لَهم بِبَشِيرِ الْخَيْرِ مَا أَوْجَبَ الْبُشْرَى
بِزَيْنَبَ بِنْتِ الْمُصْطَفَى، بِرُقَيَّةٍ بِإِخْوَتِهَا طُرًّا، بِفَاطِمَةَ الزَّهْرَا
بِرَيْحَانَتَيْهَا الْفَاضِلَيْنِ وَسَيِّدَيْ شَبَابِ جِنَانِ الْخُلْدِ والنَشْأَةِ الأُخْرَى
بِسِتِّ نِسَاءِ الْخُلْدِ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ وَوَالِدَةِ الزُّهْرِ، الْمُعَظَّمَةِ الْكُبْرَى
خَدِيجَةَ مَنْ بَشَّرْتَهَا بِتَحِيَّةٍ وَبَيْتٍ عَلِيٍّ فِي حِمَى الْجَنَّةِ الْخَضْرَا
بِزَيْنَبَ، بِالسِّتِّ الْمَهَاةِ صَفِيَّةٍ بِمَيْمُونَةَ الحَورَا، بِعَائِشَةَ الْحَمْرَا
بِهِنْدٍ، بِعَلْيَا قَدْرِ أُمِّ حَبِيبَةٍ بِسَوْدَةَ ذَاتِ السُّودِ مَعْ حَفْصَةَ الْغُرَّا
بِمَنْ هَجَرُوا الأَوْطَانَ سَاعَةَ هَاجَرُوا وَوَالَوْا لِمَا تَرْضَى أَقَارِبُهُمْ هَجْرَا
بِسَادَاتِنَا الأَنْصَارِ أَنْصَارِ دِينِنَا وَأَبْطَالِ مَنْ خَوَّلْتَهُ الفَتْحَ والنَّصْرَا
بِآسَادِ بَدْرٍ مَنْ سَقَوْا مُهَجَ الْعِدَا كُؤُوسَ الْمَنَايَا من لها الصَّعْدَةُ السُّمْرَا
بِجَمْعِ كُمَاةِ أَهْلِ حَزْمٍ وَنَجْدَةٍ أُسُودِ شَرًى لاَ يَعْرِفُونَ بِهَا فَرَّا
شَرَوْا جَنَّةَ الْمَأْوَى لأَنْفُسِهِمْ رضى لَدَى بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ وَاسْتَرْخَصُوا السِّعْرَا
يشورون للأعداء لم تُثنهم ظُبا وَلاَ شِدَّةُ الْهَيْجَا وَقَدْ لَفَحَتْ جَمْرَا
يُرى بَطْلُهُمْ لَمَّا يُنَازِلُ قِرْنَهُ هِزَبْرًا عَلاَ مُهْرًا يَجُولُ بِهِ نِمْرَا
بِسَيِّدِنَا هَذَا الَّذِي هُوَ مِنْهُمُ أَبِي زَمْعَةَ الأَحْظَى بِجُزْءٍ زَكَا طُهْرَا
بِمَا قَدْ حَوَى مِنْ ذَاتِ أَشْرَفَ طَاهِرٍ بِقبره هذا عندما أُنزل القبْرا
هِيَ الشَّعَرَاتُ الطَّاهِرَاتُ الَّتِي زَكَتْ فَنَالَ بِهَا فَخْرًا زَكَا وَاعْتَلَى قَدْرًا

وَطَابَ بِهَا تُرْبُ الضَّرِيحِ كَمَا ذَكَا ... بِطِيبَةَ ذَاتِ الْعِطْرِ مَا عَطَّلَ الْعِطْرَا
وَإِنَّ لَنَا عِزًّا بِهِ إِذْ يَقُودُنَا ... إِلَى حَشْرِنَا لَمَّا نَلُوذُ بِهِ حَشْرَا
وَلِمْ لَا يَقِينَا وَهْوَ صَاحِبُ عِزِّنَا ... حَبِيبُكَ يَا مَوْلَى وَأَنْتَ بِذَا أَدْرَى
بِزَيْدِ الرِّضَى الْمَوْلَى، بِصَبْرٍ ثَلَاثَةٍ ... تَوَانَوْا فَذَاقُوا فِي تَخَلُّفِهِمْ صَبْرَا
بِسَادَاتِنَا الْكُلِّ الصَّحَابِ، بِسِرِّهِمْ ... بِأَعْظَمِهِمْ سِرًّا بِمَا أَحْرَزُوا السِّرَّا
بِمَنْ قَدْ قَفَوْهُمْ فَاقْتَدَوْا بِهُدَاهُمُ ... وَكُلُّهُمُ أَعْلَامُ هَدْيٍ عَلَوْا قَدْرَا
كَذَا تَابِعُوهُمْ أَجْمَعُونَ وَمَنْ جَرَتْ ... لَهُمْ قَدَمٌ فِي الْخَيْرِ نَالُوا بِهَا خَيْرَا
وَبِالْخُضَرِ الْأَسْمَى الَّذِي نَالَ مِنْ لَدُنْـ ... ـكَ ذِكْرًا، لَهُ فِي الذِّكْرِ ذِكْرٌ عَلَا ذِكْرَا
وَبِالْأَنْعَمِ النُّعْمَانِ مَنْ سَارَ نَهْجَهُ ... إِلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ مُنْتَشِرًا نَهْرَا
بِقُدْوَتِنَا الْمَشْهُورِ مَالِكِ مَنْ ثَوَى ... بِطِيبَةَ بَرِّ الْعِلْمِ حَتَّى غَدَا بَحْرَا
عَلَى أَنَّهُ النِّحْرِيرُ عَالِمُ يَثْرِبٍ ... وَقَطْرُ النَّدَى فِيهَا لِمَنْ حَلَّ ذَا الْقُطْرَا
تَرَوَّتْ بِهِ أَعْلَامُنَا عِنْدَ مَارَوَوْا ... طَرِيقَتَهُ الْغَرَّا الَّتِي نَعُمَتْ قَطْرَا
بِأَصْحَابِهِ الرَّاوِينَ مَا قَدْ رَوَاهُ مِنْ ... طَرِيقِ الْأُلَى حَلُّوا حِمَى يَثْرِبَ الْغَرَّا
وَبِالشَّافِعِيِّ الْمُحْتَظَى عَنْ مَكَانَةٍ ... تَسَامَى بِهَا عِزًّا بِمِصْرَ الدُّنَى مِصْرَا
وَبِالصَّابِرِ الْأَرْضَى ابْنِ حَنْبَلَ ذِي الرِّضَا ... مَعَ الصَّبْرِ عَنْ بَلْوَى أَمِيرٍ دَعَا أَمْرَا
بِمَكَّةَ مَأْوَى الْأَمْنِ، بِالْحِجْرِ بِالصَّفَا ... بَطِيْبَةَ مَنْ طَابَتْ بِمَنْ قَدْ زَكَى نَشْرَا
بِسَبْعَتِهَا الْأَعْلَامِ عُرْوَةَ قَاسِمٍ ... سَعِيدٍ أَبِي بَكْرٍ السَّرِيِّ الَّذِي سَرَى
بِحَقِّ سُلَيْمَانٍ، بِخَارِجَةَ الرِّضَى ... بِجَاهِ عُبَيْدِ اللهِ أَفْسَحِهِمْ صَدْرَا

* * * * *

وَبِالسِّتَّةِ الرَّاوِينَ عَنْهُمْ أَصَحَّ مَا ... رَوَاهُ عَنِ التَّحْقِيقِ مَنْ قَدْ رَوَى خَبْرَا
بِهَذَا «الصَّحِيحِ» الَّذْ رَوَاهُ مُحَبِّرًا، ... بِصِحَّةِ إِسْنَادٍ قَوَى مَنْ سَمَا خُبْرَا
إِمَامًا تَعَلَّى عَنْ سُمُوٍّ مَكَانَةٍ ... تَسَامَتْ بِهَا عَلْيَا بُخَارَى عَلَى بَصْرَا
مُحَمَّدِ الْأَرْضَى الْبُخَارِي الَّذِي رَوَى ... فَأَوْرَى لَنَا مِنْ نُورِ زِنْدِهِ مَا أَوْرَى
بِجَاهِهِ، مَوْلَانَا، بِحَقِّ رِجَالِهِ ... بِمَا ضَمَّتِ الْأَسْفَارُ سِفْرًا تَلَا سِفْرَا

بِشُرَّاحِـهِ شَـرَحَ الصُّدُورَ بِمَـا رَوَى ... أَبُو الْوَقْتِ تَصْحِيحًا فَأَوْرَى وَمَا وَرَّا

بِأَسْـرَارِ مَا قَدْ صَحَّـحَ الْحِبْـرُ مُسْلِمٌ ... مِنَ النَّبَإِ الشَّـافِي لِمَا كَـرَّرَ السِّرَّا

بِمَـا لأَبِـي دَاوُدَ مِـنْ سُنَـنٍ شَفَتْ ... بِتَقْرِيرِهَا مُضْنَى الْحَشَا كُلَّمَا تُقْرَا

بِمَـا قَـدْ رَوَاهُ التِّـرْمِذِيُّ مُحَـرِّرًا ... وَصَحَّحَهُ بِالضَّبْطِ سَطْـرًا تَلاَ سَطْرَا

بِمَـا قَـدْ رَوَاهُ الْحَـافِظُ النَّسَائِي مِـنْ ... حَدِيثٍ حَلاَ، زَكَّى الْمَسَامِعَ وَالصَّدْرَا

بِمَـا جَـاءَ فِي سِفْرِ ابْنِ مَاجَةَ مُسْفِرًا ... عَنِ الْحَقِّ إِذْ لاَرَيْبَ فِيهِ وَلاَ نُكْرَا

بِمَا قَدْ رَوَى تِلْكَ الصِّحَاحَ مِنَ الْوَرَى ... مَدَى مُدَّةِ الإِعْصَارِ عَصْرًا قَفَا عَصْرَا

بِقَدْرِ عِيَاضٍ، بِـ«الشِّفَا»[1]، بِحَدِيثِهِ ... تَـوَلَّ شِفَـانَا وَاكْفِنَـا الضُّـرَّ وَالْمُـرَّا

بِسِـرِّ أُوَيْسٍ، بِـالسِّـرِيِّ، بِابْنِ أَدْهَمَ ... بِعِـرْفَانِ مَعْـرُوفٍ، بِـرَابِعَةَ الْعَذْرَا

بِفَضْـلِ فُضَيْـلٍ مَعْ جُنَيْـدٍ بِحِزْبِـهِ ... وَبِالأَشْعَرِيِّ الَّذْ[2] عَلاَ نَهْجُهُ الشِّعْرَى

وَبِالْجِيْلِي، وَالشَّـاذِلِيِّ وَكُـلِّ مَـنْ ... لَهُمْ طَرَفٌ فِي الْخَيْرِ تُولِي بِهَا الْخَيْرَا

بِكُـلِّ وَلِـيٍّ مِنْ عِبَـادِكَ فَـاضِلٍ ... بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ مُذْدَحِيتْ بِهَا الْغُبْرَا

تَفَضَّـلْ عَلَيْنَـا يَا إِلاَهِـي بِرَحْمَـةٍ ... تُنَعِّمُ فِي الدُّنْيَا وَتُسْعِدُ فِي الأُخْرَى

وَدَاوِ جِـرَاحَاتِ الْمُسِـيءِ بِمِـرْهَمٍ ... جَمِيـلِ مَتَـابٍ يَمْحَقُ السَّيِّءَ الْوِزْرَا

وَإِنْ كَـانَ سَبْرٌ كَانَ عَنْ رِفْقٍ رَأْفَةً ... بِعَفْـوٍ مِـنَ الْمَـوْلَى يُنَعِّمُنَـا سَبْـرَا

وَمُـنَّ عَلَيْنَـا أَجْمَعِيـنَ بِنِعْمَـةٍ ... تُصَاحِبُ يُسْرَى لاَ نَرَى بَعْدَهَا عُسْرَا

وَكُـنْ رَاضِيًـا عَنَّـا وَإِنْ عَـزَّ بِـرُّنَا ... فَقَدْ كُنْتَ يَا بَارِي الْبَرَايَا بِنَا بَرَّا

وَضَـاعِفْ لَنَـا أَجْـرَ الْقَلِيلِ وَجَازِنَا ... جَزَا الْمُنْعِمِ الْمِفْضَالِ إِنْ أَفْعَمَ الْبِرَّا

وَسُـرَّ إِلَهِي، سُـرَّ كُـلَّ مُـوَحِّدٍ ... بِأَنْـوَارِ سِـرٍّ مُشْرِقٍ يُفْسِحُ السِّـرَّا

وَرَوِّحْ بِرَوْحٍ مِنْكَ رُوحًـا وَمُهْجَـةً ... لِنَلْقَـى بِـهِ الْخُلْـدَ الْمُرَوِّحَ وَالْحُورَا

وَنَعِّـمْ جَمِيـعَ الْـوَالِدِينَ بِرَحْمَـةٍ ... تَعُمُّهُـمُ بِـرًّا وَتُـوسِعُهُمْ غُفْـرَا

وَجُـدْ يَا كَثِيرَ الْخَيْـرِ عَنَّـا بِصَيِّبٍ ... وَهَـاطِلِ غَيْثٍ يَمْلَأُ السَّهْلَ وَالْوَعْرَا

وَوَاصِلْ لَنَـا بُشْرَى يُوَاصِلُهَا مُنَى ... وَعَجِّلْ لَنَا الْيُسْرَى وَهَوِّنْ عَنِ الأَسْرَى

---

(1) هو كتاب القاضي عياض.

(2) لغة في الاسم الموصول الذي.

وَحطْنَـا بحفْـظ يَاحَفيـظُ يُجيـرُنَا ... إذَامَا الْمَدَى أَضْرَى بنَا ضَيْرَ مَنْ أَغْرَى

وَأَسْبِـلْ عَلَيْنَـا أَجْمَعِينَ جَميـلَ مَا ... يَكُـونُ بِه سَتْـرٌ جَميـلٌ يَقِي سَتْـرَا

وَصُنْ سَاحَةَ الإِسْلاَمِ وَاحْرُسْ جَنَابَهُ ... بِذِي صَوْلَةٍ تُخْزِي الْكَوَافِرَ وَالْكُفْرَا

يُرَاعُ بِه الْعَادِي الْمُسِيءُ وَيَـرْتَشِي ... بِإِنْعَامِه العَـافِي فَـلاَ يَخْتَشِـي فَقْـرَا

وَحَنِّنْهُ يَا حَنَّانُ عَنْ مَنْ رَجَـوْا مِنَّـا ... وَبَغِّضْهُ يَـا مَنَّـانُ فِيمَـنْ بَغَوْا أَصْرَا

وَحَصِّنْ بِه دَارًا وَعَـزِّزْ بِـه حِمًـى ... وَمَهِّـدْ بِـه أَرْضًـا، وَسُـدَّ بِـه ثَغْـرَا

وَعَمِّـرْهُ عُمْـرًا فِي مَـدِيدِ سَلاَمَـةٍ ... تُـرَوِّحُ مُضْطَـرًّا وَتُطْعِـمُ مُعْتَـرًّا

فَنَبْقَـى بِـأَمْنٍ مَـا بَقِينَـا وَنِعْمَـةً ... تَقِينَـا وَقَـدْ خَوَّلْتَـهُ النَّصْـرَ وَالظَّفْرَا

وَوَفِّـقْ وُلاَةَ الأَمْـرِ كُـلاًّ لِكُـلِّ مَـا ... يَكُـونُ لَهُـمْ أَمْـرًا يُـوَافِقُ لاَ أَمْـرَا

وَعِمَّ إِلَاهِي بِالصَّلاَحِ جَمِيـعَ مَنْ ... أَقَمْتَهُ لِلإِصْلاَحِ وَأَصْلِحْ بِـهِ الأَمْرَا

وَأَحْيِ بِبِـرِّ الْعَدْلِ يَا حَكَـمَ الْبَـرَا ... وَرَخِّـصْ بِهَـذَا الْبَـرِّ زَيْتَـهُ وَالْبُـرَّا

وَكَثِّـرْ بِـهِ أَرْيًـا وَرِسْـلاً وَأَنْعُمًـا ... تُنَعِّـمُ مُعْتَـرًّا تَعَـرَّى وَمُضْطَـرًّا[1]

وَشَيِّـدْ لِمَـنْ أَنْشَـا الْمَقَـامَ مُشَيِّـدًا ... مَقَامًا بِأَعْلَى رَوْضَـةٍ قَدْ عَلَتْ قَصْـرَا

كَـذَا كُـلَّ مَنْ سَوَّى بِـهِ أَوْ لَهُ بَنَـا ... وَمَنْفَعَـةً أَوْ زَارَ أَوْ قَـرَّ أَوْ قَـرَّا

وَعَمِّرْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ تُقًى وَجُدْ ... بِحُسْنَى أَوَانَ الْمَوْتِ، وَآخِتِمْ بِهِ الْعُمْرَا

وَوَفِّـرْ لَنَـا فَضْـلاً ثَـوَابَ صَـلاَتِنَا ... عَلَى الْمُصْطَفَى طَهَ وَعَظِّمْ بِهِ الأَجْرَا

فَإِنَّـكَ يَا رَحْمَـانُ أَبْقَيْتَ أَجْـرَهَا ... عَلَى الضُّعَفَـا وَقْفًا، وَأَوْقَفْتَهَـا جَبْرَا

وَهَيِّئْ لِمَنْ سَوَّى وَصَاغَ فَرَائِدًا ... لَهَـا عُـدَّةَ الإِسْمِ اللَّطِيفِ جَـزَا وَفْرَا

يَضُـوعُ لَـهُ مِنْهُ أَرِيـجٌ مُنَعِّـمٌ ... مَـدَى كُـلِّ حِيـنٍ أَرَّخُـوا جَاءَهُ نَشْرَا

وَصَـلِّ عَلَى أَعْلَى سَمِيٍّ رِضَا الْعُلَى ... وَأَسْرَى سَرِيٍّ فَازَ بِالْقُرْبِ وَالإِسْرَا (سنة1261)

نَبِيِّ الْهُدَى الْمَبْعُوثِ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً ... شَفِيعِهِمُ طُـرًّا إِذَا وَقَفُـوا حَشْـرَا

كَـذَا الأَنْبِيَـا جَمْعًـا وَآلٍ نَبِيِّنَـا ... عَلَيْهِمْ صَلاَةٌ مِنْكَ يَا ذَا الْعُلَى تَتْـرَى

مَعَ السَّادَةِ الصَّحْبِ الْكِرَامِ حُمَـاتِنَا ... وَعُـدَّتِنَا دُنْيَـا وَعُمْـدَتِنَا أُخْـرَى

صَـلاَةً بِـلاَ عَـدٍّ يَنِـمُّ بِعَـرْفِهَا ... سَـلاَمٌ بِهِ مِسْكُ الْخِتَامِ شَذَا عِطْرَا

(1) اعترَّ : من عري : تجرّد من ثيابه.

2 - قد صَبَا القلْبُ

وقَال أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ فِي مَدْحِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وأَزْكَى التَّسْلِيم : [خَفِيفَ]

قَـدْ صَبَـا الْقَلْـبُ والْفُـؤَادُ وَمَـالاَ ... عِنْـدَمَا شَاهَـدَ الْعُلَـى والْجَمَـالاَ
فَقَضَـى حُسْنُـهُ عَلَى النَّفْسِ حُبًّا ... وَآمْتَثَـــالاً فَبَـادَرَتْهُ آمْتِثَـــالاً
وَرَأَتْ مَا قَضَى بِـهِ الحُسْـنُ عَـدْلاً ... فَرَضَتْـــهُ وَأَسْلَمَـــتْ إِجْـــلاَلاَ
حَبَّـذَا مَاقَضَـــى بِـــهِ وَقَضَـــاهُ ... حُسْـــنُ حُسْـــنٍ بَـدَا أَنَـارَ الْهِـلاَلاَ
حُسْنُ شَمْسٍ زَهَتْ بَلِ الشَّمْسُ مَعْهُ ... حُسْنُهَـا كَـانَ قَبْـلَ ذَاكَ ذُبَـالاَ
أَجمـلُ الْقَـوْلِ فَهْـوَ وَجْـهٌ جَمِيـلٌ ... نَيِّـــرٌ نَـــاعِمٌ يُنَعِّـمُ بَـــالاَ[1]
قَـدْ بَـــرَاهُ الإِلَـــهُ خَلْقًـا بَـــدِيعًا ... مِـنْ سَنَـا نُورِ جَـوْهَرٍ حَيِنَ سَـالاَ
وَأَفَـــاضَ الْبَهَـا عَلَيْـــهِ فَأَمْسَـــى ... لِلـــذَّكَا والـــذُّكَا مُمِـــدًّا كَمَـــالاَ
فَلَهَـــا اللهُ طَلْعَـــةً صَـــوَّرَتْهَا ... دُرَّةً قُـــدْرَةُ الإِلَـــهِ تَعَـــالَى
إِنَّ مَـنْ صَاغَـــهُ الإِلاَهُ جَلِيـــلاً ... لَجَـــدِيرٌ بِـــأَنْ يَفُـــوقَ جَمَـالاَ
فَاعْـذِرُوا الصَّـبَّ يَالَقَـوْمِي وَخَلُّـوا ... مَا عَلَيْكُـــمْ إِنِ آسْتَمَـــالَ وَغَـــالاَ
إِنَ هَـــذَا الْجَمِيـــلَ كَـانَ فَـــرِيدًا ... فِي بَهَـــاهُ وَفَـــاضِلاً مِفْضَـــالاَ
ذَاكَ طَـهَ الـرِّضَا أَجَـــلُّ قُـــرَيْشٍ ... بَـــلْ أَجَـــلُّ الْـــوَرَى عُلًـى وخِصَـالاَ
مَـــنْ بغـــى وَصْفَـــهُ لِيُعْلَـمَ مَعْنَـى ... حُسْنِـــهِ عِنْـــدَمَا يَـــرُومُ مَقَـــالاَ

(1) في الأصل : وأجمل الْقَوْل، أسقطنا حرف العطف لضرورة الوزن.

خُلْـــقٌ زَانـــهُ تَجَمُّـــلُ خَلْـــقِ ... فَتَسَـــاوَى مَحَـــاسِنًا وَفِعَـــالاَ
كُلَّمَـا قَـالَ أَوْ هَـدَى أَوْ تَبَـدَّى ... أَنْشَـدَ الْقَلْـبُ وَاللِّسَـانُ وَقَـالاَ :
هَكَـذَ هَكَـذَا تَكُـونُ المَـوَالِي ... هَكَـذَا هَكَـذَا وَإِلاَّ فَـلاَ لاَ
جَـلَّ مُنْشِيـهِ رَحْمَـةً وَغِيَـاثًا ... وَمَـلاَذًا يَقِـي الْـوَبَا وَالْـوَبَالاَ
فَبِـهِ شِيثٌ نَـال بَـلْ بِآخْتِصَـارٍ ... كُـلُّ خَيْـرٍ بَـهِ عَلَيْنَـا تَـوَالَى
فَهُـوَ لِلْخَلْـقِ نِعْمَـةٌ وَنَـوَالٌ ... قَبْـلَ أَنْ يَخْلُـقَ الإِلَـهُ مَنَـالاَ
كَمْ بَـدَا لِلْـوَرَى بِـهِ مِنْ رَشَـادٍ ... وَهُـدًى لِلْهُـدَى بِآلِـهِ ءَالاَ
إِذْ تَبَـدَّت لِقَـومِهِ مُعْجِـزَاتٌ ... خَـالَهَا مَنْ هَـوَى الضَّلاَلَ خَيَـالاَ
وَآكْتَفَى الصَّحْـبُ هَـدْيَهَا فَـوَقَاهُمْ ... وَكَفَـى اللهُ المُـؤْمِنِينَ الْقِتَـالاَ
بَعْـدَمَا كَـابَدَ الْفَـرِيقُ صِعَـابًا ... وَلَقُـوا فِي الْـوَغَى ظُبًـى وَنِبَـالاَ
يَتَلَقَّـى الأَخُ أَخَـاهُ هِـزَبْـرًا ... ذَارِعًـا لا يحِيـد عَنْـهُ نِـزَالا
فيخَـالُ النِّبَـالَ أَنْ لا نِبَـالاَ ... وَيَظُـنُّ النِّصَـالَ أَنْ لاَ نِصَـالاَ
وإِذَا حَلَّـتِ الهِـدَايَةُ قَلْبًـا ... لَـنْ يَخَـالَ الْكَـلاَلَ يَوْمًـا كَـلاَلاَ
كَـرَّمَ اللهُ خَيْـرَ صَحْـبِ نَبِـيٍّ ... عَزَّزُوا[1] الـدِّينَ مَعْـهُ حَتَّى تعالى
جَـاهَدُوا فِي الإِلَـهِ حَـقَّ جِهَـادٍ ... بَـاذِلِينَ الْعَـزِيزَ نَفْسًـا وَمَـالاَ
عِنْدَمَا اسْتَـوْثَقُوا بِالإِسْـلاَمِ دِينًـا ... قَطَّـعَ الْقُـرْبَ عَنْهُـمُ وَالخِـلاَلاَ
شَكَـرَ اللهُ سَعْيَهُـمْ وَحَبَـاهُمْ ... صَـوْبَ نُعْمَـى لَدَى النَّعِيمِ آنْتِحَالاَ
فَلَكَـمْ بِالقَنَـا فَرَوْا مِـنْ فُـؤَادٍ ... وَبِحَـدِّ الْحُسَـامِ قَـدُّوا قَذَالاَ[2]
وَرَمَـوْا مِنْ سِهَـامِ حَتْـفٍ رَدَتْ بِـ ... ـالْكَـافِرِينَ وَزُلْزِلُـوا زِلْـزَالاَ
قَـدْ عَجِبْنَـا لِعُصْبَـةٍ قَبْـلُ ضَلُّـوا ... لَيْـلَ صُبْـحِ الْهُـدَى فَظَلُّـوا خَبَـالاَ
وَعَجِيـبٌ لِمَـنْ يَضِـلُّ بِلَيْـلٍ ... مَـعْ هِـلاَلٍ بَـدَا فَأَهْـدَى بِـلاَلاَ
إِنَّ لِلْحَـقِّ نُـورَ هَـدْيٍ وَلَكِـنْ ... لاَيَـزِيدُ الْكَفُـورَ إِلاَّ ضَـلاَلاَ

---

(1) عزّزوا الدّين : نصروه

(2) القذال : ما بين الأذنين من مؤخّر الرّأس.

* * * * *

أَوَمَـا أَبْصَـرُوا آنْشقَـاقًا لِبَـدْرٍ أَوْ مَـا شَـاهَدُوا الْغَمَامَ ظِـلاَلاَ
أَوَمَـا عَايَنُـوا لِيُمْنَـاهُ يُمْنًـا إِذْ رَمَتْ بِالْحَصَى فَأَضْنَتْ رِجَالاَ
وَكَفَى الْكَـفُّ أَلْـفَ سَـاعٍ بِصَـاعٍ مِنْ رَحَى مَنْ دَعَا الرَّسُولَ تعالَ
وَأَفَـادَ الأُلُـوفَ رِيًّـا بِمَـاءٍ قَـدْرَحْسْـوٍ تَنَـاوَلُوهُ آنْتَهَـالا
وَبِمَـجِّ اللَّمَـى الـزُّلاَلَ بِبِئْـرٍ صَـارَ طَعْـمُ الأُجَـاجِ عَـذْبًا زُلاَلاَ
وَلَـهُ غَيْـرُ ذَا وَذَا مِنْ خِصَـالٍ مَـعْ خِصَـالٍ تَتَـابَعَتْ إِرْسَـالاَ
إِنْ أَرُمْ عَـدَّ جُلِّهَـا بِآخْتِصَـارٍ كَـانَ عَنْهَـا الْحَدِيثُ شَيْئًا مُطَـالاَ
كَيْفَ تُحْصَى الرِّمَالُ حَصْرًا وَعَـدًّا إِنَّ عَـدَّ الـرِّمَالِ كَـانَ مُحَـالاَ

* * * * *

يَـا عَـزِيزًا عَلَـى الْبَـرِيَّةِ حَـالاً وَمُضِيًّـا مَضَـى لَنَـا وَمَـآ لاَ
وَسَعِيدًا بِـهِ سَعِـدْنَا وَفُـزْنَا وَكَـرِيمًا بِـهِ آسْتَفَـدْنَا النَّـوَالاَ
قَدْ دَهَانَا الْمَدَى بِأَسْـوَا تَـوَالَتْ نَكَّـرَتْ هَيْئَـةً وَحَـالاً فَحَـالاَ
كَيْـفَ قَبْـلاً عَلَـى أَسَـى بِآهْتِضَامٍ أَوْجَـلَا أَوْجَـلَا النُّفُوسَ وَهَـالا
كَيْفَ نَخْشَـى الرَّدَى وَأَنْـتَ مَـلاَذٌ أَوْ نَخَـافُ الْعِـدَى فَنَلْقَـى النِّكَـالاَ
كَيْـفَ نُلْقَـى علـى أَذَى كُـلَّ حِينٍ وَنُعَـانِي مِـنَ الـزَّمَانِ الثِّقَـالاَ
حَاشَ فَضْلُ الْكَرِيمِ يَحْرِمُ وَفْـدًا وَرِجَـالاً تَـرَى الْمَـدِيحَ آرْتِجَـالاَ

* * * * *

يَـا رَسُـولَ الإِلَهِ قَلْبِـي مُحِبٌّ رَام فِـي حَوْمَـةِ الْمَـدِيحِ مَجَـالاَ
فَآقْبَلَـنْ قَوْلَـهُ بِعَيْـنِ رِضَـاءٍ وَآعْـذِرَنْهُ إِذَا كَبَـا حِينَ جَـالاَ
مَـا لِشَـأْوِي آسْتِبَـاقُ خَيْلِ مَجَـالٍ وَاسِـعِ الـرَّحْبِ يُـرْعِبُ الأَبْطَـالاَ
مَا لِمِثْلِي آمْتِدَاحُ أَهْـلِ كَمَـالٍ قَـالَ حَسَّـانُ[1] فِيهِـمُ مَـا قَـالاَ

(1) حسّان بن ثابت، شاعر الرّسول ؛ انظر المقدمة، فصل المديح النّبوي.

لَكِنِ الْقَلْبُ قَدْ تَطَفَّلَ حُبًّا ... فَرَجَا مِنْ نَدَاكُمْ لِي مَنَالاَ

يَا إِلَهَ الْوَرَى بِأَكْرَمِ دَاعٍ ... قَامَ يَدْعُو هَدَى فَجَلَّى الضَّلاَلاَ

مِنْ بَنِي هَاشِمِ بن عبدِ مَنَافٍ ... سَادَةِ الْفَضْلِ مَنْ حَوَوْا أَفْضَالاَ

كُنْ لَنَا رَاحِمًا وَدَاوِ سَقَامًا ... طَالَ مَعْهُ الأَسَى فَحَيِّرَ بَالاَ

وَأَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقًا جَزِيلاً ... وَافِرًا طَيِّبًا هَنِيًّا حَلاَلاَ

لاَ نَخَافُ عَلَيْهِ جُرْأَةَ دَالٍ ... إِنْ رَمَى نَحْوَهُ دلاَ وحِبَالاَ

وَاحْمِ أَهْلِي وإِخْوَتِي مَنْ مَرُوعٍ ... كَادَ مِنْ هَوْلِهِ يَفُتُّ الجِبَالاَ

وآمِنَحِ المُسْلِمِينَ جَمْعًا نَوَالاً ... مُكْثِرَ الصَّوْبِ يُذْهِبُ الإِقْلاَلاَ

وَاكْفِنَا شَرَّ كُلِّ بَاغٍ مُرِيعٍ ... ذِي اعْتِدَاءٍ، وَسَدِّدِ الأَحْوَالاَ

وَعَلَى المُصْطَفَى أَجَلُّ صَلاَةٍ ... مِنْكَ يَا ذَا الْعُلَى لَهُ تَتَوالى

وكَذَا الآلُ والصّحابةُ جَمْعًا ... مَا حَدَا سَائِقٌ يَحُثُّ جِمَالاَ

3 - أَطْلَعَ السَّعدُ للوجُودِ عَلاَمَه

وَلَهُ أَيْضًا أَسْكَنَهُ اللهُ أَعْلَى الْجِنَانِ بِجَاهِ خَيْرِ وَلَدِ عَدْنَان :

[خفيف]

أَطْلَعَ السَّعْدُ لِلْوُجُود عَلاَمَهْ حِينَ لاَحَتْ مِنَ السُّعُود عَلاَمَهْ[1]
وَآسْتَنَارَ الدُّجَى بِطَلْعَةِ بَدْرٍ نَوَّرَ الْكَوْنَ مُذْ أَزَالَ ظَلاَمَهْ
فَآغْتَنِمْ فُرْصَةَ الْمُنَى يا مَلاذًا فَلِمَاذَا أَخَا الونى وعَلامَ ؟[2]
هَاتِ مِنْ أَكْؤُسِ الْمَسَرَّة رَاحًا يَا أَخَا الأُنْسِ فَهْيَ أَشْهَى مُدَامَهْ
رَاحَ بُشْرَى وَنِعْمَةٌ نَعَّمَتْنَا لَيْلَ نَيْلِ الْمُنَى بِنُعْمَى مُدَامَهْ
وَآحْمِ سَمْعِي حُمِيتَ أَنْبَاء لَيْلٍ لَيْلِ أُنْسِي وَمَنْ لَهَا مَدَّ هَامَهْ
وآنْعِشِ النَّفْسَ يَا سَرِيُّ بِحَدِيثٍ عَنْ سُرَاةِ الحِمَى أُهَيْلِ تِهَامَهْ[3]
إِنَّ لِي بِالْحَدِيثِ عَنْ أَهْلِ وُدِّي سَاعَةَ الأُنْسِ نَفْحَةً مُسْتَدَامَهْ
وآرْتَشِفْ لَيْلَةَ الْمُنَى زَنْجَبِيلاَ بل لَمَى النَّحل مِنْ رَحِيقِ أُسَامَهْ
إِنَّ نُعْمَى الزَّمَانِ أَحْيَتْ بَنِيهِ بِحَيَا أَنْعَشَتْ وَحَيَّتْ كَرَامَهْ
لَمْ يَفُزْ مَنْ أَنَامَهُ الحَظُّ عَنْهَا حِينَ أَحْيَا بِهَا الإِلَهُ أَنَامَهْ
جَلَّ مَوْلًى أَقَامَ فِينَا مُقِيمًا رَحْمَةً فِي الدُّنَى وَيَوْمَ الْقِيَامَهْ
بِرِدَاءِ الظِّلاَلِ مُجْلِي دُجَاهُ وَبِهِ قَدْ بَرَى الْوَرَى مَنْ أَقَامَهْ
رَحْمَةً، نِعْمَةً ؛ غِيَاثًا، مَلاَذًا مِنْحَةً، مَوْئِلاً، نَوَالاً، كَرَامَهْ

(1) العلامة : السمة والأمارة، وما يهتدى به.
(2) الونى : الضعف والفتور.
(3) تهامة : موضع يساير البحر، منه مكّة.

مُجْتَبًى، مُرْتَضًى، عَزِيزٌ عَلَيْهِ ... مَا عنتنا، مزيح ضَيْمَ الظُّلاَمَهْ
هَاشِمِيٌّ أَخُو عُلًى، أَبْطَحِيّ، ... قُرَشِيٌّ، مُؤَيَّدٌ، ذُوفَخَامَهْ
ذَاكَ طَهَ الرِّضَى جَمِيلُ الْمَزَايَا ... أَحْمَدُ الْمُجْتَبَى، أَصِيلُ الإِمَامَهْ
ذُو يَمِينٍ يُنِيلُ أَوْفَى أَمَانٍ ... وَيَسَارٍ تُفِيدُ يُسْرًا تَمَامَهْ
جَمَّلَ اللهُ وَصْفَهُ حِينَ عَلَّى ... ذِكْرَهُ الْمُعْتَلَى وَحَلَّى كَلاَمَهْ
عَنْدَمَا قَامَ دَاعِيًا لِلْبَرَايَا ... وَدُجَى الشِّرْكِ قَدْ أَمَدَّ ظَلاَمَهْ
لَمْ يَنَمْ قَلْبُهُ وَإِنْ نَامَ عَيْنًا ... فَهُوَ يَقْظَانُ يَقْظَةً وَمَنَامَهْ
قَدْ عَجِبْنَا لِعُصْبَةٍ مَعْهُ ضَلُّوا ... وَضِيَا الْحَقِّ خَلْفَهُ وَأَمَامَهْ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ بِأَعْجَبِ آيٍ ... بَيِّنَاتٍ، رَحِيلَهُ وَمُقَامَهْ

* * * *

سَلَّمَ الضَّبُّ والجَمَادُ، آسْتَجَارَتْ ... ظَبْيَةُ الصَّيدِ، ظَلَّلَتْهُ الْغَمَامَهْ
حَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ، أَنَّ بَعِيرٌ ... والتَجَى شَاكِيًا يَخَافُ حِمَامَهْ
رَدَّ عَيْنًا، كَفَى مِنَ الصَّاعِ أَلْفًا ... عَشَّشَتْ حَوْلَهُ بِثَوْرٍ[1] حَمَامَهْ
وَلَهُ غَيْرُ ذَا وذَاكَ وَلَكِنْ ... قُلْتُ ذَا مُوجِزًا لَهَا لاَ سَآمَهْ
كُلُّ مَنْ نَدَّ عَنْ هَوَاهُ شَقِيٌّ ... أَهْلُ غَيٍّ لِكَنَّهُ ذُو لآمَهْ
مَا كَجَهْلِ الْمُصَفِّرِ الأَسْتِ جَهْلاً ... عَنْ بَذَاخَسَّةٍ عَلَتْهَا دَمَامَهْ
مُذْ قَضَاهُ النَّبِيُّ دَيْنَ الأَرَاشِي ... وَقَضَاهُ رِئًا الْوَفَاءِ غَرَامَهْ
لا تَلُمْ فِي الضَّلاَلِ وَالِدَ جَهْلٍ ... مَا عَلَى مِثْلِ مِثْلِهِ مِنْ مَلاَمَهْ
أَخْلَفَا لاَ تَرَى لَنَا فِيهِ خَيْرًا ... غَيْرَ لَعْنٍ يَشِينُهُ بِآسْتِدَامَهْ
وَتَمَطَّى مِنَ الشِّقَاقِ جُمُوحًا ... وَأَزَالَ الشِّقِيُّ عَنْهُ لِجَامَهْ
وَآنْبَرَى مَعْ هُدَى الْهِدَايَةِ يَهْذِي ... جَاهِرًا بالبِذَا يَرِبُّ كَلاَمَهْ
مُذْ أَبَى الْحَقَّ غَيُّهُ عَنْ شَقَاءٍ ... لَمْ يَرَ الْجَهْلُ أَنْ يُوَفِّي ذِمَامَهْ

(1) أي جبل ثور الذي التجأ إليه الرسول مع الصّديق.

حينَ أَمْسَى الشَّقيُّ فيهَا حَرُونًا وَذِرَاعُ المُنَى يَرِيشُ سِهَامَهْ
بَادَرَتْهُ بِبَدْرِهَا عَنْ حِرَانٍ مَا سَقَتْهُ مِنَ المُهَنَّدِ جَامَهْ
حِينَ أَدْلَى لَهُ ٱبْنُ مَسْعُودٍ عَضْبًا مَشْرِفِيًّا مُهَنَّدًا قَدَّ هَامَهْ
لَمْ يخلْهُ الْحجَا يَزِيدُ ضَلالاً حَوْلَ هَادٍ بَدَا وَلاَحَ أَمَامَهْ
40 نَوَّرَ الْكَوْنَ هَدْيُهُ مُذْ تَبَدَّى لَيْلُ صُبْحٍ الهُدَى وَأَجْلَى ظَلامَهْ
لَمْ تَشِمْ مِنْهُ قَوْمُهُ غَيْرَ هَدْيٍ وَدُعَاءٍ لِمَنْهَجِ الاسْتِقَامَهْ
وَبَهَا مَنْظَرٍ وَعَذْبٍ مَقَالٍ وَسَنَا طَلْعَةٍ وَبَهْجَةِ قَامَهْ
رَحْمَةٌ لِلأُلَى أَجَابُوا وَلَكِنْ سَهْمُ حَتْفٍ عَلَى الْعِدَا صَمْصَامَهْ
خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، أَزْكَى رَسُولٍ أَظْهَرَ الدِّينَ بَدْأَهُ وتَمَامَهْ
45 مُذْ دَعَا لِلْهُدَى بِغَيْرِ خَفَاءٍ بَانَ وَجْهُ الْهُدَى وَنَحَّى لِثَامَهْ
مُسْتَعِينًا مِنَ الإِلَهِ بِطَوْلٍ وَمُعِينٌ لَهُ يَسُلُّ حُسَامَهْ
فَاهْتَدَى لِلْهُدَى بِهَدْيِهِ صَحْبٌ مِنْ سُرَاةِ الْحُمَاةِ أَهْلِ شَهَامَهْ
سَادَةٌ أَيَّدُوا بِتَأْيِيدِ هَادٍ فَتَجَافَوْا إِدَادَ أَهْلِ الظُّلَامَهْ[1]
وَجَفَوْا دَارَهُمْ وَخَلَّوا صَفَاهَا وَحِمَاهَا حَطِيمَهُ وَمَقَامَهْ[2]
50 وَٱرْتَضَوْا دَارَ طِيبَةٍ[3] مُسْتَقَرًّا عِنْدَمَا طَابَ تُرْبُهَا لِلإِقَامَهْ
فَكَفَى جَمْعَهُمْ بِهَا خَيْرُ كَافٍ كَفَّ عَنْهُمْ أَكُفَّ أَهْلِ اللآمَهْ
فِي حِمًى طَيِّبٍ وَمَأْوَى مَنِيعٍ وَذُرَى سَاحَةٍ تَعَلَّتْ ضَخَامَهْ
كَانَ مِنْهَا عَلَى الْعِدا يَوْمَ بَدْرٍ مَاشَكَتْ مِنْهُ لِلْقَنَا الصَّمْصَامَهْ
حِينَ لاقَى قَفَا الْوَلِيدِ بِحَدٍّ فَلَّهُ الْهَامُ عِنْدَمَا قَدَّ هَامَهْ
55 وَبَرَى عَمَّهُ بِهِ وَأَبَاهُ عُتْبَةَ حِينَ رَامَ كُلٌّ مَرَامَهْ
فَٱنْبَرَى سَاحَةَ الْقَلِيبِ[4] صَرِيعًا بَعْدَ عِزٍّ وَنَخْوَةٍ كَنَخَامَهْ[5]

---

(1) الإداد : من أدّه الويل، دهاه.
(2) الحطيم : ما بين الركن إلى المقام حيث يتحطّم النّاس للدّعاء.
(3) طيبة : المدينة المنوّرة.
(4) القليب : البئر.
(5) كنخامة : الحسن والشجاعة.

لَـمْ تَبِـنْ أُمُّ عَـامِرٍ(1) وَأَخُـوهَا عَنْـهُ يَوْمًـا حَتَّـى أَبَـانَتْ عِظَامَـهْ
وَٱشْتَكَى لِلظُّبَى حُسَامٌ ٱبْنِ عَفْـرَا(2) مِنْ أَبِـي الْجَهْـلِ حِيـنَ لاَحَ أَمَامَـهْ
هَامُ عَـاتٍ حَكَى عُلَى الْقُنِّ(3) لَكِنْ قُـطَّ فَـوْرًا كَمَـا تُقَـطُّ الْقُلاَمَـهْ
ذَاكَ ذَاكَ الْحِمَى الْمُعَلَّـى الْمُـرَجَّى ذَاكَ ذَاكَ النَّجَـا وَمَغْنَـى السَّلاَمَـهْ
لَيْتَنِـــي لَيْتَنِـــي أَزُورُهُ يَوْمًـــا قَبْـلَ يَـوْمِ الْمَنَـى وَأَلْقَـى غُلاَمَـهْ
وَيُـرَى عَـنْ مُنَـاهُ بَعْـدَ مَنَـــاهَا وَالصَّفَـا مَـا يَـرُومُ قَلْبِـيَ عَامَـهْ
وَعَلَـى مَـنْ ثَـوَى هُنَـاكَ سَـلاَمٌ مِنْ مُعَنًّـى بِغُرْبَـهِ عَـنْ غَـرَامَهْ
ذُو ضَنًـى نَقَّـصَ السِّقَـامُ قُـوَاهُ عِنْـدَمَا زَادَ مَـا أَشَـبَّ ضِـرَامَهْ
مَـا نَـوَاهَا هَـوَاهُ إِلاَّ وَأَثْنَـى لِنَـوَاهَا يَـدُ الـزَّمَانِ زِمَامَـهْ
كُلَّمَـا آشْتَـاقَ لِلْعَقِيـقِ وَسَلْـعٍ(4) سَحَّ مِنْ جَفْنِـهِ الْعَقِيـقُ مُقَامَـهْ
وَهْـوَ مَـازَالَ يَـرْتَجِي فَضْـلَ مَـوْلًى فَـاقَ فَضْـلاً يُنِيلُنَـا إِنْعَامَـهْ
لِيُـزِيلَ السِّقَـامَ عَنْـهُ بِلُطْـفٍ وَيَـرَى الْقَلْـبُ مَا يُـزِيحُ آنْعِدَامَهْ

* * * * *

يَـا إِلاَهَ الْـوَرَى بِـذَاتِ تَسَـامَتْ حَـارَ فِي كُنْـهِ وَصْفِهَـا الْفَهَّامَـهْ
ذَاتِ مَـوْلًى لَهُ وَجُـوبُ بَقَـاءٍ قَـدْ دَرَى الْعَقْـلُ عَنْ يَقِينٍ دَوَامَـهْ
ذَاتِ مَـوْلًى مُنَـزَّهٍ عَـنْ شَـرِيكٍ وَوَزِيـرٍ يُدَبِّـرَنْ أَحْكَامَـهْ
وَهْـوَ يَاحَـقُّ أَنْـتَ مِنْ غَيْـرِ رَيْـبٍ يَعْتَـرِي مَنْ دَهَـا الْهَـوَى أَوْهَامَـهْ
وَبِقَـوْلٍ مُنَـزَّهٍ عَـنْ حَـدُوثٍ قَـوْلِ مَـوْلًى وَعَـى الْكَلِيمُ كَلاَمَـهْ
وَبِـدَاعٍ دَعَوْتَـهُ فَتَـدَلَّى قَابَ قَـوْسَيْنِ وَٱسْتَحَـقَّ الإِمَامَـهْ
مِـنْ بَنِـي هَـاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَـافٍ سَيِّـدِ الأَصْفِيَـا عَظِيـمِ تِهَامَـهْ
أَفْضَـلِ الْعَـالَمِينَ عُـرْبًا وَعُجْمًـا أَحْمَـدُ الْمُصْطَفَـى عَـرُوسِ الْقِيَـامَهْ

(1) أم عامر : أخت أبي بكر الصّدّيق بن أبي قحافة.

(2) ابن عفرا : هو معوّذ بن عفراء، ضرب أبا جهل حتّى أثبته في غزوة بدر، تركه وبه رمق، وحين أمر رسول الله أن يلتمس في القتلى عثر عليه عبد الله بن مسعود و اجتزّ رأسه

(3) القنّ : الجبل الصغير.

(4) العقيق : واد بالقرب من المدينة، كان منتزها في الشتاء والربيع، وسَلع : موضع قرب المدينة.

وَبِجَمْـــعٍ أَنْقَـذْتَنَا بِهُـــدَاهُمْ مِـنْ جَحِيـمٍ لَهَـا الْجُفَـاةُ حُطَامَـهْ
أَنْبِيَـاءٍ زَكَّـوْا وَرُسْـلٍ كِـــرَامٍ أَوْضَحُـوا الْحَـقَّ قَاصِدِينَ آنْتِظَامَهْ
وَبِمَـنْ قَـامَ فِي الطِّبَاقِ الْعَـوَالِي بِمَقَـامٍ أَطَلْـتَ فِيـهِ قِيَامَـهْ
كُـلُّ مَلْـكٍ لَـهُ مَقَـامٌ كَـرِيمٌ لَمْ يَـدَعْهُ حَتَّـى يُـلاَقِي حِمَـامَهْ
وَبِصَحْـبٍ سَمَـوْا بِأَسْمَـى نَبِـيٍّ فَتَسَـامَى فَخَـارُهُمْ عَـنْ فَخَامَـهْ
مِنْهُـمُ السَّيِّـدُ الإِمَـامُ الْمُعَلَّـى مَنْ غَـزَا أَمْـرُه بُغَـاةَ الْيَمَامَـهْ[1]
وَآنْتَضَـى عَنْ أَبِي ثُمَـامَةَ[2] عَضْـبٌ مِنْ ظُبَـا خَـالِدٍ[3] بِهَا قَـدَّ هَامَـهْ
وَبِفَـــارُوقِنَا النَّقِيـبِ الْمُـزَكَّى مَنْ حَمَى الدِّينَ حِينَ سَلَّ حُسَامَهْ
عُمَـرَ بْنِ الْخَطَّـابِ أَزْكَـى أَمِيـرٍ قَـامَ لِلانْتِصَـافِ حَتَّـى أَقَامَـهْ
وَبِعُثْمَـانَ أَسْمَـحِ الْقَـوْمِ نَفْسًـا عَـنْ مَقَـامٍ زَكَـا فَعَلَّـى مَقَامَـهْ
مَنْ لَـهُ فِي مَشَـاهِدِ الْعَـزْمِ ذِكْـرٌ يَقْتَضِـي الْحَـزْمُ فِي أَوَانِ الزَّعَامَـهْ
وَبِعَضْـبِ الْـوَرَى الْعَلِـيِّ عَلِـيٍّ مَنْبَـعِ الْعِلْـمِ بَحْـرِهِ الْعَلاَّمَـهْ
وَالِـدِ السَّيِّـدَيْنِ أَشْـرَفِ آلٍ قَدْ رَقَـوْا مِنْ ذُرَى الْفَخَـارِ سَنَامَـهْ
وَبِسَعْـدٍ وَطَلْحَـةَ وَسَعِيـدٍ وَآبْنِ عَـوْفٍ وَعَامِرٍ ذِي الشَّهَامَـهْ
وَبِقَـدْرِ الـرِّضَا الـزُّبَيْرِ الْمُـزَكَّى كَـاتِبِ الْـوَحْيِ مَنْ بَـرَى أَقْلاَمَـهْ
وَبِعَمَّـيْ عَلِـيٍّ قَـدْرِ عَلِـيٍّ بِهِمَا يُسْتَهَلُّ صَـوْبُ الْغَمَـامَهْ[4]
وَتُنِيـلُ الْمُنَـى بِهِـمْ نَفْسَ رَاجٍ وَتُـزِيلُ الضَّنَـى وَتَبْـرِي سِقَامَـهْ
بِالْحُسَيْـنِ وَصِنْـوِهِ وَبَنِيهِـمْ وَعُقَيْـلٍ وَجَعْفَـرٍ وَأُسَامَـهْ[5]
وَأَبِيـهِ الَّـذِي أَتَـى لَـهُ ذِكْـرٌ فِي الْكِتَـابِ الْكَرِيمِ وَهْيَ كَرَامَـهْ
آلُ بَيْـتٍ سَمَـوْا بِأَسْمَـى تَبَـاهِي بِآعْتِـلاَهُ الْمَـدَى فَبَـاهِى كِـرَامَهْ

(1) هو أبو بكر الذي أمر بحرب الردّة.
(2) أبو ثمامة : يبدو أنّه من المرتدين.
(3) خالد بن الوليد : سيف الله، مقامه في حمص، قاتل الفرس في العراق والبيزنطيين في الشام وانتصر عليهم.
(4) عمّا علي بن أبي طالب منهما عبد الله والد محمّد ﷺ.
(5) أسامة وهو ابن زيد بن حارثة، صحابي من رواة الحديث.

آلُ بَيْتٍ عَلاَ بِنَاهُ قُصَيٍّ عِنْدَمَا حَطَّ بِالْحَطِيمِ حُطَامَهْ
وَبِغِيدٍ كِرَامِ أَصْلٍ أَثِيلٍ خَيِّرَاتٍ لَهُنَّ تُعْزَى الْفَخَامَهْ
قَدْ تَشَرَّفْنَ بِالْحَبِيبِ الْمُعَلَّى عَنْ فَخَارٍ عَلاَ نَشَرْنَ عَلاَمَهْ
وَبِمَنْ صَالَ طِرْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ بَعْدَ أَنْ سَلَّ عَضْبُهُ ثَمَّ صَامَهْ(1)
وَبِمَنْ جَالَ طِرْفُهُ بِحُنَيْنٍ فَاشْتَكَى الطِّرْفُ فِي الْمَجَالِ لِجَامَهْ
وَبِمَنْ لِيمَ عَنْ غُزَاةِ تَبُوكٍ فَأَتَاهُ الأَمَانُ غَبَّ الْمَلاَمَهْ
وَبِمَنْ ضَمَّ فِي ضَرِيحِهِ جُزْءًا شَعَرًا طَاهِرًا أَدَامَ اعْتِرَامَهْ(2)
قَائِدِ الْجَمْعِ يَوْمَ جَمْعِ الْبَرَايَا وَبِهِ الْجَمْعُ يَرْتَجُونَ السَّلاَمَهْ
وَبِأَتْبَاعِهِمْ وَمَنْ قَدْ تَقَوْهُمْ وَرَوَوْا حِلَّ دِينِنَا وَحَرَامَهْ
جُمْلَةِ التَّابِعِينَ مَعْ تَابِعِيهِمْ مُرْشِدِي الْخَلْقِ لِلطَّرِيقِ الْمُقَامَهْ
وَبِمَنْ نَالَ مِنْكَ سِرًّا يُجَلِّي بُوسَ مَنْ سَاءَهُ الزَّمَانُ وَسَامَهْ
أَصْفِيَاءِ الأَنَامِ فِي كُلِّ عَصْرٍ من لدن آدم ليوم القيامه
كُنْ بِنَا يَارَحِيمُ بَرًّا رَؤُوفًا وَأَنِلْ كُلَّ مَنْ رَجَاكَ مَرَامَهْ
وَامْنَحِ الْجَمْعَ مِنْ عَطَائِكَ نُعْمَى عَنْ مُنَى رَحْمَةٍ تَعُمُّ عَوَامَهْ
وَتُنِيلُ الْجَمِيعَ خَيْرًا وَتَشْفِي كُلَّ ذِي عِلَّةٍ يُعَانِي سِقَامَهْ
وَاكْفِنَا الْكُلَّ كَفَّ كُلِّ مَرُوعٍ وَاعْتِدَا كُلِّ مُجْتَرٍ نَمَّامَهْ
وَأَدِمْ لِلْوَرَى مُؤَيَّدَ أَمْرٍ ذَا سَدَادٍ يُزِيلُ ضَيْمَ الظَّلامَهْ
فَتَنَامُ الأَنَامُ فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَهَنَاءٍ وَنِعْمَةٍ وَكَرَامَهْ
وَاحْمِنَا مِنْ لَظًى فَإِنَّا ضِعَافٌ وَاكْفِ كُلاًّ عَذَابَهَا وَغَرَامَهْ
وَامْنَحِ الْوَالِدَيْنِ أَجْمَعَ رُحْمَى لاَ تُبَقِّي لآثِمٍ آثَامَهْ
وَاكْفِ صَيْدَ الْحِمَى حِبَالَةَ بَاغٍ وَأَذَى بَاغِضٍ يَرِيشُ سِهَامَهْ(3)

---

(1) الطِّرف : الفرس والصامة : الصمصامة

(2) إشارة إلى أبي زمعة البلوي الصحابي دفين القيروان.

(3) تورية باسمه.

وَآخْتِـــمِ الْعُمْـــرَ يَا إلاَهِـي بِخَيْـــرٍ لاَ نَـــرَى مَعْهُ فِي الْمَعَـادِ ذَمَامَـــهْ
بِأَعَـــزِّ الْـــوَرَى الشَّفِيـــعِ الْمُـــرَجَّى حِيـنَ يَدْعُـوكَ يَا سَـــلاَمُ السَّلاَمَـهْ
وَعَلَيْـه مَـدَى الْمَـدَى كُـلَّ وَقْـتٍ مِنْـــكَ رَبِّـــي صَـــلاَة ودٍّ مُدَامَـــهْ
وَكَـــذَا ٱلآلُ مَعْهُـمُ كُـلُّ صَحْـــبٍ وَسَـــلاَمٌ كَعَـــرْفِهِمْ بِآسْتِدَامَـــهْ
مَا شَذَتْ فِي الرِّيَاضِ نَفْحَةُ زَهْـرٍ وَشَـدَتْ فِيـه فَـوْقَ غُصْـنٍ حَمَامَـهْ
بَلْ سَـــلاَمٌ مَـــوَاصَلٌ كُـلَّ حِيـنٍ بَـدْءَ مَا كَـانَ فِي الـــدُّنَا وَتَمَامَـــهْ
لِلْبَـــرَايَا بِـــهِ الْمُنَـــى كُـــلَّ وَقْـتٍ أَرَّخُـــوا أَوْبَـــهُ النَّعِيـــمَ خِتَامَـــهْ

- سنة 1261 -

4 - لاَحَ شَمْسًا لِلْهُدَى

ولَه أيضًا تغمّده الله في رَحْمَته وأسْكَنَهُ فسيح جنَّته :

[الرَّمَل]

لاَحَ شَمْسًـــا لِلْهُـــدَى لَمَّـــا ظَهَـــرْ مُسْفِـرًا عَـنْ حُسْـنِ وَجْـهٍ قَدْ زَهَـرْ
فَجَـــلاَ الإظْـــلاَمَ عَنْهَـــا بِالْبَهَـــا مِثْلَمَـا يَجْلُـو الـدّجى ضَـوْءُ الْقَمَـرْ
صَفْـــوَةٌ قَـــدْ قُـــدِّرت يَاقُوتَـــةً صـــورة إنسيّـــة تَسْبِـــي النَّظَـــرْ
قَـدْ بَـــرَاهَا اللهُ مِـنْ دُرِّ السَّنَـــا لاَ تَقُـــلْ مِنْ دُرَّةٍ مِثْـــلِ الـــدُّرَرْ
بَـــلْ بَـــرَى دُرَّةَ نُـــورٍ صَـــاغَهَا طَـــوْلُهُ الْبَـــاهِرُ مِنْ نُـــورٍ بَهَـــرْ
وَبِهَـــا حَقًّـــا وَمِنْهَـــا قَـــدْ بَـــرَى كَـــوْنَهُ هَـذَا كَمَـا جَـــاءَ الأَثَـــرْ
وَانْتَمَـــتْ فِـي دَوْحَـــةٍ مَكِّيَّـــةٍ رَوْضَـــةٌ قَـدْ طَـابَ فِيهَـا الْمُسْتَقَـرْ
وَآسْتَنَمَّـــتْ زَهْـــرَةٌ مِـنْ رَوْضَـــةٍ طَـابَ طَـابَ الـزَّهْرُ فِيهَـا والثَّمَـرْ
أَثْمَـــرَتْهَا نَبْعَـــةٌ فِـي هَـــاشِمٍ أَصْلُهَـا الطَّيِّـبُ مِـنْ عَلْيَـا مُضَـرْ
كَـــانَ عَدْنَـــانُ انْتَمَـــاهَا بِآصْطِفَـــا مُـــذْ صَفَـــاعَنْهَا صَفَـاهَا وَآسْتَقَـــرْ
فِي حِمَـى بَيْتِ الْخَلِيـلِ الْمُرْتَضَـى جَـــدُّهُ الطَّيِّـــبُ عَـــالِي الْمُفْتَخَـــرْ
وَآنْتَمَـــاهَا طَـــاهِرٌ مِـنْ طَاهِـــرٍ مِنْ أَبِينَـــا آدَمَ أَصْـــلِ الْبَشَـــرْ
هَـلْ سَمِعْتُمْ مِثْـلَ ذَا مِنْ مَفْخَـرٍ يَالَقَـوْمِي لآمْـرِئٍ فِيهَـا آفْتَخَـــرْ
وَهْـيَ مَـعْ هَـذَا الْفَخَـارِ الْمُعْتَلَـى غُـــرَّةٌ واللهِ مِنْ أَسْنَـــى الْغُـــرَرْ

* * * * *

طلعـــةٌ مَيْمَـــونَةٌ مُـذْ طَلَعَـــتْ فِي سَمَـــا أَوْجِ الْعُلَـــى زَال الْغَـرَرْ
كَيْفَ لاَ ؟ وَهْـيَ الْحَبِيـبُ الْمُجْتَبَـى كَيْفَ لا وَهْوَ الرِّضَا الأَرْضَى الأَبَرْ ؟

أَحْمَدُ الْمَبْعُوثُ لِلْخَلْقِ هُدَى كَيْ يَقِيهِمْ مِنْ لَظَى بَلْوَى سَقَرْ
أَيْمَنُ الطَّلْعَةِ عِطْرِيُّ الشَّذَا أَزْهَرُ الْوَجْنَةِ مَكْحُولُ أَغَرْ
لاَ طَوِيلٌ إِنْ تَبَدَّى أَوْ مَشَى لاَ وَلا يَعْلُوهُ شَيْنٌ مِنْ قِصَرْ(1)
مَنْ بِهِ الشَّمْسُ اكْتَسَتْ نُورًا زَهَا وَبِهِ الْبَدْرُ اكْتَسَى حُسْنًا زَهَرْ
كَمَّلَ اللهُ بِهِ نُورَ الْهُدَى عِنْدَمَا سَوَّاهُ فِي أَبْهَى الصُّوَرْ
دَاعِيًا لِلْحَقِّ رُشْدًا هَادِيًا لِلْوَرَى رِفْقًا بِجَهْرٍ مَا أَسَرْ
فَأَبَاهُ عَنْ شَقَا أَهْلُ الْجَفَا مَنْ رَضُوا أَنْ يَعْبُدُوا كُفْرًا حَجَرْ
وَهْوَ مَعْ مَا كَانَ مِنْ كُفْرِ الْعِدَا لَمْ يَقُلْ وَاللهِ رَبِّي لاَ تَذَرْ
كَمْ أَرَاهُمْ مِنْ غَرِيبٍ مُعْجِبٍ بَهَرَ الأَبْصَارَ فِي وَقْتِ السَّحَرْ
وَهْوَ أَجْلَى مَا تَجَلَّى فِي ضُحًى مِنْ مُنِيرٍ ضَاءَ يُدْرَى بِالْبَصَرْ
وَيَرَاهُ الْعَقْلُ إِعْجَازًا جَلاَ كُلَّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ سُوءِ الْفِكَرْ
سَلَّمَ الضَّبُّ عَلَيْهِ وَالْتَجَا بَازِلٌ(2) كَالطَّوْدِ وَانْشَقَّ الْقَمَرْ(3)

(1) من صفات النّبيء ﷺ الخلْقيّة أنّه كان أزهرَ اللّون (نيّر اللّون) أنْجَلَ (واسع العين مع حسن) أشكل (في بياض عينيه حمرة) أدعج (شديد سواد الحدقة مع سعة فيها) أهدب الأشفار، أبْلج (مضيء الوجه مشرقه) أزجّ (دقيق الحاجبين في طول) أقْنَى (مرتفع قصبة الأنف) أفْلجَ (مفرج بين الثّنايا والرّباعيات) مدوّر الوجهه؛ واسع الجبهة؛ كثّ اللحية تمْلأ صدره؛ عظيم الصّدر؛ عظيم المنكبين؛ ضخم العظام؛ عبل العضدين والذراعين والأسافل، رحب الكفّين، والقدمين... ربعة القد؛ ليس بالطويل البائن (مفرط الطول) ولا القصير المتردّد (المتناهي في القصر) ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطّول إلاّ طاله؛ رَجْل الشعر؛ إذا آفترّ ضاحكا افترّ عن مثل سنا البرق؛ وإذا تكلّم رُئي كالنّور يخرج من بين ثناياه؛ أحسن النّاس عُنُقًا؛ ليس بمطهّم (الكثير اللّحم) ولا مُكلثم (صغير الذّقن)... الخ.

(2) البازل: نوع من الوُعُول الضّخمة.

(3) أراد المشركون تعجيز الرّسول ﷺ فاجتمعوا وقالوا: يا محمد؛ إن كنت صادقًا فأرنا آية نطلبها منك؛ وهي أن تشقّ لنا القمر مزقتين؛ فأعطاه الله هذه المعجزة؛ وانشقّ القمر فرقتين؛ فقال رسول الله: اشهدوا. وقد روى هذه القصّة من السابقين الأولين عبد الله بن مسعود؛ وعبد الله بن عبّاس؛ ورواها جمع غزير من الصحابة حتّى صار الحديث كالمتواتر؛ وقد ذكرها القرآن الكريم في أول سورة القمر؛ فقال تعالى: ﴿اقتربت السّاعة وانشقّ القمر﴾ ولمّا رأى المعاندون هذه الآية الكبرى؛ قال بعضهم: لقد سحركم آبن أبي كبشة؛ فأنزل الله فيهم الآية ﴿وإن يَرَوْا آيةً يُعرضوا يقولوا سِحْرٌ مُسْتمِر﴾ وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين.

وَوْقَـى الظَّبْيَـــةَ لَمَّـا أَنْ شَكَـــتْ ضَيْرَ خَشْف[1] خَلْفَهَا يَخْشَى الضَّـرَرْ
وَكَفَـى الأَلْـفَ[2] بِصَـــاعٍ وأُلُـــو فًـا كفاهَا الـرِّيَّ مِـنْ مَـاءٍ[3] نَـزَرْ[4]
رَدَّ عَيْنًـا[5] حِيـنَ سَـــالَتْ فَغَـدَتْ خَيْـرَ عَيْنَـيْ رَبِّهَـا حَـالَ النَّظَـرْ
حَـنَّ جِـذْعٌ[6] إِذْ نَـأَى عَنْ قُـرْبِه مَـدَّت السَّرْحَـةُ[7] فَيْئًـا وَآسْتَمَـرْ
مِثْلَمَـا قَـدْ ظَلَّلَـــتْ غَمَامَـــةٌ كَـيْ تَقِيـه الْحَـرَّ فِي هَـاجِرِ حَـرْ
وَلَكَـمْ مِـنْ غَيْـرِ هَـــذِي وَلَكَـمْ ! مَنْ يَـرُمْ حَصْـرًا لَهَا نَـالَ الْحَصَرْ

* * * * *

وَآهْتَـدَى بِالآيِ هَـــدْيًا مَـنْ رَضُـــوا دِينَـــهُ الـــدَّاعِي لَـهُ لَمَّـا أَمَـــرْ ؟
سَـــادَةٌ، أَهْـلُ آعْتِـــزَارٍ وَآهْتِـــدَا مِنْ سَـرَاةِ الْعُرْبِ أَرْبَـابِ[8] الحَضَرْ
هَاجَـرُوا وَاللهِ -لَمَّـا أَنْ جُفُـــوْا- دَارَهُـمْ هَجْـرًا وَمَنْ فِيهَـا هُجِـــرْ
وَأَتَـــاحَ اللهُ مَـنْ قَـــوَّى بِهِـمْ سَـاعِدَ الـدِّينِ قُـوًى حَتَّى انْتَصَـرْ
صَفْـوَةَ الأَنْصَـارِ أَنْصَـارَ الْهُـــدَى عِتْـرَةَ الـدِّينِ الْقَـوِيمِ الْمُنْتَصِـرْ

---

(1) الخشف : ولد الغزالة وأوّل ما يُولد.

(2) روى جابر أنّه عليه السّلام أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير ؛ وقال جابر : فأقسم بالله لأكلوه حتّى تركوه ؛ وأنّ بُرْمَتَنَا لتغطّ كما هي ؛ وأنّ عجيننا ليخبز.

(3) روى جابر فقال : «عطش النّاس يوم الحديْبيَّة ؛ ورسول الله بين يديه رَكوَةٌ ؛ فتوضّأ منها وأقبل النّاس نحوه وقالوا : ليس عندنا ماء إلاّ ما في ركوتك ؛ فوضع يده في الرّكوة ؛ فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال العيون ؛ قيل : كم كنتم ؟ قال : لو كنّا مائة ألف لكفانا ؛ كنّا خمس عشرة مائة، وروى هذه القصّة جمع عظيم من الصحابة.

(4) ماء نَزْرٌ : قليل

(5) أصيبت عين قتادة يوم أُحد حتّى وقعت على وجنته ؛ فردّها عليه السّلام ؛ فكانت أحسن عينيه وأحدّهما.

(6) روى جابر قصّة حنين الجذع : كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبيء إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صعد المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار (النّوق) وفي رواية أنس ؛ حتّى آرتجّ المسجد لخواره ؛ وفي رواية : وكثر بكاء النّاس بما رأوه به وفي أخرى وآنشق حتى جاء النبيء فوضع يده عليه فسكت.

(7) السّرحة : كلّ شجر طال ومدّ فَيْئًا أي ظلاً.

(8) ينقسم بنو قحطان وهو أبو قبائل اليمن العربيّة إلى فرعين : حِمير وأكثرهم أهل حَضَرٍ، وكهلان وأكثرهم أهل وبر.

40 فَانْبَرَى الأَشْرَاكُ وَالرَّهْطُ الأُلَى أَشْرَكُوا بِاللَّهِ يَشْكُونَ الذَّعَرْ
وَاضْمَحَلَّ الشِّرْكُ مِنْ أُمِّ الْقُرَى[1] وَانْمَحَى إِذْ مَا رَأَى فِيهَا مَقَرْ
إِذْ غَزَاهَا بِكَمَاةٍ هصَّرٍ لاَ يَخَافُونَ بِهَا لَيْثًا هَصَرْ
أُسْدِ غَابٍ عَزَّ، كَرُّوا مِنْ ذُرَى يَثْرِبَ الغَرَّا حِمَاهُمْ وَالوَكَرْ
إِنْ عَلاَ الْهُجَّامُ مِنْهُمْ صَهْوَةً وَانْتَضَى هِنْدِيَّهُ العَضْبَ الذَّكَرْ
45 شَرَّدَ الضِّرْغَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ وأَرَاعَ النِّمْرَ فِي أَعْلَى قَتَرْ[2]
مُذْ تَدَاعَوْا يَوْمَ بَدْرٍ لِلْعِدَا وَدَعَتْ أَبْطَالُهُمْ أَهْلَ الْبَطَرْ[3]
صَبَّحُوهُمْ فِي قَلِيبٍ[4] صُرَّعَا كَجَذُوعٍ قَدْ تَخَوَّتْ مِنْ حُفَرْ
حَيْثُ لاَ رِيحَ تَقَوَّتْ صَرْصَرًا فَعَرَتْهُمْ كَالنَّخِيلِ الْمُنْقَعِرْ
بَلْ دَهَاهُمْ مِنْ لَهَاةِ الْمُنْتَضَى وَسِنَانِ الْمَشْرَفِيِّ الكَأْسُ الأَمَرْ
50 مِنْ سُقَاةٍ بَلْ رُمَاةٍ تَدَّرِي لا يَرَوْنَ الذُّعْرَ فِيهَا وَالوَعَرْ
حِزْبُ مَوْلَى عَزَّزَتْهُ قُوَّةٌ عِزَّةُ المَوْلَى وَجَيْشٌ مُنْتَشِرْ
إِنْ أَعَدُّوا عَادِيَاتٍ لِلْوَغَى أَوْ ظُبَى تَبْرِي قَفَا مَنْ قَدْ كَفَرْ
صَبَّحُوا الأَحْيَاءَ فِي حَبْوَكَرَى[5] صُبْحُهُمْ أَيْنَ المَفَرْ أَيْنَ المَفَرْ
لاَيَرَوْنَ اللَّيْلَ طَعْمًا لِلْكَرَى مَنْ حَبَوا مَا بَيْنَ فِكْرٍ وَسَهَرْ
55 حِينَ أَمْسَوْا والعَوَالِي حَوْلَهُمْ فِي حَطِيمٍ بَعْدَ أَمْنٍ فِي ذُعَرْ
بِخَمِيسٍ ذِي اعْتِزَازٍ مُذْ غَزَا مَنْ ثَوَى فِي مَكَّةٍ مِمَّنْ حُصِرْ
كَدَّرَ الأَحْيَاءَ حَتَّى أَصْبَحُوا كَالقَطَا[6] الكُدْرِيِّ إِنْ صَاحَ الكَدَرْ

---

(1) أمّ القُرى : مكّة المكرّمة.
(2) في أعلى جهة أو ناحية.
(3) أهل الجحود : أهل الكفران بالنعمة.
(4) البئر سمي قليبا لقلب التراب حين يحفر.
(5) في حيرة من أمرهم وهم يتنادون في صبحهم : أين المفر ؟ والحَبَوْكَرُ أيضا رمل يضل فيه السّالك ؛ وتطلق كذلك على الدّاهية ؛ وأمّ حَبَوْكرى : أعظم الدّواهي.
(6) القطا : طائر في حجم الحمام، والكدْرِيُّ : ضربٌ من القَطا غُبْرُ الألوان، رُقْشُ الظُّهُورِ، صُفْرُ الحُلُوقِ.

عنْـدَمَا رَاعُـوا حِمَـــاهُمْ بِالظُّبَى وَهْوَ مَأْوَى أَمْنِ مَنْ فِيهَا افْتَخَرْ
وَرَأَوْا أن لاَحِمًـى يَحْمِـي حِمَـى مَنْ ثَوَى قُرْبَ الصَّفَا مِمَّنْ أَصَرْ
بَـادَرُوا لِلسِّلْـمِ كَيْمَـا يَسْلَمُـوا وَهْوَ أَوْلَى وَوِقًـا[1] مِنْ كُـلِّ شَـرْ
وَأَتَـى اللهُ بِفَتْـحٍ مُسْعِـــدٍ كَانَ ظَفْرًا لأَخِي عَلْيَـا آنْتَصَرْ
فَتْـحِ خَيْـرٍ فِيه خَيِّـرٌ بَعْـدَهُ كُـلُّ خَيْـرٍ مِنْـهُ خَيْـرٌ مُنْتَظَـرْ
أَسْعَـدَ اللهُ بِـه قَـوْمًا حَـوَوْا عِـزَّةً مِنْ بَعْـدِه فِي كُـلِّ بَـرْ
وَآسْتَتَـمَّ الأَمْـنُ فِيهَا عَـنْ مُنَى بِمِنَـاهَا مَعْ صَفَـاهَا وَآسْتَمَـرْ
فَآرْتَقَى فِيهَا آبْنُ هِنـدٍ عن هُـدَى وَآحْتَضَتْ أُنْثَى بَنِيـهِ كَالذَّكَـرْ
وَآسْتَمَى العَبَّاسُ فِيهَا عَنْ صَفَا فَآسْتَقَى أَهْلُ الصَّفَا بِهِ المَطَـرْ
وَآعْتَلَـتْ أَبْنَـا بَنِيـهِ فِي حِمَى مُلْـكِ بَغْـدَان عُلَى عَـالٍ قَـدَرْ

* * * * *

نَحْمَـدُ المـولى عَلَـى ذَا جَمْعَنَـا وَلَهُ الشُكْـرُ عَلَى مَنْ قَدْ حَضَـرْ
بَـلْ عَلَى مَنْ فِي الدُّنَى مِنْ حَاضِر عُجْمِهِمْ والعُـرب بَـدْوٍ مَعْ حَضَـرْ
وَآعْلَمُـوا، واللهِ، يَـا أَهْـلَ النُّهَـى أَنّ فَضْـلَ الصّحْبِ فَضْـلٌ مُشْتَهِـرْ
إِذْ لَهـم فِي كُـلِّ طَـوْقٍ مِنَّـةٌ لَمْ نُـوَفِّي شُكْـرها عَصْـرًا عَصَرْ
مَهَّـدُوا أَرْجَـاءَهَا حَتَّـى صَفَـتْ أَوْضَحُـوا بُـرْهَانَهَا حَتَّى آنْتَشَـرْ
كُـلُّ مَـا جَـاءَ البَـرَايَا بَعْـدَهُمْ فَهُـوَ مِنْهُـمْ فِي البَـرَايَا مُـذَّخَرْ
جَمَّـلَ اللهُ لَهُمْ أَسْنَـى الجَـزَا وَحَبَـا أَرْوَاحَهُـمْ رَوْحًـا وَبِـرْ
فَآسْأَلُوا المَوْلَى بِهِمْ يَا جَمْعَنَـا فَهْـوَ يَا أَهْلَ النُّهَى المَوْلَى الأَبَـرْ

* * * * *

يَـا إِلَـهَ العَـرْشِ بِالـذَّاتِ الّتِي لَمْ يُحِطْ عِلْمًا بِهَا وَهْمُ الفِكَـرْ
بِالحَبِيـبِ المُصْطَفَـى بِالاصْطَفَـا بِآعْتِـلاَ القَـدْرِ بِسِرٍّ مِنْهُ سَـرْ
بِجَمِيـعِ الـرُّسْلِ أَهْـلِ الاصْطَفَـا بِجَمِيعِ الأَنْبِيَـا الـزُّهْرِ الغُـرَرْ
بِالأُلَـى قَـرَّبْتَ مِنْ أَهْـلِ السَّمَـا سُفَـرَاءَ الـوَحْيِ مِنْهَـا لِلبَشَـرْ
بِآعْتِـلا الأَمْـلاَكِ، بِالأَمْـلاَكِ بِالـ ـحَامِلِينَ العَـرْشَ، بِالعَـرْشِ المَقَـرْ

(1) أصله وِقَاءٌ قُصِر لضرورة الوزن.

بِهُـدَى مَـاقَدْ حَـوَتْ أَرْبَعَـةٌ[1] أُنْزِلتْ بالحَـقِّ، بالإحْدَى عَشَـرْ !
أَحْمَـدُ المُخْتَـارِ مَعْ صِدِّيقِـه[2] صَـادِقِ اللَّهْجَـةِ بالأَرْضَـى عُمَـرْ[3]
بالنَّـدي عُثْمَـانَ[4] بالعَـالِي عَلـي بِآبْنِ عَـوْفٍ مَعْ سَعِيـد[5] بالأَغَـرْ
سَعْـدُهُمْ مَعْ طَلْحَـةٍ[6] مَعْ عَـامِرٍ بالـزُّبيرِ[7] كَـاتِبِ الزُّهْـرِ السُّـوَرْ
85 بِجَمِيـعِ الآلِ بالـزَّهْرَا بِمَـنْ فَازَ بالـرِّضْوَانِ مِنْهُـمْ وَالشَّعَـرْ[8]
صَـاحِبُ المُخْتَـارِ ذُو العَلْيَـا أَبُـو زَمْعَـةَ مَنْ شَـاعَ فَضْـلاً وَٱشْتَهَـرْ
بِالأُلَـى كَـانُوا عَلَـى مِنْهَـاجِهِمْ بِٱقْتِفَـا الآثَـارِ عِلْمًـا بِالأَثَـرْ
جُمْلَـةِ الأَتْبَـاعِ أَتْبَـاعِ الهُـدَى مَـنْ رَوَوْا آثَـارَ طَـهَ والسِّيَـرْ
بِهُـدَى أَتْبَـاعِهِمْ فِي الاقْتِـدَا بِهُـدَاهُمْ بِٱهْتِـدَا مَنْ قَـدْ غَبَـرْ
90 جُـدْ لَنَـا يَـاذَا العُلَـى مِنْ كُلِّمَـا قَـدَّرَ المِقْـدَارُ مِنْ خَيْـرٍ هَمَـرْ
وَٱكْفِنَـا يَـا خَيْـرَ كَـافٍ كَـفَّ مَنْ مَـدَّ بَـاعَ السُّـوءِ أَوْ أَضْـرَى فَضَـرْ
وَٱمْـحُ بِالأَفْضَـالِ طَـوْلاً سُـوءَمَا سَـوَّدَ الـوِزْرُ عَلَى وَفْـقِ القَـدَرْ
كَـيْ يشُـدّ الإِزْرُ عِـرْضًا وَأَجِـي مُطْمَئِنًّـا وَأُنَـادِي لاَ وَزَرْ

---

(1) الكتب السماويّة المعروفة والإحدى عشر هم الصحابة الذين ذكرهم.

(2) هو أبو بكر الصديق.

(3) عمر بن الخطّاب ثاني الخلفاء الرّاشدين، حارب في طبرستان تحت إمرة سعيد بن العاص.

(4) عثمان بن عفّان أحد الخلفاء الرّاشدين.

(5) عبد الرحمان بن عوف : أحد العشرة المبشّرين بالجنّة وسعيد بن العاص هو حاكم الكوفة والمدينة، ساعد الخليفة عثمان على جمع القرآن، قاد الجيوش الإسلاميّة في طبرستان وجُرْجَان، توفّي في العقيق سنة 678 م.

(6) طلحة بن عبيد الله : صحابي من العشرة المبشرين بالجنّة، هاجر مع النّبيء وجُرِحَ دفاعًا عنه وقتل في وقعة الجمل سنة 656 م.

(7) الزّبير بن العوّام : قرشي من الصّحابة، أمه صفيّة بنت عبد المطّلب عمّة النّبيء، أحد أصحاب الشورى السّتة ؛ هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا واليرموك، وفتح مصر ؛ وقتل مع طلحة في وقعة الجمل.

(8) أبو زمعة البلوي الصحابي الجليل وصاحب شعرات الرسول، كان يحملها فدفنت معه في قبره بالقيروان.

وَآمْنَحِ الإِسْلاَمَ جَمْعًا رَحْمَةً لاَ تُبَقِّي لآمْرِئٍ وِزْرًا نَزَرْ
وَأَزِلْ يَا بَرُّ بِرًّا مَحْلَ ذَا الْـ ـبَرِّ كَيْمَا يَرْتَشِي أَهْلُ الْوَبَرْ
وَآتِهِ صَوْبَ حَيَاءٍ مُفْعَمٍ يُفْعِمُ الأَرْجَا بِإِنْعَامٍ وَدَرْ
وَيَعُمُّ الْبَرَّ بُرًّا[1] عَنْ رَخًا مَعْ أَرِيٍّ قَبْلَهُ زَيْتٌ بَدَرْ
فَيَقُولُ النَّاسَ هَذَا مَطَرٌ يَرْخُصُ الزَّيْتُ صُوَاعًا مَعْ مَطَرْ[2]
وَاعْفُ وَاصْفَحْ وَأَنِلْ وَآمْنُنْ وَصُنْ وَاشْفِ ؛ وَاكْفِ وَأَنِلْ وَاجْبُرْ وَسُرْ
وَاحْفَظِ الأَبْنَاءَ جَمْعًا وَأَنِلْ وَالدِينَا أَجْمَعًا نَيْلَ الأَبَرْ
نَيْلَ مَوْلًى يُفْعِمُ الإِنْعَامَ عَنْ مَنْ بَدَا، مَنْ بَرَّ أَوْعَقَّ فَفَرْ
وَاخْتِمِ الأَعْمَارَ بِالْحُسْنَى الَّتِي يَرْضَهَا مُحْتَضِرٌ مَعْ مُحْتَضَرْ
وَتُحِلُّ الْجَمْعَ فِي دَارِ الرِّضَا دَارِ عَدْنٍ حَوْلَ رَوْضٍ وَنَهَرْ
فِي قُصُورٍ قَدْ تَعَلَّتْ غُرَفًا مَعْ حِسَانِ الْحُورِ رَبَّاتِ الْحَوَرْ[3]
وَاكْفِ مَنْ صَاغَ جُمَانًا عَدَّهُ كَاسْمِكَ الْكَافِي عِشَارًا إِنَّ عَشَرْ
وَصَلاَةً مِنْ عُلًى مَوْلًى عَلَى مَنْ تَرَقَّى سَامِيًا حَتَّى ظَهَرْ
أَحْمَدَ الْمَبْعُوثِ لِلْخَلْقِ هُدًى خَيْرِ مَنْ وَفَّى وَلَبَّى وَنَحَرْ
وَجَمِيعِ الأَنْبِيَا طُرًّا وَمَنْ مِنْهُمْ رُسْلاً إِلَى رُسْلِ الْبَشَرْ
وَكَذَا آلِ النَّبِي مَعْ صَحْبِهِ عُدَّةِ الْمُرْتَاعِ إِنْ زَاغَ الْبَصَرْ
مَا انْجَلَى إِصْبَاحُ فَجْرٍ مُسْفِرًا عَنْ جَبِينِ الصُّبْحِ ضَوْءًا وَانْبَهَرْ

(1) البرّ : الحَب، والأريّ : العسل.
(2) مطر : كيل للزيت.
(3) الحوَرُ : اشتداد بياض العين وآشتداد سوادها.

5 - ابْتِهَـالاَت

وَلَهُ أَيْضًا - رَحِمَه الله - في المَعْنَى :

[الكامل]

أَنْـتَ الإِلاَهُ المُنْعِـمُ الحَنَّـانُ وَبِكَ المُنَى وَالفَضْـلُ وَالإِحْسَانُ
يَا وَاحِـدُ، يَا مُنْعِـمُ، يَا قَـادِرُ يَا رَاحِـمُ، يَا بَـرُّ، يَا دَيَّـانُ
يَا مَنْ لَهُ التَّصْرِيفُ بِالأَمرِ الَّذِي دَانَتْ بِـهِ فِي مُلْكِـهِ الأَدْيَـانُ
يَا مُوجِدَ الـدُّنْيَا بِأَبْدَعِ حِكْمَـةٍ قَـدْ دَلَّ عَنْهَا الكَـوْنُ والحَـدْثَانُ
وَدَحَـا[1] بِهَا وَجْـهَ البَسِيطَةِ بَعْدَمَا خَلَقَ السَّمَاءَ وَمَنْ بِهَا قَدْ كَانُوا
وَحَبَـا بِذِكْـرٍ قَالَ فِيهِ لِمَنْ حَبَـا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ العُلَى الرَّحْمَانُ
أَقْصَى وَأَدْنَى طِبْـقَ مَاحَكَمَ القَضَا فَلَنَـا الـرِّضَاءُ بِـذَاكَ وَالإِذْعَـانُ
مَنْ جَالَ عَقْلُـهُ فِي تَعَجُّبِ مَا أَتَى مُسْتَغْـرِبًا أَوْدَى بِـهِ الجَـوْلاَنُ
اللهُ يَحْكُمُ لَنْ يُعَقِّـبَ حُكْمَـهُ مَلَـكٌ وَلاَ جِـنٌّ وَلاَ إِنْسَـانُ
فَلَقَدْ قَضَى مَا قَدْ جَرَى قَبْلَ الوَرَى لاَ زِيـدَ فِي أَمْـرٍ وَلاَ نُقْصَـانُ

* * * * *

كَتَبَ الشَّقَاءَ عَلَى أَبِي جَهْـلِ القَضَا وَغَدَا لِحُكْمِـهِ سَـالِمًا سَلْمَانٌ[2]
وَقَضَى لحمزة[3] بِالرِّضَا فَتَشَـوَّقَتْ شَـوْقًا إِلَيْـهِ الحُـورُ والوُلْـدَانُ

(1) دحَا الله الأرض : بسطها.

(2) سلمان الفارسي من مشاهير الصحابة ومن طليعة الفرس الذين دخلوا الإسلام؛ وأصله من جبى وآسمه قبل الإسلام ؛ ما به بن بوذخشان، وهو الّذي أشار على الرّسول بحفر الخنْدق، قال فيه النبيّ ﷺ «سلمان منّا، هل البيت» وقصة اسلامه مفصّلة في كتب السّيرة.

(3) حمزة عمّ النّبي : كان إيذاء قريش لابن أخيه سببا في إسلامه، قاتل في غزوة بدر، وقتل في غزوة أحد بيد وحْشي.

لَمْ يَأْتِ لَحدَهُ مُذْ قَضَى مُسْتَشْهدًا ... إلاَّ تَلَقَّى رُوحَهُ رِضْوَانُ
وَقَضَى عَلَى حَمَّالَة الحَطَبِ الشَّقَا ... لَمَّا طَغَى فِي حَمْلِهَا الطُّغْيَانُ
فَلَهَا مَعَ الحَبْلِ الَّذي فِي جِيدِهَا ... مَعَ بَعْلِهَا يَوْمَ الجَزَا النِّيرَانُ
وَهُمَا لَهَا حَطَبٌ كَمَا آحْتَطَبَا جَزَا ... وَكَمَا يَدِينُ أَخُو الفعَالِ يُدَانُ
إنَّ الشَّقَاوَةَ إنْ تَحَتَّمَ حُكْمُهَا ... جَنَحَتْ لَهَا الأَرْوَاحُ وَالأَبْدَانُ
وَإِذَا أَرَادَ اللهُ هَدْيَ مُوَفَّقٍ ... لَمْ يَسْلُهُ عَنْ هَدْيِهِ سُلْوَانُ
فَلَقَدْ غَدَا عُمَرُ الرَّضِيُّ وَقَدْ وَعَى ... قَبْلَ الهُدَى مَا قَالَتِ الأَوْثَانُ[1]
وَوَعَى بِسَمْعِهِ أَنَّ أُخْتَهُ[2] أَسْلَمَتْ ... مَعَ بَعْلِهَا فَقَوَتْ بِهِ الأَشْجَانُ
فَأَتَى إِلَيْهَا مُسْتَغِيظًا غَاضِبًا ... فَغَدَتْ تَقُولُ إِلَيْهِ : يَا غَضْبَانُ
إِنِّي عَلَى مَاقَدْ سَمِعْتَهُ فَآفْعَلَنْ ... مَاشِئْتَ لاَ شَرْكٌ وَلاَ كُفْرَانُ
وَغَدَتْ تُرَتِّلُ لَيْلَهَا طه[3] إِلَى ... أَنْ شَاقَهُ التَّرْتِيلُ وَالقُرْآنُ
فَجَرَى مُطِيعًا لِلرَّسُولِ يَصُدُّهُ ... عَمَّا نَوَاهُ الهَدْيُ وَالإِيمَانُ
مَا بَاتَ بَعْدَ دُخَاهُ إِلاَّ مُسْلِمًا ... يَغْشَاهُ مِنْ مَوْلَى هُدَاهُ أَمَانُ
لاَغَرْوَ إِنْ نَالَ الأَمَانَ ذَوُو الهُدَى ... إِنَّ الأَمَانَ لِذِي الهُدَى عُنْوَانُ

* * * * *

صَحْبٌ كِرَامٌ أَحْسَنُوا وَتَجَمَّلُوا ... قَدْ أَتَاهُمُ مِنْ رَبِّهِمْ إِحْسَانُ
فَبِجَاهِهِمْ يَاذَا الجَلاَلِ تَوَلَّنَا ... بِجَمِيلِ لُطْفٍ لَمْ[4] يَشُبْهُ هَوَانُ
وَآصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْ جَمِيعِ ذُنُوبِنَا ... وَآسْمَحْ بِرُحْمَى مِنْكَ يَا رَحْمَانُ
وَأَدِمْ عَلَى خَيْرِ الوَرَى طَهَ الرِّضَا ... أَزْكَى صَلاَةٍ حُسْنُهَا يَزْدَادُ
وَكَذَا جَمِيعِ الآلِ مَعْ أَصْحَابِهِ ... مَا دَامَتِ الأَيَّامُ وَالأَزْمَانُ

(1) المعنى أنّ عمر بن الخطّاب كان قبل إسلامه يعتقد أنّ الأصنام هي المعبودة ولا شيء سواها ؛ وأنّ عبادتها دخلت في وعيد فهمه ؛ وآستوعب ما تقوله الأوثان على لسان الشيطان ؛ والوثن، الصّنم وما له جثّة من خشب أو حجر أو فضّة أو جوهر.

(2) هي فاطمة بنت الخطّاب ؛ وبعلها سعيد بن زيد العدويّ القرشي، كانا من السّابقين إلى الإسلام.

(3) «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتخشى» (طه، 1-2).

(4) في الأصل : لَنْ يَشُبْهُ عَوّضنَاها بلم لأن المضارع كان بعدها مجزوما.

6 - لولا أحمدُ ما كان بَدْرٌ

ولَه أيضًا رحمَهُ الله المعْنَى مُضَمِّنًا فيهَا ضريحَ الوليّ الصّالح سيّدي سعيد الوحيْشي [ويقع عند باب تونس بالقيروان]، وأهلَ حزبِ الوليّ الصّالح سيّدي محمّد بن عيسى [صاحب الطريقة العيسوية]، لأنّها أنشدت بذلك المقام، في مَوْلد سيّدِ الأنام، عليه أفضلُ الصّلاةِ وأزكَى السّلام :

[الوافر]

تَيَقَّظْ صَاحِ لاَتَ مَـــدَى مَنَـــام ... وَيَقِّـظْ مَعْشَـرَ الصَحْـبِ النِّيَـام
وَرَوِّحْ مُهْجَتِـــي بِـــرَحِيقِ رَاحٍ ... وَشُـدَّ بِلَحْـنِ شَـادِيهَا عِظَـامِي
وَعَيْشِـــكَ إنّ رَاحَـــكَ يَا مُفَـــدَّى ... صَفَـتْ وَسَطَ الدِّنَـانِ بَلاَ فَـدَام[1]
لَهَـا فِي الـدَّنِّ نَشْـرُ شَـذَا عَبِيـرٍ ... وَكَيْفَ بِهَا إِذَا سُكِبَتْ بِجَام[2]؟
وَدَعْ عَنْـكَ المِـزَاجَ وَخَـلِّ خِلِّـي ... وَهَـاتِ الصِّـرْفَ فَهْوَ شِفَا سِقَامِي
وَطِبْ نَفْسًـا فَلاَ غَـولاً[3] تَـرَاهُ ... وَلاَ تَخْشَى بِهَا نَـزْفَ[4] المُـدَام
مُـدَام مَسْـرَّةٍ بِلَيَـالِ أُنْـسٍ ... نَضَـا[5] إِشْـرَاقُهَا صَبْـغَ الظَّـلاَمِ
لَيَـالٍ مُشْـرِقَاتِ الْكَـوْنِ تَحْكِـي ... لَيَـالِيْ مَـوْسِمِي شَهْـرِ الصِّيَـامِ

(1) الفَدَامُ : المصْفَاةُ تُجعل على فم الإبريق ليُصفّى به مَا فيه، يعني أنّ الرّاح التي يطلبها الشاعر صافية بطبيعتها، فلا لزوم إذن لاستعمال الفَدَام أي المصفاة.

(2) الجَام : إناء فضّيٌ كالكأس ونحوه.

(3) الغَوْل : كل مَازال به العقل، يعني أنّ الرّاح الروَحي ليس فيه خاصية الخمرة الحقيقية.

(4) النَّزْف : نُزف الرّجل ذهب عقله أو سَكرَ ؛ قال تعالى في سورة الواقعة : «يطوفُ عليهم ولْدَان مخلّدون بأكواب وأباريق وكأس مَن معين لاَ يُصَدَّعُون عنها ولاَ يُنْزِفُونَ»

(5) نَضَاهُ من ثوبه : جرّدهُ والمعنى إنّ إشراق ليالي الأنس يَنْضُو ويجرّد الظلام من ظُلْمته ووحشته.

كَـأَنَّ قَنَـادلاً[1] فيهَـا تَبَـدَّتْ وَدَارَتْ بالثُّـرَيَّا فِـي نِظَـامِ
نَجْـومُ اللَّيْـلِ حَفَّـتْ بالثُّـرَيَّا وَجَـاءَتْ كَـيْ تُضِـيء بِـذَا المَقَـامِ
مَقَـام وَاسِـع الأَرْجَـا مَشِيـدٌ سَمَـا مُذْ كَـانَ مَنْسُـوبًا لِسَـامِ
وَلِـيّ[2] قَـدْ غَـدَا فيهَـا مَـزَارًا سَعِيـدًا مُذْ تَسَـامَى، ذَا آحْتِـرَامِ
وَلَـمْ لاَ تُشْـرِقُ الـدُّنْيَا ابْتِهَـاجًا بِـأَوْقَاتٍ بهـا نَيْـلُ المَـرَامِ
وَقَدْ أَمْسَـى لَهَا أَسْنَـى آحْتِفَـالٍ لِمَعْشَـرِ مُسْلِمِـي أَبْنَـاءِ سَـامِ
أَجَـانِبُ ضَمَّهُـمْ حِـزْبُ ابْنِ عِيسَـى فَكَـانُوا كَالأَقَـارِبِ فِـي الْتِئَـامِ
رِجَـالٌ قَـدْ وَعَـاهُمْ حُـبُّ مَـوْلَى عَـزِيزِ الْقَـدْرِ لِلإِسْـلاَمِ حَـامِ
تَمَـالَوْا وَقْتَ مَـوْلِدِهِ وَأَحْيَـوْا لَيَالِيَـهُ آجْتِمَـاعًا بِآغْتِنَـامِ

* * * * *

وَلاَ عَجَـبٌ إِذَا آحْتَفَلُـوا آهْتِمَـامًا فإِنَّـهُ مَـوْلِدُ المَـوْلَى الهُمَـامِ
أَجَـلْ، ابْـنُ آمْـرِئٍ وَلَـدَتْهُ حَـوَّا بِإِجْمَـاعِ الـوَرَى أَهْـلِ السَّـلاَمِ
وَهَـلْ وَلَـدَتْ كَآمِنَـةٍ فَتَـاةٌ وَهَـلْ حَمَلَـتْ بَـهِ أُنْثَـى كَـرَامِ
هُـوَ البَـدْرُ المُنِيـرُ بَـلاَ خَفَـاءٍ هُـوَ النُّـورُ المُنِيـرُ بَـلاَ آكْتِتَـامِ
وَمِنْـهُ الشَّمْـسُ مُشْرِقَـةٌ عَلَيْنَـا وَمِنْهُ حَـوَى الضِّيَـا بَـدْرُ التَّمَـامِ
فَلَـوْلاَ أَحْمَـدٌ مَـا كَـانَ بَـدْرٌ وَلاَ شَمْـسٌ وَكُنَّـا فِي ظَـلاَمِ
نَبِـيٌّ زَانَـهُ خُلُـقٌ وَخَلْـقٌ وَنَـالَ عُلًـى فَفَـاقَ عَلَـى الأَنَـامِ
يُـرِيكَ إِذَا تَكَلَّـمَ بِآبْتِسَـامٍ فَـرِيدَ الـدُّرِّ فِـي سِلْـكِ آنْتِظَـامِ
فَتَحْسَـبُ قَـوْلَهُ خِـرَزَاتِ دُرٍّ فَـرَائِدَ قَـدْ نُظِمْـنَ مِنَ الْكَـلاَمِ
فَشَنِّـفْ مَسْمَعَـيَّ بِـهِ وَحَـدِّثْ فَـإِنَّ حَـدِيثَهُ يَبْـرِي كَـلامِي[3]
وَقُـلْ يَـا رَبَّنَـا بِعُـلاَهُ فَـرِّجْ بِلُطْفِـكَ ضَيْمَ كُـلِّ فَتًـى مُضَـامِ

(1) المعروف أنّ جمع قنديل هو قناديل ولا نعرف جمع قنادل. وضرورة الوزن هي السبّب وكذلك تنوين ما لا ينصرف لأنّه على وزن مفاعل.
(2) يقصد به مقام الولي الصّالح سيدي سعيد الوحيشي بالقيروان.
(3) الكِلام : الجروح.

وَسَلِّمْنَـــا جَمِيعًـــا مَا بَقِينَـــا مِنَ الأَسْـــوَا وَجُـــرَأَة كُـــلَّ دَام
30 وَعُـمَّ المَسْلِميـــنَ بِكُـــلِّ خَيْـــرٍ وَزَوِّلْ سُقْـــمَ أَرْبَـــابِ السَّقَـــامِ
وَنَعِّمْنَـــا بِـــرُحْمَى عَنْ رَضَـــاءٍ يحِـــلُّ الْجَمْـــعَ فِـــي دَارِ السَّـــلامِ
كَـــذَاكَ الْـوَالِدَيْنِ وَكُـــلِّ عَبْـــدٍ يُعَظِّـمُ مَـوْلِدَ الْهَـادِي التِّهَـامِي
لَـــهُ يَـا رَبِّ مِنْـكَ بِكُـلِّ خَيْـــرٍ صَـــلاة تَسْتَمِـــرُّ مَـدَى الـدَّوَامِ
كَـذَاكَ آلِهِ وَالأَصْحَـابُ مَعْهَـا سَـــلاَمٌ نَشْـــرُهُ مِسْـكُ الخِتَـــامِ

7 - طيبُ المديح النّبويّ

وَلَهُ أَيْضًا رَحمَه الله تَعَالَى بِمَنِّه وَكَرَمِه :

[طويل]

لَكَ الرُّتْبَةُ القُصْيَا مَعَ المنْصب الأَحْظَى ... وَطِيبُ الثّنَا دُنْيَا فَلاَ غَرْوَ أن تَحْظَى

وَحُقَّ بِأَنْ تَحْظَى لأَنَّكَ لاَ سِوَى ... وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ السِّوَى يَا هُدًى مَحْضَا

فَيَانُورَ شَمْسِ الْكَوْنِ وَالْقَمَرِ الَّذِي ... أَضَاءَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى بِهِ والأَرْضَا

وَيَا دُرَّةً جَلَّتْ فَأَصْبَحَ حُبُّهَا ... عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ بَدَا أَبَدًا فَرْضَا

أَلَسْتَ حَبِيبًا قَالَ مَوْلاَهُ مُنْعِمًا ... لَسَوْفَ غَدًا تُعْطَى الرِّضَا وَالمُنَى فَارْضَ

فَسُبْحَانَ مَوْلَى قَدْ أَنَالَ حَبِيبَهُ ... وَسَنَّ لَهُ فَرْضًا لِيفْرِضَهُ فَرْضَا

وَأَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا وَعَلاَّهُ وَاجْتَبَى ... وَأَفْضَى[1] لَهُ أَفْضَالَهُ عِنْدَمَا أَفْضَى :

بِآيَاتِ صِدْقٍ أَرْشَدَتْنَا تَرَفُّقًا ... عَلَى أَنَّ فِيهَا لِلْعِدَا الْخَفْقَ وَالنَّبْضَا

وَسَلَّ الْمَوَاضِي الْبِيضَ إِنْ لَفَحَتْ وَغَى ... وَهَزَّ الْعَوَالِي السُّمْرَ تَعْلُو الْعِدَا وَخْضَا[2]

فَكَمْ لَهُ مِنْ آيٍ بَدَتْ عِنْدَ هَدْيِهِ ... وَكَمْ لَهُ منهَا قَبْلَ إِرْسَالِهِ أَيْضَا

كَنُعْمَى بَنِي سَعْدٍ وَتَنْوِيرِ صَدْرِهِ[3] ... وَشَقِّهِ مَعْ ظِلِّ الغَمَامَةِ فِي الرَّمْضَا

وَمَا كَانَ مِنْ إِكْرَامِ سَيْفٍ لِجَدِّهِ ... وَإِكْرَامِ ذَاكَ الْجَدِّ لِلْمُرْتَضَى الأَرْضَى

وَقَدْ حَضَّ عَنْهُ الجَدُّ عِلْمًا بِحَظِّهِ ... وَلَوْ لَمْ يَجِدْ عِلْمًا بِحَظِّهِ مَاحَضَّا

---

(1) أفضى له : أعطاه وأحسن اليه، وأفضى الثانية : الوحي بدليل البيت الموالي : «بآيات صدق...»

(2) وَخَضَهُ بالرّمح : طعنه.

(3) إشارة إلى معجزة شقّ الصّدر.

وَمَا قَدْ رَأَى مِنْ يُمْنِ طَائِرِ يُمْنِهِ أَبُو طَالِبٍ إِذْ فَاضَ قَعْبٌ[1] لَهُ فِيضَا
وَمَا كَانَ مِنْ صَدِّ اليَهُودِ لِحِبْرِهِمْ وَقَمْعِهِمُ لَمَّا بَغَوْا قَتْلَهُ غَيْظَا
وَزِدْ مَا رَأَى كِسْرَى وَشَاهَدَ قَيْصَرُ مَعَ الغَيْظِ لَمَّا أَصْبَحَتْ سَاوَةُ غِيْضَا[2]
عَلَى أَنَّنِي لَوْرُمْتُ عَدًّا لِبَعْضِهَا تَرَوْنَ الَّذِي أُبْدِيهِ مِنْ بَعْضِهَا بَعْضَا
وَمَنْ ذَا يَفِي بِالعَدِّ إِحْصَاءَ مَا أَتَى مِنَ الآتِي تَأْيِيدًا لِمَوْلَى زَكَا عِرْضَا

* * * * *

نَبِيُّ الْهُدَى الدَّاعِي البَشِيرُ الَّذِي أَتَى مِنَ اللهِ يَهْدِي لِلْحَنِيفِيَّةِ الْبَيْضَا
وَمَعْ هَدِيهِ قَدْ كَانَ أَصْلُ جَمِيعِنَا فَلَوْلاَهُ مَا كَانَ الدُّنَى بَلْ بَقَتْ رَفْضَا
وَلاَ كَانَ فِيهَا نيِّرٌ وَمُنَوَّرٌ وَلاَ وَامِضٌ فِيهَا تَرَوْنَ لَهُ وَمْضَا

* * * * *

أَيَا خَيْرَ مَنْ وَافَى بِأَشْرَفِ مِلَّةٍ غَدَا الشِّرْكُ مَعْهَا يَشْتَكِي الْمَحْقَ وَالدَّحْضَا
إِلَيْكَ رَسُولَ اللهِ وَجَّهْتُ رَغْبَتِي أُشَاكِيكَ ضُرًّا ضرَّ، لظًى نضا أضًّا[3]
أُقَدِّمُ نَشْرَ المَدْحِ بَيْنَ مُنَى رَجَا يَدَيْ سَاعِدَيْ نَجْوَايَ مُسْتَمْنِحًا فَيْضَا
وَقَدْ رُمْتُ قُصْوَى غَايَةٍ حَالَ وِجْهَتِي فَلَمْ يَقْوِهَا شَأْوِي وَقَدْ عُدِمَ النَّهْضَا
لِضَعْفِ يَرَاعِي وَالْبَرَاعَةِ إِذْ أَرَى وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَوْلَ دُرُّهُ مَا قَضَّا
وَأَحْسَبُ نَفْسِي أَنْ أَقُولَ كَمَنْ أَتَى بِوَرْدٍ لِرَوْضٍ فِيهِ مَا عَطَّرَ الرَّوْضَا
وَلَكِنَّ آمَالَ الرَّجَا فِيكَ أَمَّلَتْ كَثِيرًا وَإِنْ كَانَ الَّذِي قُلْتُهُ بَرْضَا[4]
فَجُدْ لِي عَلَى مِقْدَارِ قَدْرِكَ لاَعَلَى قُدَيْرِ مَقَامِي عَلَّ نَفْسِيَ أَنْ تَحْظَى
وَكُنْ لِي مُغِيثًا فِي الدُّنَى بِرِعَايَةٍ شَفِيعًا إِذَا مَاجِئْتُ فِي مَوْقِفِي العَرْضَا

(1) القَعْبُ : القَدَحُ الضَخْمُ.

(2) من عجيب ما وقع له ﷺ عند ولادته ما روي من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته إشارة إلى أنّه لم يبق من ملوك فارس المستبدّين بالملك إلا أربعة عشر ملكا، هلك عشرة منهم في أربع سنين، وهلك أربعة إلى زمن عثمان ؛ كما غاضت بحيرة طبريّة بفلسطين بحيث صارت يابسة ؛ وخمود نار فارس ؛ وكان لها على ما يقال ألف عام لم تخمد وساوة : انظر تعليق ص 81.

(3) نضا السيف من غمده : سلّه وأضّ : أتعب.

(4) القليل النّادر.

وَرَوِّ الصَّدَى مِنْ عَذْبِ حَوْضِكَ يَوْمَ لاَ ... أَرَى لِلسَّوَى فِي مَوْقِفٍ مُعْطِشٍ حَوْضَا

وَسَلْ رَبَّنَا المَوْلَى عَطَاءً لِجَمْعِنَا ... وَأَحْبَابِنَا لاَقُضَّ فُوكَ وَلاَ فُضَّا[1]

وَدُمْ خَيْرَ وَاقٍ يَمْنَعُ الضُّرَّ إِنْ سَطَا ... عَلَيْنَا إِذَا دَهْرٌ بِعَضْبِهِ أَوْعَضَّا[2]

وَدَاوِ كِلاَمَ المُسْلِمِينَ بِعَاصِمٍ ... يُرَوِّحُ مَنْ أَضْرَى بِهِ وَقْتُهُ عَضَّا

35 بِآلِكَ، بِالصَّحْبِ الأُلَى كَانَ أَمْرُهُمْ ... كَمَا قَالَ خَلاَّقُ الْوَرَى بَيْنَهُمْ فَوْضَى

يُعَادُونَ فِيهِ الحُبَّ إِنْ نَدَّ أَوْ أَبَى ... وَحَادَ عَلَى سُبْلِ الْهُدَى وَٱعْتَدَى بُغْضَا

إِذَا وَعَدُوا لَنْ يُخْلِفَ الْوَعْدَ وَاحِدٌ ... وَإِنْ عَاهَدُوا لَمْ يَرْضَ أَصْغَرُهُمْ نَقْضَا

أَجَلُّهُمُ الصِّدِّيقُ مَعْ عُمَرَ الرِّضَا ... وَعُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ وَالسَّيِّدُ الأَرْضَى

عَلِيٌّ أَبُو السِّبْطَيْنِ، وَالكُلُّ كُمَّلٌ ... سُرَاةٌ هُدَاةٌ فُضِّلُوا فَٱعْتَلَوْا حَظَّا

40 عَلَيْكَ مَتَى كَانَ الْمَدَى وَعَلَيْهِمُ ... صَلاَةٌ مِنَ المَوْلَى نَنَالُ بِهَا خَفْضَا[3]

---

(1) قَضَّ الشي : دقّه.

(2) العضبْ : السّيف القاطع.

(3) العيش الخفض : الهنيء والسهل.

8 - يَا خَيرَ خَلْقِ الله

وَلَهُ أَيْضًا رَحِمَهُ الله، آمِينْ :

[الكامل]

طَـالَ الـرَّجَا عَـنْ ذِي هُيَـام رَاجِ ... وَاهِي الْقُوَى مُضْنَى الحُشَاشَة[1] وَاجِ[2]

مُسْتَعْبِرِ العَبَرَاتِ مُضْطَرِمِ الْحَشَا ... لَـمْ يَسْتَطِـعْ لِلضّـرِّ طَعْـمَ مُجَـاجِ[3]

يَـرْتَاعُ إِنْ لاَحَ الصَّبَـاحُ لِعَيْنِـهِ ... وَيَهِيـمُ إِنْ جَنَّـتْ دُجُنَّـةُ دَاجِ

قَدْ هَالَـهُ مَا كَـانَ مِنْهُ وَمَـا مَضَـى ... وَقْت الشَّبَابِ مِن ارْتِكَاب مَفَاجِ[4]

أَسْوَى ذُنُوب سُـوِّدَتْ بِصَحَـائِفٍ ... يَحْتَاجُ مَعْهَـا هَجْـوَ أَجْسَرِ هَـاجِ

مَهْمَـا تَذَكَّـرَهَا عَلَـى أَلَـمٍ قَـوٍ ... وَقَـوِيٍّ ضَعْـفِ حُشَاشَـةٍ وَمِـزَاجِ

ضَـاقَتْ وَسِيعَـاتُ الْفَضَـا وَرِحَابُهُ ... كُـلاًّ عليه وَمَا اهْتَـدَى لِفَجَـاجِ

وَيَـرَى التَّـدَارُكَ مَعْ أَذًى مُسْتَرْسِلٍ ... أَوْهَـى قُـوَاهُ وَلاَتَ حِيـنَ عِـلاَجِ

صَعبـا عَلَيْـهِ إِذِ التَّـدَارُكُ بِالقُـوَى ... وَالأَمْن صُبْحًا مَعْ دُجًى من داجِ(؟)

مَازَالَ مِمَّـا يَخْتَشِـي حَـذِرًا يُـرَى ... وَيَظُـنُّ نَفْسَـهُ لَـنْ يلـمَّ بِنَـاجِ

* * * * *

(1) الحُشَاشَةُ والحُشَاشُ : بقية الرّوح في المريض أو الجريح.

(2) وَجِيَ الرّجل : جَاء لحاجة فلم يصبها، ووَجِيَ : يَوْجَى وجًى الماشي : حفي أوْ رَقَّت قَدمه والمعنى أنّ الشاعر رجا حاجته من نحو غفرانَ ذنوبه فطال رَجَاؤه ولم يُصب حاجته.

(3) المُجَاج : العسل والمعنى أنّ الشاعر من شدّة ما يعاني من آضطرام الحشا، وعدم قضائه حاجته أمسى لا يستسيغ طعم العسل.

(4) المفاجي : الآثام والذنوب.

وَأَرَى لَـهُ خَيْرَ التَّـدَارُكِ مَا نَحَـتْ نَفْـسُ الْغَنـيِّ إِلَيْـهِ وَالمُحْتَـاجِ
مَدْحُ الرَّسُولِ شَفِيعِنَا خَيْرِ الْـوَرَى مُجْلِي الظَّـلَامِ سِـرَاجِنَا الـوَهَّاجِ
طَـهَ الشَّفِيعِ مُحَمَّـدٍ مَنْ قَدْ سَمَـا فَـوْقَ السَّمَـاءِ وَفَـازَ بِالمِعْـرَاجِ
مَوْلَى غَـدَا كُـلُّ الْـوَرَى تَحْتَـاجُهُ فِي حَشْرِهِمْ ذِي الطَّوْقِ مَعْ ذِي التَّاجِ
15 وَيُـرِيحُهُمْ بِشَفَـاعَةٍ فَتَعُمَّهُـمْ هَنَّـادُ مَعْ[1] فِـرْعَوْنَ مَعْ حَجَّـاجِ
وَلَـهُ بِدُنْيَـاهُ وَقَـايَاتٌ كَفَـتْ أَوْقَـات سِلْمٍ سَـالَمَتْ وَهِيَـاجِ
فَمَـنِ الْتَجَـا بِجَنَـابِهِ مُسْتَشْفِعًـا لَـنْ يَخْتَشِـي كَيْـدًا وَضَـرَّ لَجَـاجِ
أَوَمَـا بِـهِ لاَذَ الْبَعِيـرُ فَلَمْ يُـرَعْ وَغَـزَالَةٌ سَلِمَـتْ مِنَ الْـوَدَّاجِ[2]
لَمَّـا أَتَـتْ سَبَقًـا وَقَـالَتْ إِنَّ لِـي خَلْفِـي نِتَـاجًا فَارْحَمَنَّ نِتَـاجِي
20 وَكَفَى بِصَاعٍ أَلْفَ بَطْـنٍ قَدْ خَـوَتْ مِمَّـا آعْتَـرَاهُمْ مِنْ تَضَـرِّرِ وَاجِ
وَسَقَى أُلُـوفًا مَعْـهُ يَشْكُـونَ الصَّدَى بِقَلِيـلِ مَـاءٍ فَـاضَ دُونَ مِـزَاجِ

* * * * *

يَا خَيْرَ خَلْقِ اللهِ يَـا مُجْلِي الظَّمَـا يَـا بُغْيَتِـي وَهِـدَايَتِي وَسِـرَاجِي
إِنِّـي بِبَـابِ عُـلَاكَ أَشْتَـاقُ الْمُنَـى وَجَمِيـلَ حُسْـنِ مَبَـرَّةٍ وَزِنَـاجِ[3]
أَرْجُـو بِـذَلِكَ مَحْـوَ آثَـامِي الَّتِـي كَـانَتْ بِـأَيَّامٍ مَضَـتْ وَدَوَاجِ[4]

---

(1) قوله : هنّاد مَع فرعون مَع حجّاج هو بيان لقوله في البيت السابق.

(2) ودج الدّابة : قطع ودجها وهُوَ لَهَا كالفصد للإنسان ؛ والودج عرق في العنق ينتفخ عند الغضب ؛ وهما ودجان اثنان، كما أنّهُ عرق إذا قطعه الذّابح فلا تبقى معه حياة.

(3) زانجه : كافأه بخير أو شر.

(4) للقصيدة بقيّة وهي ناقصة لضياع ورقة أو أكثر من المخطوط وكذا أول القصيدة القادمة.

9 - اِستغَـاثَة [1]

[البسيط]

... بعـزّ سطـوة ميكـائيل أيْنَ سَطَا كـذا المعزّزُ عـــزرائيلَ، والقلـــمُ
باللّوح ؛ بالعرش ؛ بالكرسِي، بحامله مع الأُلى يحملون العرش مُـذ عَظُموا
بالأنبيا من أبي الإنس الكرام إلى الـــــــرّوح الّـذي أُحيِيَـتْ آيًـا له رِمَـمُ
بالـرّسْلِ منهم، هداةِ الخلق أجمَعِهم إلاّ العداة الألى صُمُّوا ولا صَمَمُ
بِكُـلِّ سِفْـرٍ حوى علمـا ؛ وموعظـةً وبـانَ منـه علـومٌ منـك أوْ حِكَم
بجاهِ مـن كـانَ هذا الكونُ منك له وإنّ آدم لـم يظهـــر لـه أدَمُ
العـاقب ؛ الحـاشر ؛ المرجوّ شفَاعَتُهُ يـومَ الزّحام ؛ إذا ما آرتـاعَ مُزْدَحَمُ
بِسِـرّ آسمـائك الحُسْنَى ؛ بأعْظَمِهَـا يَا حـقُّ ؛ يا حَـيُّ ؛ يا قيّوم ؛ يا حَكَمُ
بِالذّكر ؛ مَعْ عِلْمِ ذَاتٍ خُصِّصَتْ بِبَقَا بالسَّمْع ؛ بالبَصَر الحَاوي كذا القِدَمُ
قَـدِّرْ لنـا نَيْـل مـا نـرجوه مِنَ أَمَـلٍ ولا يكـونُ بـه لَـوْمٌ ؛ ولا نَـدَمُ
وَآمْنُنْ بِصَرْفِ دَعَاوِي[2] أوْ جَلت وجَلاً وأزعجـت مُؤلِمًا أودى بـه الألـمُ
وَكُـفَّ عَنَّـا أكـفَّ المعتـدين بِمَـا هَـزَمْتَ قِدْمًا به الأحزابَ فآنهزَموا
وآسْمَـحْ بِصَيّبِ عَفْـوٍ ؛ يَـا عفـوُّ لكي يُمْحَـى بـه كـلُّ وزْرٍ خَطّـهُ القَلَمُ
وعُـمّ ذَ البَـرَّ يَا اللهُ صـوبَ حيَـا فَأنْتَ بَـرٌّ، ومنـك البُـرّ والنِّعَـمُ

---

(1) قصيدة أولها ضائع.

(2) دَعاوي مفرده دَعْوَى وهو أرجح ؛ وأشْهر منْ دَعَاوَى، والّذي رجّحَ الاستعمال الأول (دَعاوي) هو سيبويه ؛ ذلك أنه عندما تُضيفهاَ إلى الضمير تقول صحّت دعاويك ولا يُقَال (دَعَاوَاك).

غَيْثًا يزيلُ الصَّدَى عن أَرْبُعٍ، ظمِيَتْ ... النَّاسُ ؛ والأرض ؛ والأشجار ؛ والنَعَمُ
فَيطلع النّجم يزهو في مَطالعه ... نَجْمُ النّباتات في الأرْجاء ؛ والْبُهَمُ
وآحرُس حِمَى ساحة الإسلام وآحي بها ... عَدْلاً يُجَارُ به شاك ؛ ومُهْتَضَمُ
مؤيَّدًا ؛ حازمًا ؛ مَوْلًى يُعَدُّ بِهَا ... فَرْدًا يُشَدُّ لَهَا مِنْ حَزْمِه حُزُمُ
وَحَيِّ يَا حَيُّ جَمْعَ الوالدين بِمَا ... يَعُمُّ مَيّتَهُمْ نُعْمَى وحَيَّهُمُ
وصِلْ عُبَيْدَكَ ما يَرْجُوهُ مِنْكَ جَزَا ... جَزَا كريم ؛ إذا وافاه مُحْتَشِمُ
وآحرُسْ حِمَى الصِّيدِ(1) مِنْ أشراك ذي حِيَل ... يَرْمِي حبالته ؛ والحبْلُ مُنْبَرِمُ
وَقَدْ أَشَرْتُ لِمَا أَمَّلتُ مُبْتَهِلاً ... فَجُدْ بِطَوْلٍ وإنْ لَمْ يَسْتَطِلْ كَلِمُ
وَصِلْ ؛ وَأَجْزِلْ صِلاَتٍ مِنْ نَدَاكَ لِمَنْ ... أَمْسَى لهم مَحْفَلٌ للخَتْمِ مُنْتَظِمِ
فِي كلّ مَغْنًى مَشِيدٍ لِلْوَرَى كحِمَى ... مَقَامِنَا ذَا الَّذِي مَوْلاَهُ مُحْتَرَمُ
أَوْقَات بِشْرٍ لِبُشْرَى نُعِّمَت بِمُنى ... في حضْرَةٍ حُسْنُهَا كالشّمْلِ مُلْتَئِمُ
كَأَنَّ أوقاتَها الأعيادُ حيث غَدَتْ ... فيها المسرّات ؛ والأفراح تُغْتَنَمُ
ثُمَّ الصّلاةُ على مَوْلًى لِمَوْلِده ... فيها آحْتِفَالٌ به طابتْ لنا النِّعَمُ
مَعْ آلِه الطيّبين الطّاهرينَ كذا ... أصحابُهُ كلُّهُمْ ؛ والآلُ ؛ والحَشَمُ
صَلاة ودٍّ من المولى بلا عَدَدٍ ... ما لاَحَ نورٌ تَجَلَّى ؛ وآنْجَلَى الظُّلَمُ
تُحيي ؛ وتُسْعِدُ مَنْ أَبْدَى جُمَانَ ثَنًا ... عدّ المعيد الذي يُحيَ به الرِّمَمُ
تكونُ للجمع في يوم المعاد وَفَا ... ممَّا تخافُهُ مِنْ أَهْوَاله أَمَمُ
كمَا يَكونُ خِتَامًا رحْمَةً ومُنَى ... أوقات تاريخنا للجَمْع مَا خَتَمُوا

سنة 1261

(1) يذكر الشاعر لقبه

10 - جماله وضّاح

وَلَهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ :

[الطّويل]

جَمَـــالُهُ وَضَّـــاحٌ وَحُسْنُـــهُ فَـــائِقُ ... فَلاَ عَجَبٌ إِنْ هَامَ فِي الْحُبِّ شَائِقُ
وَقَدْ صَاغَهُ الْمَوْلَى مِنَ النُّورِ خَالِصًا ... وَصَـــوَّرَهُ كَـــيْ تَسْتَمِـــدَّ الخَـلاَئِقُ
وَكَانَ حَيَاةَ الـرُّوحِ فَانْعَشْ بِذِكْرِهِ ... وَشَنِّـــفْ بِـــهِ أَسْمَـــاعَنَا يَا مُـــرَافِقُ
حَبِيـــبٌ عَـــزِيزٌ فَـــاضِلٌ ذُو مَكَانَـــةٍ ... رَضِـــيٌّ عَلِـــيٌّ كَـــامِلُ الْـــوَصْفِ صَـــادِقُ
5 لَهُ قَصَبَـــاتُ السَّبْـــقِ فِي كُلِّ مَفْخَـــرٍ ... عَلَـــى أَنَّـــهُ فِي عَـــالَمِ الكَـــوْنِ سَـــابِقُ
وَمِنْ أَجْلِـــهِ كَـــانَتْ وَلَـــوْلاَهُ لَمْ تَكُـــنْ ... مَغَـــارِبُ أَقْطَـــارِ الـــدُّنَى والمَشَـــارِقُ
هُوَ السَّيِّـــدُ المُخْتَـــارُ مِنْ دَوْحِ هَاشِمٍ ... وَمَـــا دَوْحُـــهُ إِلاَّ رِيَـــاضٌ حَـــدَائِقُ
جَلِيـــلٌ بَـــرَاهُ اللهُ مِنْ دُرَّةِ الْبَهَـــا ... وَكَـــوَّنَ مِنْهَـــا بَعْدَمَا هُوَ خَـــالِقُ
لَئِنْ قُلْتَ لِي قَدْ كَانَ مِنْ نَسْلِ آدَمَ ... وَنُـــوحٍ وَكَـــانَا قَبْلَهُ وَهْوَ لاَحِـــقُ
10 أَقُـــولُ نَعَـــمْ إِنَّ الشَّقَـــائِقَ أَصْلُهَـــا ... يَكُـــونُ قَبِيـــلاً ثُمَّ تَبْـــدُو الشَّقَـــائِقُ
وَلِلْهَـــدْيِ أَعْـــلاَمٌ وَكُـــلُّ شَـــوَاهِقٍ ... وَلَكِنَّ رَضْـــوَى[1] لَنْ يُحَاكِيهِ شَـــاهِقُ
وَمَنْ ذَا يُحَاكِي سَيِّدًا نَـالَ مَفْخَـرًا ... وَقَـدْرٍ عُلَى مَا آسْطَـاعَ وَصْفُهُ نَاطِقُ
دَعَـــا وَحْـــدَهُ للهِ وَالكُفْـــرُ مُعْلَـــنٌ ... بِـــهِ فَتَـــقٌ مَـــا رَامَ رَتْقَـــهُ رَاتِـــقُ
تَمَـالَتْ لَـهُ قَـوْمٌ أَبَوْا سَنَنَ الْهُدَى ... وَصَـدُّوا ونَـدُّوا وآسْتَمَـالُوا وَنَـافَقُوا

(1) يقصد أنَّ للهدي أعلاما كالرُّسل ولكنَّ خاتمهم لا يحاكيه عَلَم بلغ المعالي ولا يشبهه. ورضوى : جبل.

وَقَـالُوا لَقَـدْ جَـاءَ الأَنَـامَ بَطَـارِقٌ ... دَهَـى أَرْضَنَـا مَا جَـاءَ مِثْلَـهُ طَـارِقُ

وَمَـا هُـوَ إِلاَّ طَـارِقُ الخَيْـرِ جَـاءَهُمْ ... بِـهِ أَخْبَـرَتْ رُهْبَـانُهَا وَالْبَطَـارِقُ[1]

وَمَـالَت عَلَيْـهِ أَهْـلُ مَكَّـةَ جَفْـوَةً ... وَمَيْـلاً لأَوْثَـانٍ وَهُـنَّ الْغَـرَانِق[2]

وَقَـالُوا أَوَانًـا كَـاهِنٌ ثُمَّ تَـارَةً ... يَقُـولُونَ قَـوْلاً لَـنْ يَقُـولَهُ حَـاذِقُ

وَإِنَّ لَـهُ فِيهِـمْ عَلَيْهِـمْ شَـوَاهِدًا ... وَآيَـاتِ صِـدْقٍ لَمْ تَعُقْهَـا العَـوَائِقُ

وَكَانُوا مَدَى دَهْـرٍ يُسَمُّونَه العدى ... أَمِينًا صَدُوقًا[3] لَنْ يَحَاكِيه صَادِق

وَلَكِنَّمَـا الْعُـزَّى[4] تَعِـزُّ عَلَيْهِـمُ ... وَهُبْلُهُـمْ[5] لَمْ يَسْتَطِعْـهُ مُفَـارِقُ

فَفَـارَقَهُمْ لَمَّـا أَبَـوْهُ فَجَـاءَهُمْ ... بِمَـا شَـابَ مِنْهُ هَـامُهُمْ وَالمَفَارِقُ

يَصُولُ بِأَبْطَالٍ شَكَتْ مِنْهُمُ الظُّبَى ... كَمَا قَدْ شَكَتْ سُمْرُ الْقَنَا والسَّوَابِقُ

يُـرَاعُ بِهِـمْ شِيخُ العِـدى وشبـابُهم ... وَكَهْلُهُـمْ بَـلْ نَـاهِقٌ وَمُـرَاهِقُ

وجـال بهم أَرْجَـاءَ خَيْبَـرَ[6] عَنْـوَةً ... ولاقَى بهـا ما سـيء منـه المنـافِقُ

وَسِيـقَ لَـهُ سَبْيًا مَـدَى بَكَـرَاتِه ... وآصَـاله، أَبْكَـارُهَا وَالعَـوَاتِقُ[7]

وَرَاحُوا بِهَا أَيْدِي سَبَا عِنْدَمَا سَبَى ... وَقَدْ نَعَقَتْ لِلْحِينِ عَنْهَا النَّوَاعِقُ[8]

---

(1) البطريق : القائد من قوات الرّوم.

(2) الغرانق : مفردهُ غُرْنوق، وهو طائر مائي من فصيلة الكركيات عريض الجناح طويل السّاق ؛ ووجه الشبه في عدم النّفع والضّر.

(3) باعتراف المشركين قبل نبوءة محمّد بأنهم سَمّوه الأمين والصّادق فكيف ينكرون رسالته بعدما عرفوا أمانته وصدقه ؟

(4) العُزّى : أكبر صنم لقريش ؛ وكان هيكلها ببطن نخلة ؛ أرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد في ثلاثين فرسًا لهدمها فهدمها.

(5) هُبل : صنم من أصنام الكعبة هُدِمَ بعد رجوع النبيّ إلى مكّة ظافرًا.

(6) خيبر : واحة كبيرة تبعد عن المدينة 96 ميلا وسكانها يهود منهم السموأل بن عَادياء المشهور بالوفاء ؛ كانت مركزا لدسائس اليهود.

(7) مفردها عاتق وهي الجارية التي بين الإدراك والتّعنيس فلم يُدركها زوج.

(8) سبأ اسم رجل من قبائل اليمن وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولقب بسَبَإ لأنّه غزا الدّيار المصريّة، وحمل منها السّبايا إلى بلاد اليمن ؛ واقتاد الأسرى وكانوا ينيفون على عشرة آلاف بين سبيّة وأسير، والشاعر يشير إلى المثل المعروف : تفرّق القوم أيْدِيَ سَبَا وأيادِيّ سبا ؛ أي تبدّدوا تبدّدًا لا اجتماع بعده ؛ وذلك لأنّ الله أرسل على تلكَ الأرض السّيل فأغرقها، وأذهب جنّاتها فتبدّد سبأ وقومه في الأرض.

فَلِلْبِيضِ مَا لُفَّتْ عَلَيْهَا كُمَامُهُمْ وَلِلسُّمْرِ مَا دَارَتْ عَلَيْهَا الْمَنَاطِقُ
وَلِلسَّبْيِ مَا قَدْ أَحْصَنَتْهُ حُصُونُهُمْ وَلِلْجَنْيِ مَا قَدْ حَصَّنَتْهُ الْخَنَادِقُ[1]
وَأَبْقَاهُمُ فِيهَا عَلَى نِصْفِ جَنْيِهَا عَلَى أَنَّهُ إِنْ رَامَهَا بَعْدُ فَارَقُوا[2]
فَكَمْ مِنْ كَمِيٍّ فِي صَحَابَتِهِ الأُلَى يَلُوحُ لَدَى الْهَيْجَا كَأَنَّهُ بَاشِقُ[3]
عَلَى أَنَّ فِي عَضْبَيْ عَلِيٍّ وَحَمْزَةٍ كِفَايَةَ يَسْتَكْفِي بِهَا الدَّهْرَ وَامِقُ
وَلِمْ لاَ وَهُمْ أَبْطَالُ أَشْرَفِ مُرْسَلٍ نَبِيٍّ زَكِيٍّ كَلَّمَتْهُ الأَيَانِقُ[4]

* * * * *

رَسُولٍ بِهِ قَدْ أَيَّدَ اللهُ دِينَهُ لأَنَّهُ مَاحٍ لِلضَّلاَلَةِ مَاحِقُ
وَبَاتَ بِهِ الإِسْلاَمُ يَخْطُرُ فِي مُنًى وَأَمْنٍ وَقَلْبُ الشِّرْكِ يَرْجُفُ خَافِقُ
فَلُوذُوا جَمِيعًا صَحْبَنَا بِجَنَابِهِ فَإِنَّهُ حِصْنٌ تَلْتَجِيهِ الخَلاَئِقُ
وَهَلْ ثَمَّ كَهْفٌ غَيْرُ طَهَ أَخِ الْعُلَى شَفِيعِ الْوَرَى لَمَّا تُحَقُّ الحَقَائِقُ
فَيَأْتُونَ جَمْعًا آدَمًا لِيُرِيحَهُمْ وَيُنْقِذَهُمْ مِمَّا دَهَى وَيُوَافِقُ
فَلَمْ يُجْدِ نَفْعًا ؛ ثُمَّ يَمْضُونَ حُسَّرًا وَيَأْتُونَ نُوحًا جَدَّهُمْ وَهْوَ طَارِقُ
فَيَذْكُرُ مَا قَدْ كَانَ مِنْ قَوْمِهِ لَهُ وَدَعْوَةَ هَلْكٍ مَا نَجَا مِنْهُ غَارِقُ
فَلَنْ يَبْرَحُوا يَأْتُونَ مَنْ عَزَّ قَدْرُهُ وَأَنْفُسُهُمْ مِمَّا تُلاَقِي زَوَاهِقُ
وَلَمْ تُغْنِهِمْ إِلاَّ شَفَاعَةُ أَحْمَدَ فَيَأْتِي إِلَى الْمَوْلَى وَوَجْهُهُ شَارِقُ
فَيَطْلُبُ مِنْهُ مَا أَرَادَ حُصُولَهُ لِكَيْ يَسْتَرِيحُوا مُسْلِمٌ وَمُشَافِقُ

---

(1) يشير الشاعر إلى غزوة خيبر التي وقعت سنة سبع من الهجرة ؛ وخيبر فيها حصون منها حصون النّطاة ؛ وحصون الشّق ؛ وحصون الكتيبة ؛ وكان اليهود كعادتهم يحاربون أمام حصونهم، لأنهم يخشون الحرب الميدانيّة، فإذا انهزموا عادوا إليها واغلقوها دونهم.

(2) أي أبقاهم في أرضهم ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع ؛ وبقوا فيها إلى خلافة عمر.

(3) الباشق : طائر من الجوارح.

(4) مفردها ناقة، وهي أنثى الإبل سُمّيت بذلك لارتفاعِهَا لأنّ النّيقَ أرفع موضع في الجبل.

فَيُسْعِفُــهُ الْمَــوْلَى فَيَــرْجِعُ بَــاشِرًا وَنَشْــرُ لِــوَاءِ الْحَمْدِ فَــوْقَهُ خَــافِقُ
فَبُشْــرَى لَنَــا يَــا قَــوْمَنَا بِمُبَشِّــرٍ رَسُولٍ جَلاَ عَنَّا بِهِ الكُفْرَ خَالِقُ
فَلاَ تَقْنَطُوا مِمَّا اقْتَرَفْتُمْ زَمَــانَكُمْ فَيَشْمُتُ فِيكُــمْ عِنْــدَ ذَلِــكَ مَــارِقُ
عَــدُوٌّ لَنَــا مِنْ يَــوْمِ نَشْــأَةِ آدَمٍ وَلَــوْلاَهُ لَمْ يَطْرُقْ مِنَ الشَّرِّ طَارِقُ
وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ رَحْمَةِ رَبِّنَــا كَمَــا يَيْــأَسُ مِنْهَا كَفُــورٌ وَآبِــقُ
فَــإِنَّ لَنَــا رَبًّــا كَــرِيمًا وَسَيِّــدًا نَبِيًّــا عَــزِيزًا قَــدْرُهُ لاَ يُــلاَحَقُ

* * * * *

فَيَــا عَــالِمَ النَّجْــوَى وَيَــوْمِي زَلاَزِلٌ وَيَا سَامِعَ الشَّكْوَى وَلَيْلِي صَوَاعِقُ
وَيَــا كَــاشِفَ الْبَلْــوَى إِذَا حَــارَ مُبْتَلٍ وَيَــا وَاقِيَ الأَسْــوَا إِذَا جَارَ طَافِقُ[1]
تَفَضَّــلْ[2] عَلَيْنَــا يَــا إِلاَهِــي بِتَوْبَــةٍ تُقِيــمُ مَــدَى أَعْمَــارِنَا لاَ تُفَــارِقُ
وَمُــنَّ عَلَيْنَــا أَجْمَعِيــنَ بِرَحْمَــةٍ يُــزَالُ بِهَا أَضْــرَارُ مَا هُــوَ سَــابِقُ
وَتَحْفَظُنَــا فِيمَا بَقِينَــا مِنَ الْمَــدَى فَلاَ يَلْحَقَنْ مِنْ سَوْأَةِ الدَّهْرِ لاَحِقُ
وَخَفِّــفْ عَلَيْنَــا حَمْــلَ حِمْــلٍ أَضَــرَّنَا وَسَــاءَ بِنَــا لَمْ تَسْتَطِعْــهُ الْعَــوَائِقُ
وَفَــرِّجْ عَنِ الْمَرْضَى جَمِيعًا وَعَافِهِمْ فَقَــدْ عَظُمَــتْ آلاَمُنَــا والْعَــوَائِقُ
وَوَاصِلْ لَنَا مِنْ فَيْضِ نُعْمَاكَ صَيِّبًا[3] تَعِيــشُ بِــهِ أَنْعَــامُنَا والنَّــوَاطِقُ
لَئِنْ كَــانَ بِالــدُّنْيَا شَفِيعًــا مُــوَاسِيًا فَمَــا لِلْــوَرَى وَالْبُهْــمِ غَيْــرُكَ رَازِقُ
وَصَــلِّ عَلَى مَنْ نَشْرُ عَنْبَــرِ ذِكْــرِهِ تُــزَالُ بِــهِ أَسْــوَاؤُنَا وَالْمَضَــايِقُ
لأَنَّــهُ ذِكْرٌ يَشْــرَحُ الصَّــدْرَ وَهْوَ مَا يَــوَدُّهُ طُــولَ الــدَّهْرِ صَاغٍ وَنَــاشِقُ
أَجَــلُّ حَبِيبٍ قَدْ سَــرَتْ لِقِبَــابِهِ مَطَايَا ذُرَى يَحْدُو بِهَا اللَّيْــلَ سَــائِقُ
كَذَا الآلِ وَالأَصْحَابِ مَا حَنَّ شَائِقٌ وَمَالاَحَ فِي فَجْــرِ الدُّجُنَّــةِ شَــارِقُ

---

(1) طفق بمراده : ظفرَ به والمعنى : أنّه يرجو الله أن يقيهُ سوء ظافر به ظالم جائر.
(2) جواب النداء المتكرّر في البيتين : فيا عالم النجوى ؛ ويا كاشف البلوى.
(3) الصيّب : السحاب ذو المطر.

11 - يَالَهُ مِنْ فَتْحٍ مُبِين !

وَلَهُ أَيْضًا رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ :

[الطّويل]

دَعَوْتَ لِمَوْلاَكَ الْوَرَى بَاذِلاً نُصْحَا ... وَلَمْ تَشْكُ خَدْشًا فِي الإِلاه ولاَ جَرْحَا

وَهَاجَرْتَ لَمَّا أَنْ أَبَى الْقَوْمُ هَاجِرًا ... لِمَنْ سَلَكَ الْبَطْحَا وَمَنْ سَكَنَ الْبَطْحَا[1]

فَقَوَّاكَ لَمَّا كُنْتَ نَاصِرَ دِينِهِ ... بِأُسْدٍ شَرَى يُورُونَ زَنْدَ الْوَغَى قَدْحَا

رِجَالٌ لَهُمْ شَوْقُ آرْتِيَاحٍ إِلَى الْوَغَى ... وَلَوْ زُلْزِلُوا فِي النَّقْعِ لَمْ يَيْأَسُوا رَوْحَا

كَمَاةٌ بِهِمْ قَدْ زَانَ بُطْحَانَ يَثْرِبٍ ... وَشَرَّفَ حَامِي الْمُسْلِمِينَ بِهَا الرُّكْحَا

كَمَامُهُمْ[2] بُطْحٌ لِيَقْتَحِمُوا الْوَغَى ... وَأَكْرِمْ بِمَنْ كَانَتْ عَمَائِمُهُمْ بُطْحَا

هُمُ السَّادَةُ الأَنْصَارُ مَنْ شَاعَ فَضْلُهُمْ ... وَلَمْ يَخْفَ مَا قَدْ أَضْمَرُوا بل بَدَا بَوْحَا

فَمَا زَالَ سُنْحُ الْخَيْرِ عَنْهُمْ بِطَيْبَةٍ ... لَيُمْنِكَ مُذْ وَافَى أَبِي بَكْرٍ السُّنْحَا[3]

وَجَاءَتْ رِجَالٌ هَاجَرُوا عَنْ دِيَارِهِمْ ... وَقَدْ نَبَذُوا الْبَطْحَاءَ مُذْ يَمَّمُوا الرَّوْحَا[4]

فَكَانَ بِكُلِّ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى الْعِدَى ... مِنَ الظَّفْرِ مَا أَرْدَى كُمَاةَ الْعِدَى دَحَّا[5]

---

(1) البطحاء : مكان واسع فيه رمل ودُقَاق حصى، والمقصود بالكلمة الثانية : بطحاء مكّة.

(2) الكمَام : القلانس، وقد آقتبس الشاعر الحديث النبوي : كانت كمام الصّحابة بُطْحًا أي لازَقة بالرأس غير ذاهبة في الهواء.

(3) السّنح : اليمن والبركة ؛ والسانح : الذي يأتي من جانب اليمين ويقابله البَارح ؛ وكانت العرب تتيمّن بالسانح ؛ وتتشاءم بالبارح ومنه المثل «من لي بالسّانح بعد البارح» أي من يتسبّبُ لي بالمبارك بعد الشؤم ؛ وهو يضرب في توقع المحبوب بعد المكروه.

(4) الروحاء : موضع على ثلاثين أو أربعين ميلا جنوب المدينة الغربي.

(5) دحَ دَحًا الشيء في الأرض دسّه وواراه التراب.

وَظَلَّ بِهِ مُلْقَى طَرِيحًا أَخُو الَّذِي ... دَعَا كُفْرُهُ هَامَانَ[1] يَبْنِي لَهُ صَرْحَا

تُنَادِيهِمُ عِنْدَ الْقَلِيبِ[2] وَهُمْ لِقًا ... بِأَرْجَائِهِ صَرْعَى وَقَدْ تُرِكُوا سَوْحَا

أَيَا يَاعُتْبَةُ يا شَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةٍ[3] ... أَأَبْصَرْتُمَا مَا كُنْتُ حَذَّرْتُكُمْ نُصْحَا

يَقُولُ لِسَانُ الْحَالِ لاَ لَوْمَ بَعْدَمَا ... بَذَلْتُكُمُ نُصْحِي وَأَوْضَحْتُهُ شَرْحَا

15 فَلَمْ تَفْعَلُوا الأَفْعَالَ [إِلاّ] أَجانب(؟) ... وَقَدْ لَحَّتِ الْقُرْبَى مَدًى بَيْنَنَا لَحَّا

وَلَوْلاَ اعْتِدَاكُمْ مَا بَرَى جِيدَ شَيْبَةٍ ... رَوَاحٌ وَلاَ لاَقَى قَفَاهُ بِهِ ذَبْحَا

وَدُسْتُ بِهِمْ أَرْجَاءُ خَيْبَرَ هَاجِمًا ... وَجُزْتُ بِهِمْ أَرْجَا مَنَازِلِهَا الْفَيْحَا

فَفُزْتَ بِنُعْمَى وَاصْطَفَيْتَ صَفِيَّةً[4] ... فَأَدْخَلَهَا الْمَوْلَى حِمَى الْمِلَّةِ السَّمْحَا

وَأَمْهَلْتَ حَتَّى ثُرْتَ ثَوْرَةَ ضَيْغَمٍ ... رَأَى الصَّفْحَ فِي سَرْحِ الْبَرَى شُرَّدًا سَرْحَا

20 وَأَعْدَدْتَ لِلْعَادِينَ جُرْدًا[5] ضَوامِرًا ... وَكُومَ ذُرَى وَالدُّرْعَ وَالسَّيْفَ وَالرُّمْحَا

فَجَاهَدْتَ مَنْ قَدْ نَدَّ عَنْ سَنَنِ الْهُدَى ... وَنَازَلْتَهُ تَسْتَرْقِبُ الظَّفْرَ وَالنُّجْحَا

وَصَبَّحْتَ مَنْ أَضْحَى بِمَكَّةَ حُسَّرًا ... يَخَافُونَ جَرْيَ الْعَادِيَاتِ[6] لَهُمْ صُبْحَا

وَجَرَّعْتَهُمْ رُعْبًا أَقَامَ كَمِيُّهُمْ[7] ... مَقَامَ مُرَاعٍ لَمْ يَجِدْ حَوْلَهُ سَفْحَا

---

(1) هامان : وزير فرعون، والشاعر يشير إلى الآيات الكريمة من سورة الزخرف : «وقال فرعونُ ياهامَان آبْن لي صَرْحًا...» الآية 36، والمعنى أنّ الكافر الملقى على الأرض هو أخو فرعون في الكفر والإصرار عليه.

(2) قليب بدر : مكان أعدّ لدفن قتلى المشركين لأنّه كان من سنن النبي ﷺ أنّه إذا مرّ بجيفة انسان أمر بها فدفنت ؛ لا يسأل عنه مؤمنا أو كافرًا.

(3) يشير الشاعر إلى قصّة غزوة بدر ؛ فعند ابتداء القتال خرج من صفوف المشركين ثلاثة : عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وآبنه الوليد فقتلوا جميعا ولمّا ألقوا في القليب قام عليه الصّلاة والسّلام على شفته ؛ وجعل ينادي المشركين بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان آبن فلان... أيسرّكم أنّكم كنتم أطعتم الله ورسوله...؟ إلى آخر القصة الموجودة بكتب السّير.

(4) هي صفيّة بنت حي سيّد بني النّضير تزوّجها عليه السّلام وأَصْدَقها عتقها ؛ وقد أسلمت فشرفت بأمومة المؤمنين.

(5) الجرد : الأفراس القصار الشعر، والضوامر هي الأفراس التي قلّ لحمها.

(6) بعد آنهزام أهل الشّرك وما أضحَوْا عليه من الحسرة ؛ صاروا يخافون جري العاديات والخيول ؛ وهو يشير إلى الآية الكريمة (والعاديات ضبْحا ؛ فالموريات قدحا ؛ فالمغيرات صُبْحا.

(7) الكَمِيُّ : الشجاع أو لابس السّلاح لأنّه يَكْمِي نفسه أي يسترها بالدّرع.

يَطُولُ عَلَيْهِمْ كُلُّ يَوْمٍ أَتَى لَهُمْ ... وَقَدْ جَنَحُوا للسِّلْمِ وَٱسْتَغْنَمُوا الصُّلْحَا

فَلَوْ نُوزِلُوا وَالشَّمْسُ بِالْجَدِّي[1] أَيْقَنُوا ... لِمَا قَدْ دَهَاهُمْ أَنَّهَا حَلَّتِ النَّطْحَا[2]

تُنَاطِحُ جَوْفَ الثَّورِ[3] مُجْتَازَةً إِلَى ... مَنَصَّتِهَا الجَوْزَا[4] لِكَيْ تُنْضِجَ الْقَمْحَا

فَوَافَاكَ مِنْ مَوْلاَكَ نَصْرٌ مُؤَزَّرٌ ... وَأَفْضَى لَكَ النُّعْمَى وَخَوَّلَكَ الْفَتْحَا

وَيَالَهُ مِنْ فَتْحٍ[5] مُبِينٍ لِسَيِّدٍ ... مَكِينٍ يُرِيحُ الغَمَّ ذِكْرُهُ وَالْقَرْحَا

عَزِيزٌ عَلَى المَوْلَى الجَلِيلِ وَكَيْفَ لاَ ... وَلَوْلاَهُ مَا حَلَّ الرِّكَابُ حِمَى الْبَطْحَا

وَلا نَالَ آمَالَ الهَنَا فِي مِنًى فَتًى ... وَلاَسِيقَ هَدْيٌ لِلْحَطِيمِ[6] مَدَى الأَضْحَى

وَلاَمَرَّ بِالرَّوْحَاءِ رَكْبُ رَوَاحِلٍ ... مِنَ الْغَرْبِ يَطْوِي الْبِيدَ أَوْ سَاحَتَيْ جَلْحَا[7]

* * * * *

فَشُكْرًا لِمَوْلَى مُنْعِمٍ وَاصِلِ الْحَبَا ... لِدَاعِي هُدًى أَوْحَى لَهُ مِنْهُ مَا أَوْحَى

وَنَادَاهُ إِعْلاَمًا لَهُ وَتَثَبُّتًا ... خُذِ الْعَفْوَ[8] وَأْمُرْ بِالْهُدَى وَأَصْفَحِ الصَّفْحَا

وَقَالَ لَهُ : أَصْبِرْ مِثْلَمَا صَبَرَ الأُلَى ... أُولُو العَزْمِ حَتَّى أَمْلأَنَّ لَكَ الْجَبْحَا

فَلِلَّهِ رَبِّي الْحَمْدُ شُكْرًا عَلَى مُنًى ... أَزَاحَ بِهِ عَنْ بَيْتِهِ الشِّرْكَ وَالزَّلْحَا[9]

فَزَحَّ ضُحَى مَا كَانَ مِنْ وَثَنٍ بِهِ ... وَأَنَّ لَهُ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ مَا زَحَّا[10]

فَيَا خَيْرَ وَاقٍ صَانَ بَيْتَهُ فَٱحْتَمَى ... وَوَالَى عَلَى مَنْ زَالَ شِرْكُهُمْ جَزْحَا

تَفَضَّلْ بِإِحْسَانٍ فَإِنَّكَ مُنْعِمٌ ... وَلاَ زِلْتَ مِفْضَالاً جَزِيلَ العَطَا سَمْحَا

وَعَجِّلْ إِلاَهِي مِنْكَ عَافِيَةً إِلَى ... عَلِيلٍ وَجَا قَدْ طَالَ يَمْنَعُهُ السَّبْحَا

---

(1) الجدي : نجم إلى جنب القطب تعرف به القبلة.
(2) النّطح : نَجْمَان هما قرنا الحمل.
(3) الثور : برج في السّماء.
(4) الجوزاء كذلك.
(5) فتح مكة.
(6) الحطيم : الجدار الذي عليه ميزاب الكعبة.
(7) جلحا : أرض جلحاء، لا شجر فيها.
(8) إشارة إلى الآية الكريمة 199 من سورة الأعراف : خُذِ العفو وأْمر بالعُرْف وأعرض عن الجاهلين.
(9) الزَّلْحُ : الباطل.
(10) جزح المال : قطع له منه قطعة، وزحّ زحّا : نحّاة عن مكانه.

لَـهُ رَدَحٌ مِنْ دَهْـرِه يَشْتَكِـي أذًى ... ضَنًى عَزَّ مَعْهُ الصَّبْرُ إذْ لَمْ يَكُنْ رِدحَا

وَكُـنْ لِجَمِيـعِ المُسْلِمِيـنَ مُعَـافِيًا ... مِنَ الضُـرِّ والْبَلْـوَى وَوَاصِلْهُمُ رِبْحَـا

وَمُـنَّ عَلَيْنَـا أَجْمَعِيـنَ بِرَحْمَـةٍ ... وَطَيِّـبِ غُفْـرَانٍ بِـهِ وِزْرُنَـا يُمْحَـى

وَلاَ تُخْـزِنَا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَآكْفِنَـا ... سَعِيـرَ جَحِيمٍ لاَ نُطِيـقُ لَـهُ لَفْحَـا

وَدَاوِ كَـلاَمَ الْمُسْلِمِيـنَ بِمُسْلِـمٍ ... طَبِيـبٍ أَسَى يَبْـرِي جَوَارِحَنَا الْجَرْحَى

وَجُـدْ يَا كَثِيـرَ الْخَيْـرِ عَنَّـا بِهَـاطِلٍ ... مِنَ الْغَيْثِ مُنْهَـلاً يُحَيِّـي الْبِـرا سَحَّا

بِأَكْـرَمِ مَـوْلَى نَـالَ مِنْـكَ عِنَايَـةً ... فَمَكَّنْتَهُ مِمَّنْ طَغَى وَآعْتَدَى جَوْحَا[1]

عَلَيْـهِ صَـلاَةٌ مِنْـكَ تَتْـرَى وَآلِـهِ ... مَعَ الصَّحْبِ مَا أَبْدَى زَمَانُ الدُّنَى صُبْحَا

(1) جاحَ وأَجَاجَ وآجتاح : استأصل وأهلك، والجائحة البليّة والتّهلكة والدّاهية العظيمة، والمعنى : إنّ الله تعالى مكّنَ نبيّه من الطّغاة الذين آعتَدَوْا وعاثوا بالإهلاك وجلب البلايا.

12 - ذِكْرَى بَدْر

وَلَهُ أَيْضًا رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ :

[الطَّويل]

دَعِ الضَّجْرَ حَالَ الضَّجْرِ والْتَزِمِ الصَّبْرَا ... وَسَلِّمْ إِلَى الْمَوْلَى وَفَوِّضْ لَهُ الأَمْرَا
وَلاَ تَرْجُ خَيْرًا مِنْ سِوَاهُ فَلاَ سِوَى ... وَهَلْ ثَمَّ مَوْلًى غَيْرُهُ يُفْعِمِ الْخَيْرَا
وَمَا كَانَ فِينَا كُلُّهُ عَنْ مُرَادِهِ ... وَتَدْبِيرُهُ قَدْ قَدَّرَ النَّفْعَ والضَّرَّا
وَعَيْشُكَ لِلْمَوْلَى لَطَائِفُ أَنْعُمٍ ... من اللُّطْفِ إِنْ هَبَّتْ ضُحَى رَوَّحتْ ظُهْرَا
تُزِيلُ مِنَ الأَسْوَاءِ أَعْظَمَ مُعْضِلٍ ... بِمَغْرِبِ ذِي عُسْرٍ إِذَا أَقْبَلَتْ عَصْرَا
أَمَا سَمِعَتْ أُذْنَاكَ نَصْرَ نَبِيِّنَا ... عَلَى الخُسَّرِ الأَلْوَادِ[1] حِينَ أَتَوْا بَدْرَا[2]
وَقَدْ أَمَّتِ الأَمْلاَكُ نَصْرَ جُنُودِهِ ... عَلَى الْبُلْقِ[3] لَمْ تَقْوَ الْعِدَاةُ لَهَا كَرَّا
وَلَمْ يُغْنِهِمْ إِبْلِيسُ بَلْ رَاحَ عَنْهُمُ ... يُنَادِيهِمُ إِنِّي بَرِي يَا مَنِ اسْتَحْرَى
دَعُونِي أَرَ يَا قَوْمُ مَا لاَ تَرَوْنَهُ ... وإِنِّي أَخَافُ اللهَ والشُّرَّعَ[4] السُّمْرَا
فَفِرُّوا فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ عَلَيْكُمُ ... وَلَمْ يُجْدِكُمْ مَنْ غَرَّ فَاسْتَدْرِكُوا الأَمْرَا
فَوَيْلٌ لأَقْوَامٍ بُغَاةٍ قَدِ اجْتَوَوْا[5] ... هُدَى مِلَّةِ الإِسْلاَمِ وَاسْتَعْذَبُوا الْكُفْرَا
عِدَاةِ نَبِيٍّ سَاقَهُمْ خُيَلاَؤُهُمْ ... وَأَرْكَبَهُمْ عُدْوَانُهُمْ مَرْكَبًا وَعْرَا

(1) مفرده أَلْوَدُ : من لا ينقاد لعدل ولا يميل لأمر.
(2) محل بين مكة والمدينة وهو إلى المدينة أقرب ؛ وكان به سوق تعقد كلَّ سنة ثمانية أيّام،
(3) البُلق ؛ الخيل يكون في لونها سواد وبياض.
(4) يقال شرع الرمح صوّبه وسدّده ؛ والشرّع السّمر ؛ الرّماح.
(5) اجْتَوَى البلدَ : كره المقام به ؛ واجتَوَوْا الإسلام كرهوه.

فَرَامُوا بِبَدْرٍ حِينَ أَمْسَوْا وَعَرَّسُوا ... بِهِ عِرْسَ بِكْرٍ فَضَّهَا بَغْيُهُمْ امْرَا

وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَيْلُ النَّبِيِّ وَرَجْلُهُ ... لِعِرْسِهِمُ تَسْتَرْقِبُ الأَجْرَ والنَّصْرَا

فَكَانَ لَهُمْ بِالظَّفْرِ نَصْرٌ مُؤَزَّرٌ ... وَفَوْزٌ لِمَنْ قَدْرَاحَ لِلْجَنَّةِ الْخَضْرَا

فَكَمْ جَالَ فِي الأَعْدَا عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ ... وَكَمْ هَبَرَا[1] أَجْسَادَهُمْ بِالظُّبَى[2] هَبْرَا

وَقَدْ حَرَّضَ الأَشْقَى مُصَفِّرَ أُسْتِهِ ... جُمُوعَهُ صُبْحًا حِينَ خَالَ بِهِمْ ظَفْرَا

وَحَاوَلَ كَأْسًا يَنْتَشِي بِرَحِيقِهَا ... إِذَا صَالَ بِالأَعْدَا وَجَاسَ الْحِمَى قَهْرًا

فَذَاقَ بِهِ حَتَّى آنْتَشَى أَكْؤُسَ الْمُنَى ... وَلَكِنَّهَا مِنْ دَنِّ عَضْبَيْ بَنِي عَفْرَا

وَدَنٍّ طَلَى سَيْفِ آبْنِ مَسْعُودٍ بَعْدَ أَنْ ... رَأَى الْغُمرُ كَيْفَ الطَّعْنُ وَالْمَوْتَةُ الْحَمْرَا

لَقَدْ بَحَثَ الأَشْقَى عَلَى حَتْفِ نَفْسِهِ ... بِظُلْفِهِ إِذْ لَمْ يَرْضَ مِنْ عُتْبَةٍ خُبْرَا

تَقُولُ الْمَوَالِي حِينَ رَاحُوا لأَهْلِهِ ... أَلاَ لَيْتَ عُتْرَ السُّوءِ مَا حَاوَلَتْ حَفْرَا

فَيَالَهُ مِنْ يَوْمٍ لَقَدْ كَبُرَتْ بِهِ ... عَلَى كُلِّ أَهْلِ الشِّرْكِ وَقْعَتُهُ الْكُبْرَى

أَتَوْهُ آجْتِرَاءً مِنْهُمُ وَتَعَصُّبًا ... يَقُودُهُمُ لِلْحَيْنِ[3] أَجْسَرُ مَنْ غَرَّا

يَضِيقُ بِهِمْ قَبْلَ النِّزَالِ فَضَا الْبَرَا ... وَقَدْ وَسِعَ الأُخْدُودُ[4] قَتْلاَهُمُ طُرًّا

فَنَادَاهُمُ الْمُخْتَارُ حِينَ غَدَوْا لِقَا ... وَحَلُّوا قَلِيبًا[5] قَدْ غَدَا لَهُمُ قَبْرَا :

أَيَا عُتْبَةُ[6] يَاشَيْبَةُ هَلْ وَجَدْتُمَا ... مِنَ الأَمْرِ مَا حَذَّرْتُكُمْ هَوْلَهُ دَهْرَا

فَلاَ لَوْمَ عَنِّي قَدْ بَذَلْتُ نَصِيحَتِي ... وَلاَ أُطْلَبَنْ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ أَجْرَا

---

(1) هَبَرَ اللّحم : قطعه.

(2) الظبَى : مفرده ظُبَةٌ : حَدّ السّيف أو السّنان ونحوهما.

(3) الحيْن : الموت والهلاك.

(4) الأخدود : الحفرة المستطيلة.

(5) حفرة تشبه البئر وسميّت كذلك لانّه قُلب ترابُها، وقد جاء في كتب السّير أنّ النبيّ ﷺ أمر بالقتلى من المشركين فنقلوا من مصارعهم إلى قليب بدر لأنّه كان من سنّته في مغازيه إذا مرّ بجيفة إنسان أمر بها فدفنت ؛ لا يسأل عنه مؤمنًا أو كافرًا.

(6) أمر عليه السّلام براحلته فشدّ عليها حتّى قام على شَفة القَليب الذي رُمي فيه المشركون وجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان بن فلان ! ويا فلان بن فلان أيسُرُّكم أنّكم كنتم أطعتم الله ورسوله، فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقًّا ؛ فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا ؟

فَأَخْرَجْتُمُونِي مِنْ مَنَازِلِ عِتْرَتِي وَقَدْ ذُقْتُ مِنْ حَمْلِ الأَذَى مِنْكُمُ صِبْرَا[1]
وَلِلَّهِ رَبِّي الْحَمْدُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلاَ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ غَيْرُهُ وَالشُّكْرَا

* * * * *

يَحِقُّ عَلَيْنَا الْحَمْدُ يَا قَوْمُ فَاحْمَدُوا إِلاَهًا وَقَى الْهَادِي وَخَوَّلَهُ النَّصْرَا
وَأَيَّدَهُ إِذْ كَانَ نَاصِرَ دِينِهِ بِجُنْدٍ مِنَ الأَمْلاَكِ وَافَى لَهُ يَتْرَى
وَقَوَّاهُ بِالأَنْصَارِ حَتَّى غَدَتْ بِهِ ذَوُو الشِّرْكِ فِي أُمِّ الْقُرَى تَشْتَكِي الذُّعْرَا
جَزَاهُمْ مَوْلاَنَا أَجَلَّ جِزَايَةٍ وَأَفْضَى لَهُمْ نُعْمَى وَأَوْلاَهُمُ خَيْرَا
كَذَاكَ رِجَالٌ هَاجَرُوا عَنْ دِيَارِهِمْ وَوَلَّوْا لِحُبِّ اللهِ أَوْطَانَهُمْ هَجْرَا
سَلُوا بِهِمُ الْمَوْلَى جَمِيلاً لِجَمْعِنَا وَقُولُوا جَمِيعًا رَبَّنَا هَبْ لَنَا الْيُسْرَى
وَزَوِّلْ جَمِيعَ الْعُسْرِ عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُنَّ بِعَفْوٍ يَمْحَقُ الذَّنْبَ وَالْوِزْرَا
بِحَمْزَةَ ؛ بِالْعَبَّاسِ وَابْنِ أَخِيهِمَا[2] حَبِيبِكَ مَنْ قَدْ فَاقَ كُلَّ الْوَرَى قَدْرَا
عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَانِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ صَلاَةٌ وَلاَ أَبْغِي لَهَا أَبَدًا حَصْرَا
وَلِلآلِ وَالأَصْحَابِ صَحْبِ نَبِيِّنَا سَلاَمٌ لَهُ عَرْفٌ كَعَرْفِهِمُ نَشْرَا

(1) الصَّبِر : بفتح الصاد وكسر الباء : عصارة شجر مرّ. ج صبور، ونبات من فصيلة الزّنبقيات تستخرج منه مادّة مُرَّة، والمعنى أنّه ذاق المرّ من الأذى.
(2) النبيُّ ﷺ.

13 - طِيبُ ذِكْرِ أَحْمَدَ ﷺ

وَلَهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ وَعَفَا عَنْه :

[الكامل]

وَافَى يُـرَدِّدُ طِيبَ ذِكْـرِهِ مَنْ حَكَى ... وَرَوَى حَدِيثَـهُ عَـاطِرًا مُتَمَسِّكَـا

فَـأَزَالَ عَنْ قَلْـبِ الْمُتَيَّمِ مَـا دَهَـى ... وَاسَى قُواهُ وَمَا آعْتَرَاهُ وَمَا شَكَـا

فَأَطِبْ بِأَقْبَـاءِ[1] تَصُبُّ وَكَيْـفَ لاَ ... وَهْـيَ الَّتِي تَبْـرِي الْعَلِيـلَ تَبَـرُّكَا

لِلّٰهِ ذِكْـرُ أَحِبَّـةٍ يَشْفِـي الأَسَـى ... وَيُعِيـدُ مَا أَضْنَـى السَّقَـامُ وَأَنْسَكَـا

بِـدُجَى لَيَـالِي مَـوْلِدٍ أَمْسَـى بِهَـا ... وَجْـهُ الْمُنَـى مُسْتَبْشِـرًا مُسْتَضْحِكَا

لَـمْ لاَ وَلَـمْ لاَ ؟ وَهْـيَ مَوْلِدُ خَيْـرِ مَنْ ... عَبَـدَ الإِلاَهَ مُصَلِّيًـا مُتَنَسِّكَـا

طَـهَ أَجَـلُّ الْعَـالَمِينَ مَكَانَـةً ... وَأَعَـزُّ مَـنْ نَـالَ الْعُلَـى لَمَّـا زَكَـا

كَهْفٌ ؛ حِجَابٌ ؛ مَعْقَلٌ ؛ مَأْوَى ؛ حِمَى ... نَجْمٌ ؛ سِـرَاجٌ ؛ بَـارِقٌ ؛ قَمَـرٌ ؛ ذُكَـا

مَـوْلًى تَعَـاظَمَ رَأْفَـةً حَتَّى سَبَى[2] ... مُهَـجَ النُّفُـوسِ وَحَـازَهَا مُتَمَلِّكَـا

كَـمْ مِـنْ عَظِيـمٍ قَـدْ دَرَى مِقْـدَارَهُ ... وَجَمَـالُ وَصْفِـهِ يَسْتَهِيـمُ تَهَتُّكَـا

وَأَخَا المحـالِ وَلَاَ سِـوائِي مَا سَعَـى ... سَعْيًـا يَقِيـهِ وَعِنْـدَهُ أَقْـوَى وِكَـا[3]

لَكِنَّنِـي بِهِمَـا تَـذَكَّرَ خَـاطِرِي ... مَا كَـانَ مِنْ زَلَـلٍ يَحِقُّ لَـهُ الْبُكَـا

نَـادَيْتُ قَلْبِـيَ : لاَ تَخَـفْ مَعَ أَحْمَـدَ ... مَـا يُخْتَشَـى فَآلْجَـأْ بِـهِ مُتَمَسِّكَـا

---

(1) أقباء، ج قبو وهو ما يُقبى كالجسر الصّغير فوق مجاري المياه.
(2) في الأصل : حتّى سَعَى، فأصلحناها.
(3) الوِكا : الرِّبَاط وما يشدّ القربة ونحوها.

فَهْـوَ الشَّفِيـعُ وَرَحْمَـةُ المَـوْلَى الَّتِي يَـرْجَى الْجَمِيـعُ فَرَاقِبْنَـهُ وَأَمْسِكَا
يَا خَيْـرَ دَاعٍ قَـدْ هَـدَى أَهْلَ الْهُدَى رِفْقًـا وَجَـاهِدْ بِالظُّبَـى مَنْ أَشْـرَكَا
أَنْـتَ الْمَـلَاذُ فَسَـلْ لَنَـا مِنْ رَبِّنَـا عَفْـوًا وَلُطْفًـا قَبْـلَ أَنْ نَسْتَهْلِكَـا
إِنْ لَـمْ تَكُـنْ إِلاَّ لِّـذِى نُسْـكٍ وَفَـا فَلِمَنْ يَفِي[1] مَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَنَسِّكَا
حَـاشَا لِفَضْلِـكَ أَنْ يُخَيِّبَ آمِـلاً وَلَـكَ الْمَكَـانَةُ وَالفَخَـارُ تَمَلُّكَـا

* * * * *

يَـا رَبِّ إِنِّـي جِئْـتُ بَـابَكَ رَاغِبًـا أَشْكُو الأَذَى يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَـى
إِنَّ الـدُّنَى غَـرَّتْ جَمِيـعَ أُمُـورِهَا وَلَنَـا مَـآرِبُ عِنْـدَهَا لَـنْ تُدْرَكَـا
فَاقْـدِرْ لَنَـا تَسْهِيـلَ خَيْـرِ أُمُـورِنَا وَاجْعَـلْ لَنَـا فِي كُـلِّ صَعْـبٍ مَسْلَكَا
وَالْطُـفْ بِنَـا وَالمُسْلِمِيـنَ وَعَـافِنَا وَامْنُنْ عَلَيْنَـا مِنْ خَـزَائِنِ فَضْلِكَـا
بِـأَجَلِّ مَـوْلُودٍ وَإِنَّـهُ وَالِـدٌ إِذْ كَـانَ أَصْـلاً لِلْوُجُودِ كَمَـا حَكَى
وَعَلَيْـهِ وَآلِ الْكِـرَامِ وَصَحْبِـهِ أَزْكَـى صَـلاةٍ مِنْكَ عَنْبَرُهَا ذَكَـا[2]

(1) يفيءُ : يرجع، قال تعالى «حَتَى تَفيءَ إلى أَمْرِ اللهِ» (سورة الحجرات، الآية 9) والمعنى : إذا كان الله مع المتنسّك المتعبّد فلمن يرجعَ ويتوب غير النّاسك ؟
(2) ذكا العنبر يذكو : تضوّع وفاح.

14 - يَا سَيِّدَ السَّادَاتِ

ولَهُ أيضًا جعَلَهُ اللهُ مِنَ الآمِنِينَ، بِجَاهِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ :

[الكامل]

خَـلِّ الْمَضَـاجِعَ لَاتَ حِيـنَ مِهَـادِ ... وَآهْجُـرْ مَنَـامَكَ وَآكْتَحِـلْ بِسُهَـادِ

وَآغْسِلْ فُؤَادَكَ مِنْ غَشَاوَةِ رَيْنِـهِ[1] ... بِجَمِيـلِ مَا يَمْحِي سَوَادَ فُـؤَادِ

وَآغْنَمْ مَدَى أَوْقَاتِ أَشْـرَفِ مَوْسِمٍ ... فَـاقَتْ لَيَالِيـهِ مَـدَى الأَعْيَـادِ

أَتُرَى الْمَضَـاجِعِ والأَحِبَّـةَ قَـدْ شَـدَا ... بِمَدِيحِهِمْ لَيـلَ الْمَسَـرَّةِ شَـادِي

مَهْمَـا يُـرَدِّدُ ذِكْـرَهُمْ وَيَعُـدُّهُ ... يُسْمِعْكَ مِنْـهُ غَـرِيبَ خَيْـرٍ مَعَـادِ

ذِكْـرًا يَفُـوحُ النَّـدُّ مَعْـهُ مُعَطِّـرًا ... أَرْجَـاءَ كُـلِّ حِمًـى حَـوَاكَ وَنَـادِي

نَبَأٌ شَفَى نَفْسَ المُحِبِّ بِمَا سَـلاَ ... وَقَلَـى وَصَلَّـى[2] نَفْسَ كُـلِّ مُعَادِي

للهِ ذِكْـرُ أَحِبَّـةٍ أَنْبَـاؤُهُمْ ... تَبْرِي وَجَـى قَلْبِي الْعَلِيلِ الصَّـادِي

قَـوْمٌ كِـرَامٌ أَيَّـدُوا دِيـنَ الْهُـدَى ... لَمَّـا غَـدَوْا أَهْـلَ آهْتِـدَا وَإِدَادِ[3]

عَـرَفُوا طَـرِيقَ الحَـقِّ حِينَ بَـدَا لَهُمْ ... فَتَبَـادَرُوا طَـوْعًا بِغَيْـرِ عِنَـادِ

يَجْفُـونَ أَقْـوَامَ الضَّـلاَلَةِ عَنْ قِلًـى ... وَيُـرَوِّعُونَ قُـرَيبَهُمْ بِبِعَـادِ

صَبَـرُوا عَلَـى ضُـرِّ العِـدَا وَتَحَمَّلُوا ... بَلْـوَى شِـدَادٍ مِنْ نُفُـوسٍ شِـدَادِ

---

(1) ران هواه على قلبه، يَرين رَيْنًا غلب عليه ؛ وفي سورة المطفّفين «بَلْ ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون».

(2) صَلَى الشيء على النّار : وضعه عليها.

(3) الإداد : الغلبة والقوّة.

وَكَذَا أَبِي جَهْلِ اللَّعِينِ وَحِزْبِهِ أَهْلِ الضَّلاَلِ الْخُسَّرِ الأَلْوَادِ[1]
صَالُوا عَلَى مَنْ لَمْ يَصُدَّ نُفُوسَهُمْ بَلْوَى صَدَى قَلْبٍ وَكَيِّ جُسَادِ[2]
حَتَّى إِذَا صَلَى بِلاَلاً[3] حَرَّ مَا لاَيَسْتَطِيعُ الصَّخْرُ ظَلَّ يُنَادِي :
أَحَدٌ، أَحَدْ، لاَ يَسْمَعُونَ سِوَاهُمَا وَهُمُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ إِلْحَادِ
تَعِسَتْ نُفُوسُ جُمُوعِ كُفْرٍ مَا اهْتَدَوْا وَدَلِيلُهُمْ وَاللهُ أَرْشَدُ هَادِ
دَاعٍ نَذِيرٌ إِذْ عُنُوا بِرَشَادِهِ مَعْ صِدْقِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْمِيعَادِ
وَقَلَوْهُ ثُمَّةَ حَزَّبُوا وَتَجَمَّعُوا وَأَتَوْا بِأَعْظَمِ مُنْكَرٍ وَإِدَادِ[4]
حَتَّى غَدَا يَوْمًا لَهُ الأَشْقَى أَبُو جَهْلٍ لِيَرْمِيَ ظَهْرَهُ[5] بِجَمَادِ
فَبَدَا لَهُ الْفَحْلُ الَّذِي قَدْ هَالَهُ فَانْسَلَّ مَذْعُورًا لِذَاكَ[6] الطَّادِ
وَأَتَى قُرَيْشًا مُخْبِرًا وَأَذَاعَهُمْ مَا قَدْ رَآهُ وَوَجْهُهُ كَالجَادِي[7]
قَدْ خَالَ رُعْبُهُ أَنَّ قَلْبَهُ سَاعَةٌ[8] أَوْ مِعْوَلاَنِ عَلَى عَلاَ[9] حَدَّادِ
لَمْ يُجْدِ كُفْرُهُ إِذْ تَحَتَّمَ كُلُّ مَا وَافَى لِقَوْمِهِ مِنْ دَلِيلٍ بَادِ

---

(1) الأَلْوَادَ : مفرده أَلْودُ، مَنْ لا يُميلُ إلى عدل ولا ينقاد لأمر.

(2) الجُساد : وجع البطن.

(3) بلال بن رباح : حبشي، أسود اللّون ؛ وهو أوّل مؤذن في الإسلام لآمتلاكه صوتًا ندِيًّا، هاجر صحبة النّبي إلى المدينة. وتوفّي في دمشق سنة 641 م ؛ والشاعر يشير إلى العذاب الذي سلط عليه عندما رمي به في حرّ الشمس ثمّ يأمر أميّة بن خلف بالصّخرة العظيمة فتوضع على صدرة وبلال يردّدُ : أحد، أحد وآصطفاء النّبي ﷺ بلالاً مؤذّنا فيه دلالة على أن الإسلام يعتبر الإنسان واحدًا مهما كان جنسه ولونه وهذا المبدأ العظيم للإسلام هو من جملة المبادئ التي آمن بها المفكر الفرنسي روجي غارودي ؛ والتي جعلته يعتنق الإسلام عن آقتناع ويُشهره في طرابلس الغرب. ولقد كان بلال مملوكا لأميّة بن خلف الجُمَحي الذي كان يجعل في عنقه حبلا ويدفعه إلى الصبيان يلعبون به.

(4) هنا الإدَاد : الأمر الفضيع.

(5) أشرنا لهذه الحادثة في ص 124.

(6) إشارة للقصّة المعروفة في كتب السّير ؛ فعندما أراد أبو جهل الاعتداء على النبيّ ظهر له جبريل صورة فحل، والطّاد : من طاد، ثبت، وهنا البعير الهائج.

(7) الزّعفران : يعني أنه من شدّة ذعره آصْفَرَّ وجهه وصار يحاكي الزّعفران لونًا.

(8) شبّه الشاعر قلب أبي جهل بساعة تدقّ فتسمع دقّاتها من شدّة الخوف والفَرَقِ.

(9) عَلاَ : سَنْدانُ الحدّاد.

سَمِعُوا مَقَالَ النُّوقِ[1] حِينَ تَكَلَّمَتْ ... بِفَصِيحِ قَوْلٍ طِبْقَ قَوْلِ الْهَادِي
وَقَدِ اسْتُفِزَّتْ مِنْ أَبِي جَهْلٍ وَلَمْ ... تَسْمَعْ مَقَالَتَهُ أَوَانَ[2] شِرَادِ
وَغَدَا اللَّعِينُ يَقُولُ هَزَّ هَدِيَّتِي ... فَلِمَ يَفُكُّ هَدِيَّتِي ذَا الْعَادِي ؟
وَرَأَى انْشِقَاقَ الْبَدْرِ فَازْدَادَتْ بِهِ ... ظُلَمَاتُ ظُلْمِ ضَلَالِهِ الْمُعْتَادِ
وَدَهَاهُ إِسْلَامُ الرِّضَا عُمَرَ فَأَوْ ... رَى كُفْرُهُ بِالْقَلْبِ حَرَّ زِنَادِ
حَتَّى دَعَا غَيْظًا جُمُوعَ ضَلَالِهِ ... وَتَشَاوَرُوا بَعْدَ اعْتِدَادِ عَتَادِ
وَتَظَاهَرُوا بِقَطِيعَةٍ لَمْ تَرْضَهَا ... أَبْنَا ثَمُودِ الْمُعْتَدُونَ وَعَادِ
وَجَرَوْا لأَشْنَعِ فِعْلَةٍ قَدْ سُوِّدَتْ ... مِنْهَا صَحِيفَتُهُمْ بِشَرِّ مِدَادِ
فَمَحَا الإِلَهُ جَمِيعَ مَاقَدْ سَوَّدَتْ ... فِيهَا الأَنَامِلُ مِنْ مُحَالِ بَدَادِ
وَهُمُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَالٍ دَهَى ... وَصَلَادَةٍ لَمْ تَنْقَدِحْ كَصِلَادِ[3]

* * * * *

إِنَّ الضَّلَالَ إِذَا تَوَسَّعَ خَرْقُهُ ... لَمْ يُغْنِ فِيهِ سَدَادُ أَهْلِ سَدَادِ
وَإِذَا قَضَى الْمَوْلَى لِعَبْدِهِ بِالْهُدَى ... وَافَى لَهُ يَسْعَى بِغَيْرِ رِيَادِ
فَلْنَشْكُرَنْ مَوْلًى كَرِيمًا مُنْعِمًا ... أَفْضَالَنَا نِعَمًا بِلاَ تَعْدَادِ
وَأَجَلُّهَا شَرَفًا وَقَدْرًا جَعْلُنَا ... مِنْ أُمَّةِ الأَرْضَى النَّبِيِّ الْهَادِي
مَوْلًى وَحَقِّهِ لَوْغَدَا فِي فِي[4] فَتًى ... أَلْفَا لِسَانٍ مُفْصِحٍ بِالضَّادِ
مَا قَامَ فِي وَصْفٍ بِوَاجِبِ حَقِّهِ ... وَلَوِ اسْتَعَانَ بِلُسْنِ أَهْلِ عَكَادِ[5]
إِذْ لَيْسَ يَعْلَمُ كُنْهَ قَدْرِهِ غَيْرُ مَنْ ... نَبَّاهُ قَبْلَ تَكَوُّنِ الأَجْسَادِ
إِيهٍ عَلِمْنَا أَنَّهُ أَصْلُ الْهُدَى ... لَمْ يُنْكِرَنْ ذَا الْقَوْلَ غَيْرُ كَنَادِ[6]

---

(1) حديث النّاقة من معجزات النبي.
(2) عند شرودها ونفورها.
(3) صلاد : عودٌ لا تَنقدحُ منه نار.
(4) في الأولى حرف جر والثانية الفم، والمعنى لو صار في فم الفتى ألْفا لسانٍ ما وفّى بواجب حقّ الممدوح.
(5) جبل قرب زبيد، كان أهله باقين على اللّغة الفصيحة.
(6) الكافر بالنّعمة.

وَبِـأَنَّ مَـوْلاَنَا أَمَـدَّهُ فِـي الـدُّنى بِعَظِيـم آيٍ أُيِّـدَتْ بِإِيَـادِ
وَحَمَى الْبَعِيرَ مِنَ الرَّدَى لَمَّا الْتَجَا وَوَقَـى الْغَزَالَةَ مِنْ مُدَى الصَّيَّـادِ
وَكَفَـى بِيُمْـنِ يَمِيـنِ كَـفَّ بَنَانِـهِ أَلْفًـا بَـدَوْنَ ثَلاَثَـةِ الأَمْـدَادِ
وَسَقَـى الأُلُـوفَ بِدُونِ مَـدٍّ إِذْ غَـدَا مَـدًّا قَـوِيَّ الْفَيْـضِ بِاسْتِمْـدَادِ
وَسِـوَى الذِي قَدْ قُلْتُهُ إِذْ لاَ تَفِـي بِجَمِيـعِ ذَاكَ يَـرَاعَتِي وَمِـدَادِي

* * * * *

يَا سَيِّـدَ السَّادَاتِ، يَـا كَهْـفَ الْـوَرَى يَـا مُنْيَتِـي ؛ يَـا مَـوْئِلِي وَعِمَـادِي
إِنِّـي بِبَـابِ عُـلاَكَ مَكْلُـومُ الْحَشَـا أَشْكُـو أَلِيمَ مَضَـرَّةٍ وَكَمَـادِ
وَحَمَـى فُـؤَادٍ زَادَ سُقْمُـهُ عِنْـدَمَا وَافَـى إِلَى فَوْدَيَّ[1] صَبْـغُ مِسَـادِ[2]
فَبِجَـاهِ قَـدْرِ صَـدِيقِكَ الصِّـدِّيقِ مَنْ نَجَّـى بِـلاَلاً مِنْ لَظًـى وَصِفَـادِ[3]
وَخَلِيلِـكَ الْفَـارُوقِ مَـنْ أَسْعَدْتَـهُ لَمَّـا دَعَـوْتَ فَمَـالَ عَنْ إِسْعَـادِ
وَبِحَقِّ عُثْمَـانَ الشَّهِيـدِ الْمُـرْتَضَى وعلـيٍّ الصَّمْصَـامَةِ[4] الْعِـرْدَادِ[5]
وَجَمِيعِ آلِـكَ والصِّحَـابِ جَمِيعِهِمْ أَهْـلِ الْمَعَـالِي السَّـادَةِ الأَمْجَـادِ
سَلْ رَبَّنَـا الْمَـوْلَى وِقَـايَةَ جَمْعِنَـا مِـنْ كَيْـدِ سُـوءٍ مَضَـرَّةِ الْحُسَّـادِ
وَيَمُـنَّ عَنْ جَسَـدِي بِبُـرْءٍ عَـاجِلٍ لِيَـزُولَ عَـنْ كَبِـدِي أَلِيمُ كُبَـادِ[6]
وَيُنِيلُنَـا مِـنْ فَيْـضِ أَنْعُمِـهِ مُنًـى وَحِبًـا[7] يَعُـمُّ عِـدَادَنَا بِعِـدَادِ
وَيُـرِيحُنَا مِنْ كُـلِّ شَـرٍّ يُخْتَشَـى وَيُقِيـلُ كُـلاً حَـاضِرًا مَعْ بَـادِ

---

(1) الْفَوْدُ : جانب الرّأس ممّا يلي الأذنين إلى الأمام، يقال بدأ الشّيْبُ بفودَيَّ.
(2) المساد : من مسد الحبلَ فتله، وجدله، والمساد : سقاء العسل.
(3) إشارة الى تدخل أبى بكر لمّا رأى بلالا يعذّب ففداه وأعتقه.
(4) الصمصامة : السّيف الذي لا ينثني ؛ يُقَال : عليّ سيف الله البتّار.
(5) العِرداد : الصّلب الشديد.
(6) الكُبَادُ : وجعُ الْكبد.
(7) الحِبَاءُ بالمدّ، قصّر الشاعر للوزن ؛ وهو العَطيّة.

مِنْ ضُـرِّ حِمْـلٍ لَمْ يَطِقْـهُ تَحَمُّـلاً مَعَ جَدْبِ وَجْـهِ الأَرْضِ ظَهْـرِ سِنَادِ[1]

60 وَيَعُمُّنَا بِجَمِيـلِ عَفْـوٍ عَـنْ رِضَـا لاَ نَخْتَشِـي مَعَـهُ مَهُـولَ مَعَـادِ

وَعَلَيْـكَ مِنْ رَبِّـي صَـلاَةٌ سَـرْمَدًا أَبْـدَ الأُبَيْـدِ الـدَّهْرِ وَالآبَـادِ

وَجَمِيـعِ آلِـكَ وَالصَّحَابَـةِ كُلِّهِـمْ أَهْـلِ الْهُـدَى وَالنُّصْـحِ وَالإِرْشَـادِ

(1) السِّناد : المعاضدة أو المكافأة.

15 - عَطَّرَ الكَوْنَ ذِكْرُه ﷺ

وَلَهُ أَيْضًا رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه :

[الخفيف]

عَطَّرَ الْكَوْنَ ذِكْرُ مَنْ طَابَ نَشْرَا ... فَتَوَالَتْ لَدَى الأَحِبَّةِ بِشْرَا
وَٱنْسَرَى بِالْحَدِيثِ مَا كَانَ قَبْلاً ... وَحَمِدْنَا الإِلَهَ حَمْدًا وَشُكْرًا
وَغَدَا كُلُّ مُسْلِمٍ فِي سُرُورٍ ... فِي سُرُورٍ يُرَدِّدُ الْقَوْلَ ذِكْرَا
بِلَيَالِي مَسَرَّةٍ وَٱبْتِهَاجٍ ... طَابَ فِيهَا الْحَدِيثُ حَتَّى أَسَرَّا
كَيْفَ لاَ وَهْيَ وَقْتُ خَيْرِ لَيَالٍ ... شَهْرُ نُعْمَى أَتَتْ مِنَ اللهِ تَتْرَى
شَهْرُ خَيْرٍ وَهَلْ كَشَهْرِ رَبِيعٍ ؟ ... لاَ أَرَى ؛ لاَ أَرَى مَثِيلَهُ شَهْرَا
أَوَ مَا كَانَ فِيهِ مَوْلِدُ مَوْلَى ... قَدْ أَتَى لِلدُّنَى سِرَاجًا وَبَدْرَا
أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى أَجَلُّ الْبَرَايَا ... زِدْ : وَأَعْلَى الأَنَامِ جَاهًا وَقَدْرَا
سَيِّدٌ قَدْ أَقَامَهُ اللهُ عَدْلاً ... قَامِعًا كُلَّ ذِي آجْتِرَاءٍ تَجَرَّا
وَأَتَى مُرْسَلاً بِأَشْرَفِ دِينٍ ... حِينَ أَبْدَى الضَّلاَلُ شِرْكًا وَكُفْرَا
وَتَوَالَتْ لِصِدْقِهِ مُعْجِزَاتٌ ... ظَنَّهَا مَنْ هَوَى الضَّلاَلَةَ سِحْرَا
كَخُمُودِ لَظَى الْمَجُوسِ وَغَيْضِ ... سَاوَةٍ وَٱنْصِدَاعِ[1] إِيوَانِ كِسْرَى
وَظِلاَلِ الْغَمَامِ[2] فِي كُلِّ حِينٍ ... كَيْ يَقِيهِ الْهَجِيرَ حِفْظًا وَسِتْرَا

(1) هنا يعدّد الشاعر معجزات النبي التي منها انطفاء نار المجوس وجفاف عيون الماء عندهم وتصدّع إيوان كسرى وساوة مدينة فارسية، غاضت بحيرتها ليلة مولد الرسول.
(2) من المكرمات الإلهيّة لنبي الإسلام تسخير الغمامة له في سفره إلى الشام حتّى كانت تظله في اليوم الصّائف.

وَسَـلاَم الجَمَـاد جَهْـرًا عَلَيْـه زِدْ وَشَكْوَى الْبَعِيـرِ إِذْ خَـافَ نَحْرًا
وَالْتِجَا الظَّبْيِ إِذْ أَتَـى مُسْتَجِيرًا وَكَفَـى ذَا لِمَـنْ تَبَصَّـرَ ذِكْـرَا
وَحَـدِيثُ الْمُهَلْهَـلِ الْحِبْـرِ عَنـهُ بِغَـرِيبٍ شَفَـى النُّفُـوسَ وَأَبْـرَا
مَعْ حَـدِيثِ الْمَـوفَّقِ النَّظْـرُ عَمَّـا قَـدْ رَآهُ بِنَوْمِـهِ فَـأَسَرَّا
خَيْـرُ كُـلِّ النِّسَـا خَدِيجَـةُ حَتَّـى طَلَبَـتْ مِنْـهُ رَغْبَـةً فِيـهِ تُجْـرَى
بَعْـدَمَا أَنْشَـدَتْ وَقَـالَتْ قَـرِيظًا رَائِقًـا فِيـهِ طَـابَ وَاللهِ شِعْـرَا
وَكَـلاَمُ الْبَعِيـرِ بِالـدَّارِ جَهْـرًا بَعْـدَما زَادَ فِي هَيَاجِـهِ هَـدْرَا
فَغَـدَا تَـاجِرًا إِلَـى الشَّـامِ يَسْعَـى فَسَعَـى عِنْـدَ ذَاكَ رِبْحًـا وَوَفْـرَا
وَوَعَـتْ كُـلَّ مَـا حَكَـاهُ لَهَـا مَيْـسَرَةٌ[1] مِنْ عَجِيبِ مَا شَامَ جَهْرَا
وَجَمِيـعَ الَّـذِي رَآهُ بِشَـامٍ مِنْ حَـدِيثٍ يَطُـولُ سَـرْدُهُ خُبْـرَا
فَتَمَنَّتْـهُ أَنْ يَكُـونَ خَلِيـلاً يَكْمُـلُ الْفَخْـرُ مَعْـهُ حَتَّـى تَقَـرَّا
إِنَّ لِلْفَخْـرِ نِسْـوَةً وَرِجَـالاً أَهْـلَ خَيْـرٍ أَعْطَـاهُمُ اللَّـهُ فَخْـرَا
«وَإِذَا حَلَّـتْ الْهِدَايَـةُ قَلْبًـا»[2] بَـادَرَتْ لِلإِجَابَـةِ النَّفْـسُ فَـوْرَا
وَإِذَا كَـانَتْ الشَّقَـاوَةُ حَتْمًـا جَـانَبَ الْحَـقَّ مَنْ غَـوَى وَتَبَـرَّا
كَـرَّمَ اللهُ مَعْشَـرًا مُـذْ دَعَـاهُمْ دَاعِـيَ الْحَقِّ جَانَبُوا الْغَـيَّ هَجْـرَا
مُصْلِتِينَ الظُّبَى عَلَـى كُـلِّ بَـاغٍ جَاحِدٍ جَـانَبَ الْهُـدَى وَتَجَـرَّا
وَرَأَوْا أَنَّ نَصْـرَهُ كَـانَ فَـرْضًا وَاجِبًـا فَاحْتَمَـوْا وَحَامُوهُ نَصْـرَا
وَأَطَـاعُوا الـرَّسُولَ فِيمَـا دَعَـاهُمْ شَـاكِرِينَ الإِلَـهَ جَهْـرًا وَسِـرَّا
فَاسْـأَلُوهُ بَجَـاهِهِمْ أَنْ يَقِينَـا ضُـرَّ ضَيْـرٍ ضَرَى ضِرَارًا وَأَضْـرَى

* * * * *

يَـا إِلَهِـي بِسِّـرِّ دَاعٍ جَلِيـلٍ قَـدْ دَعَـا الْخَلْـقَ مُعْلِنًـا لَنْ يُسِـرَّا

---

(1) مَيْسَرَةُ هو غلام خديجة، رافق النبي ﷺ ورأى ما رأى من الغمامة التي ظلّلته وقد حكى للسيّدة خديجة ما شاهده.

(2) تضمين من همزية البوصيري :

وإذا حلّت الهداية قلبًا نشطتْ في العبادة الأعضاءُ

بَلَّغَ الدِّينَ بِاجْتِهَادٍ وَنُصْحٍ رَغْبَةً فِيهِ لاَ لأَنْ يُعْطَ أَجْرَا
وَبِآلٍ زَكَوْا وَصَحْبٍ كِرَامٍ عَزَّزُوهُ وَمَا عَصَوْا لَهُ أَمْرَا
هَاجَرُوا ؛ جَاهَدُوا ؛ إِلَى أَنْ أَتَاهُمْ مِنْكَ مَا يَرْتَجُونَ فَتْحًا وَنَصْرَا
فَكَمَا قَدْ أَنَلْتَهُمْ يَا إِلَهِي مِنْ جَزِيلِ النَّوَالِ دُنْيَا وَأُخْرَى
جُدْ عَلَيْنَا بِصَرْفِ مَا نَخْتَشِيهِ وَأَزِلْهُ ؛ وَأَبْدِلِ الْعُسْرَ يُسْرَا
وَآتِنَا مِنْ لَدُنْكَ حِفْظًا يَقِينَا أَيْنَ كَانَ الْقَرَارُ بَرًّا وَبَحْرَا
أَعْطِنَا[1] الْكُلَّ مَا رَجَوْنَا وَدَاوِ ضُرَّ مَنْ سَاءَهُ السَّقَامُ وَضَرَّا
وَامْحُ بِالعَفْوِ مَا اقْتَرَفْنَا جَمِيعًا وَأَنِلْنَا الأَمَانَ بَعْثًا وَحَشْرَا
وَأَجِرْنَا لَدَى الصِّرَاطِ بِحِفْظٍ مِنْ جَحِيمٍ قَوَتْ سَعِيرًا وَحَرَّا
إِنَّنَا يَا إِلَهَنَا لَضِعَافٌ لاَ نُطِيقُ لَظًى وَإِنَّكَ أَدْرَى
وَامْنَحِ الْوَالِدَيْنِ أَجْمَعَ نُعْمَى بَعْدَ رُحْمَى تَعُمُّ لَمْ تُبْقِ وِزْرَا
وَتَفَضَّلْ بِصَوْبِ غَيْثٍ هَطِيلٍ يَمْلَأُ الجَانِبَيْنِ سَهْلاً وَوَعْرَا
وَأَدِمْ مُدَّةَ الدَّوَامِ صَلاَةً مِنْكَ رَبِّي عَلَى حَبِيبِكَ تَتْرَى
وَكَذَا الآلِ وَالصَّحَابَةِ جَمْعًا مَعْ سَلاَمٍ شَذَاهُ يَعْبَقُ عِطْرَا

(1) في الأصل : واعطنا، أسقطنا حرف العطف ليستقيم الوزن.

14 - طَالعُ السَّعْدِ تجَلَّى

وَلَهُ أَيْضًا رَحمَةُ اللهِ عَلَيْه :

[الخفيف]

طَـالِعُ السَّعْـدِ للسُّعُـود تَجَلَّـى حيـنَ مَـنَّ الإِلَـهُ عَـزَّ وَجَـلاَّ
وَلَـهُ الحَمْـدُ فَاحْمَـدُوا اللهَ جَمْعًـا أَيُّهَـا الْقَـوْمُ وَاشْكُرُوا خَيْـرَ مَـوْلَى
قَـدْ أَنَـارَ الْـوُجُودَ مِنَّـا بِبَـدْرٍ مُشْـرِقٍ فِي سَمَـا الْمَعَـالِي تَعَلَّـى
عَـمَّ قُطْـرَ الْبِـلاَدِ شَـرْقًا وَغَـرْبًا لَـمْ يَـدَعْ نُـورُهُ الْمُضِـيءُ مَحَـلاَّ
فَاهْتَـدى لِلْهُدَى بِهِ[1] مَنْ هَـداه اللّـــهُ فَضْـلاً وَمَا ارْتَضَـى أَنْ يَضِـلاَّ
وَأَبَـى الْهَـدْيَ مَنْ تَعَـامَى ضَـلاَلاً وَعَجِيـبٌ لِمَـنْ رَآهُ فَضَـــلاَّ
إِنَّ لِلْحَـقِّ نُـورَ هَـدْيٍ وَلَكِـنْ مَـنْ أَبَى الْحَـقَّ دَعْـهُ لَـمْ يَـكُ أَهْـلاَ
أَوَيَـرْضَى الضَّلاَلَ يَـوْمًا مُضِـلٌّ قَدّ أَرَاهُ الْهُـدَى الطَّـرِيقَ مُـدِلاَّ
وَأَتَتْـــهُ مَـعَ الـــدَّلاَلَةِ آيٌ مُرْشِـــداتٌ لِمَـنْ تَبَصَّـرَ عَقْـلاَ
مُعْجِـزَاتٌ مُنِيـرَةٌ وَاضِحَـاتٌ تَتَـرَاءَى إِلَـى الْعُيُـونِ وَتُتْلَـى
أَرْشَـدَتْنَا بِـأَنّ يَـاسِينَ طَـهَ أَرْشَـدُ الْمُـرْشِدِينَ قِـدمًا وَأَعْلَـى
وَأَعَـزُّ الْـوَرَى وَأَشْـرَفُ دَاعٍ قَـدْ دَعَـانَا ؛ أَقَامَـهُ اللهُ عَـدْلاَ
وَأَنَـارَ الـدُّنَى بِـهِ فَاسْتَنَـارَتْ بَعْدَ كُفْـرٍ قَـوَى ؛ وَشِـرْكٍ أَضَـلاَّ
وَلَـهُ الْحَمْـدُ رَبُّنَـا خَيْـرُ مَـوْلَى قَـدْ أَجَـلَّ الأُلَـى الأَجِـلاَّ وَجَـلاَّ
وَهَـدَانَا لِهَـدْيِهِمْ فَاهْتَـدَيْنَا وَاتَّبَعْنَـا الـرَّسُولَ قَـوْلاً وَفِعْـلاَ

(1) في الأصل : به للهدى.

أَحْمَـدَ الْمُصْطَفَـى أَعَـزَّ الْبَـرَايَا وَأَجَـلَّ السَّـرَاة فَـرْعًا وَأَصْـلاَ
سَيِّـدٌ خَصَّـهُ الإِلَـهُ بِفَخْـرٍ وَحَبَـاهُ مَـعَ الْمَفَـاخِرِ نُبْـلاَ
فَـأَتَى لِلـدُّنَى صَبَـاحًا صَبِيحًـا مُـرْتَضَى، مُجْتَبَـى ؛ مُـزَكًّى ؛ مُعَلَّـى

* * * * *

يَـا نَبِيْئَـا هَـدَى ؛ وَأَكْمَـلَ دَاعٍ قَـدْ دَعَـا لِلْهُدَى ؛ وَأَعْظَـمَ مَـوْلَى
يُـرْتَجَى إِنْ سَطَـا الـزَّمَانُ فَأَضْـرَى بِالْـوَرَى مَخْلَبًـا ؛ وَسَـدَّدَ نَبْـلاَ
إِنَّنِـي وَاقِـفٌ بِبَـابِ الْمَعَـالِي أَشْتَكِي ضَيْـمَ سُـوءِ ضُـرٍّ تَـوَلَّى
وَٱعْتَدَا حَالَ ضَعْـفٍ ضَعْـفَ تَقَـوَّى مَا ٱسْتَطَاعَتْ لِحَمْلِهِ النَّفْسُ حَمْلاَ
فَـٱسْأَلِ اللهَ كَشْـفَ مَا قَـدْ دَهَـانَا عَـلَّ مَـا قَـدْ قَـوَى بِنَـا يَتَسَلَّـى
فَلَقَـدْ زَالَ قَبْلَنَـا يَـا مُفَـدَّى عَـنْ بَنِـي سَعْـدِ الأَذَى وَتَجَلَّـى
حِينَ وَلَّـتْ بِـكَ الْجَلِيلَـةُ تَسْعَـى وَهْـيَ نُعْمَـى كُغَـادَةٍ تَتَجَلَّـى
بَعْـدَمَا ذَاقَ حَيُّهَـا هَـلْ مِيـتٌ لأَذَى مُمْحِـلٍ تَطَـاوَلَ مَحْـلاَ
تَسْبِـقُ الْقَـوْمَ فَـوْقَ ظَهْرِ أَتَـانٍ مَاتَـوَانَتْ وَلاَ كَـلاَ قَـطُّ كَـلاَّ[1]
فتقـول النِّسَـاء : أُخْـتَ ذُوَيْـبٍ هَـاته، هَـاته الأَتَـانَةُ الأُولَـى ؟
ذَا عَجِيـبٌ أَلَمْ تَكُـنْ مُـذْذَهَبْنَـا خَلْفَنَـا لاَ تَكَـادُ تَحْمِـلُ رِحْـلاَ
لَوْ دَرَى الْقَوْمُ يُمْنَ مَنْ قَدْ عَلاَهَا مَـا رَأَتْ قَـطُّ مِنْ نِسَـا الحَـيِّ قَـوْلاَ
فَبِـهِ فَـاضَ كُـلُّ خَيْـرٍ تَقَـوَّى فَقَـوَى حَيُّهُـمْ بِـهِ وَتَمَلَّـى
وَرَأَتْ أُخْتُهُـمْ حَلِيمَـةُ مَـا لَـمْ تَـرَهُ الْعَيْـنُ قَبْـلَ قُرْبِـهِ أَصْـلاَ
إِذْ غَـدَا كَسْـرُ بَيْتِهَا خَيْـرَ رُكْـنٍ كَانَ لِلْحَـيِّ ؛ بَلْ وَأَقْـوَى وَأَمْلَـى
ضَـاقَ عَنْهَا الْمَـرَاحُ شَـاءً ونُعْمَـى بَعْدَ أَنْ كَانَ مُقْفِـرَ الرَّحْبِ قَبْـلاَ
(وإِذَا سَخَّـرَ الإِلَـهُ أُنَـاسًا)[2] لِكَـرِيمٍ أَتَـاهُمُ الْخَيْـرُ هَطْـلاَ

* * * * *

(1) البيت ضعيف من حيث المبنى ؛ ويقصد الشاعر أن النساء تعجّبْن من الأتان في عودتها، إذ نشطت وزال ما بها من هزال ببركة الرّضيع.

(2) صدر مضمّن من همزيّة البصيري :

وإذا سخّر الإله أناسًا لسعيدٍ فإنّهم سعداء

يَا إِلَهِي ؛ وَسَيِّدِي ؛ وَمَلاَذِي وَعِمَادِي ؛ وَمَنْ بِهِ الْكَرْبُ يُجْلَى
كُنْ بِنَا رَاحِمًا ؛ وَدَاوِ سَقَامًا مَا اسْتَطَبْنَا لَهُ مَنَامًا ؛ وَأَكْلاَ
وَآتِنَا مِنْ لَدُنْكَ نَيْلاً جَزِيلاً صَيِّبًا ؛ طَيِّبًا ؛ نَنَالُهُ سَهْلاَ
وَآحْمِنَا شَرَّ كُلِّ قَالٍ قَلاَنَا[1] وَأَذَى كُلِّ مَنْ سَلاَنَا وَصَلَّى[2]
40وَارْحَمِ الْمُسْلِمِينَ جَمْعًا جَمِيعًا [وَ] اعْطِنَا الْكُلَّ مِنْ نَوَالِكَ سُؤْلاَ
وَأَدِمْ مِنْكَ يَا إِلَهِي صَلاَةً وَسَلاَمًا عَلَى أَجَلِّ الأَجِلاَّ
وَعَلَى آلِهِ مَعَ الصَّحْبِ جَمْعًا مَا غَدَا ذِكْرُهُ الْمُعَطَّرُ يُتْلَى

(1) قلى : أبغض.
(2) صَلَى : أحرق.

17 - جُدْ عَلَيْنَا بِصَرْفِ مَاقَدْ دَهَانَا

وَلَهُ أَيْضًا رَحمَةُ اللهِ عَلَيْه :

[الخفيف]

نَـابَنَا[1] الـدَّهْرُ إِذْ عُـدِمْنَا الإِنَابَـهْ[2] وَآطَّـرَحْنَا الْحَيَـا فَطَبَّـقَ نَابَـهْ
وَآتَّبَعْنَـا الْهَـوى فَـأَهْوَى وَأَوْهَـى أَنْفُسًـا لاَ تُطيـقُ ضعْفًـا صعَـابَهْ
وَتَـوَالَتْ بِمَـا آقْتَـرَفْنَا خُطُـوبٌ لَـنْ يُجِيـدَ الْفَصِيحُ مَعْهَـا خِطَابَـهْ
وَآسْتَمَالَتْ بِنَا الـدُّنَى مُذْ حَسِبْنَـا أَنَّ فِيهَـا مَنَـاهِـلاً مُسْتَطَـابَهْ
وَعُـدِمْنَا الصَّـوَابَ حَيْـث ظَنَنَّـا أَنَّ هَطْـلَ الْحَيَـا[3] بِكُـلِّ سَحَـابَهْ
فَـرَجَوْنَا، وَمَـا رَجَعْنَـا، سَحَـابًا حَـالَ مَحْـل[4] يُطِيـلُ فِينَا آنْصِبَابَهْ
فَآسْتَهَلَّـتْ سَحَـائِبٌ ذَاتُ هَطْـلٍ مُسْتَـدِيمٍ تُصِيـبُ كُـلاَّ إِصَـابَهْ
يَتَـوَالَـى بِـوَبْلِهَا فَيْـضُ سَيْـلٍ يَمْـلأُ الْقُطْـرَ سَهْلَـهُ وَشِعَـابَهْ
وَهْـوَ مَـعْ صَـوْبِهِ يُعَفِّي[5] الْمَرَاعِي لَمْ يَـدَعْ هَـوْلُهُ بِـأَرْضٍ صَبَـابَهْ
فَضَجِـرْنَا لِمَـا دَهَـى، وَآعْتَجِبْنَـا وَعَجِيـبٌ لِمَـنْ يَظُـنُّ عُجَـابَهْ
يَقْتَضِي الْحَـالُ هَكَـذَا يَـا فُـلاَنُ لاَ عَجِيـبَ فِيمَـا تَـرَى، لاَ غَـرَابَهْ
إِنَّ كُـلَّ الْمُصَـابِ مِمَّـا آكْتَسَبْنَـا لَـوْ أَنَـابَ الأَخُ الْمُسِي مَا أَنَـابَهْ

(1) نابه الدّهر : أصابه بمصيبة.
(2) الإنَابة. التوبة.
(3) الحيا والحَيَاءَ : الخصْبُ والمطر لإحيائه الأرض والنّاس.
(4) أمحل المكان : أجدب ؛ والمحل ج محول وأمحال ؛ الشدّة والجدب، والجوع الشديد، وانقطاع المطر ؛ ويبس الأرض والشاعر يرجع أسباب المحل وانحباس المطر إلى اقتراف الذنوب وعدم الإنابة والتوبة إلى الله بعد الإساءة.
(5) يهلك السّيل المراعي ولم يبق فيها صُبابة أي بقية والشاعر يشير إلى فيضان وادي زرود.

بَعْضُ هَذَا وَعَاشَ مُكْفَى وَلَكِنْ مَا أَنَبْنَا ؛ وَأَيْنَ ؛ أَيْنَ الإِنَابَهْ ؟
قَدْ أَبِيتُ الدُّجَى أُعَانِي سِقَامًا أَنْضَجَتْ جِسْمَ مَنْ تَرَى وَإِهَابَهْ
وَهْوَ مَعْ ذَاكَ مُسْتَرَاعٌ فُؤَادا يَخْتَشِي مِنْ عِقَابِ ذَنْبٍ أَصَابَهْ
مَالَهُ مَوْئِلٌ يَقِي وَجَنَابٌ غَيْرُ مَوْلًى عَلَّى الإِلَهُ جَنَابَهْ
مَلْجَأُ القَاصِدِ الْمُضَام ؛ مَلاَذُ الْخَائِفِ الْمُلتَجِي إِذْ أَمَّ بَابَهْ
أَحْسَنُ النَّاسِ بَهْجَةً وَبَهَاءً أَعْظَمُ الْخَلْقِ سَطْوَةً وَمَهَابَهْ
خَيْرُ مَنْ شُدَّتِ المَطِي لَحِمَاه وَأَنَاخَ المشُوقُ فِيهِ رِكَابَهْ
أَحْمَدُ الْمُجْتَبَى أَجَلُّ الْبَرَايَا بِآتِّفَاقِ الْوَرَى ؛ وَأَقْوَى نَجَابَهْ
سَيِّدٌ حَازَ كُلَّ وَصْفٍ جَمِيلٍ مَا سَمِعْنَا بِمَنْ جَفَاهُ فَعَابَهْ
مَا نَحَا نَحْوَ بَابِهِ مُسْتَغِيثٌ يَشْتَكِي مَا آعْتَرَاهُ إِلاَّ أَجَابَهْ
وَوَقَاهُ مِمَّا دَهَى وَحَمَاهُ وَحَبَاهُ ؛ وَمَدَّهُ ؛ وَأَثَابَهْ
قَدْ عَجِبْنَا لِمَعْشَرٍ[1] شَبَّهُوهُ بِالذُّكَا فِي السَّنَا، وَظَنُّوا الإِصَابَهْ
إِنَّ مَا قَدْ حَكَوْهُ غَيْرُ صَوَابٍ مَا أَرَى وَصْفَهُ الْجَمِيلَ يُشَابَهْ

* * * * *

يَا جَمِيلَ الْخِصَالِ، يَا خَيْرَ مَوْلًى جَمَّلَ اللهُ فِعْلَهُ، وَخِطَابَهْ
بِأَبِي بَكْرٍ الَّذِي حَازَ فَضْلاً وَآهْتَدَى رَابِعًا[2] ؛ فَفَاقَ صِحَابَهْ
مَنْ أَرَاهُ الإِلَهُ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا وَآرْتَضَاهُ لِدِينِهِ ؛ وَآسْتَنَابَهْ
وَبِفَارُوقِنَا النَّقِيبِ الْمُعَلَّى مَنْ حَمَى دِينَنَا فَنَحَّى نِقَابَهْ

---

(1) يردّ الشاعر على بعض الوَصَّافين الذين يشبّهون النبي ﷺ بذُكاء أي بالشمس مثل قولهم :

أنت شمس أنت بدر أنت نور فوق نور

أو يقولون : محمّد شمس الهدى وشاعرنا لا يرى شبيها لصفاته.

(2) يقصد الشاعر أنّ أبا بكر بن أبي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرّة التّميمي القرشي هو رابع الأشخاص الكبار الذين أسرعوا بالتّصديق وهم : خديجة بنت خويلد زوجه ؛ وزيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولاه عليه السّلام، وعلي بن أبي طالب، وقد ناهز الاحتلام.

30 وَبِعُثْمَـانَ مَـنْ أَتَـاكَ مُطِيعًـا ... وَحَبَـا مَـا حَبَـا ؛ وَوَالَـى ثَـوَابَهْ

وَعَلِـيٍّ ؛ وَزَوْجِـهِ ؛ وَبَنِيهَـا ... خَيْـرِ آلٍ سَمَـوْا، وَأَزْكَـى قَـرَابَهْ

وَبِسَعْـدٍ ؛ وَطَلْحَـةَ ؛ وَسَعِيـدٍ ... وَٱبْنِ عَـوْفٍ ؛ وَعَـامِرٍ ذِي الإِنَـابَهْ

وَالـزُّبَيْرِ ؛ وَحَمْـزَةَ مَعْ أَخِيـهِ ... وَٱبْنِـهِ مَعْ جَمِيعِ جَمْعِ الصَّحَابَهْ

وَبِمَـنْ قَدْ حَبَتْـكَ[1] حُبًّـا، وَمَـالاَ ... رَغْبَـةً فِيكَ وَٱهْتَـدَا وَنجَـابَهْ

35 مَنْ أَتَـاهَا مِـنَ الإِلَـهِ سَـلاَمٌ ... مَعَ بُشْـرَى بِـرَوْضَةٍ مُسْتَطَـابَهْ

وَبِبِنْـتِ[2] الصِّـدِّيقِ مَنْ لعُـلاَهَا ... أُنْـزِلَ الآيُ حِينَ فَـاهَتْ عِصَابَهْ[3]

وَرَضُـوا إِفْكَهُمْ، وَقَـالُوا فَأَمْسَـوْا ... فِـي الْبَـرَايَا عِصَـابَةً كَـذَّابَهْ

وَبِهِنْـدٍ[4]، وَحَفْصَـةَ[5]، أُمِّ حَبِيـبٍ ... سُودَةَ[6] ؛ زَيْنَبٍ[7] ذَوَاتِ الْمَهَابَهْ

(1) يقصد بها خديجة زوجه.

(2) هي عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله، وهنا يشير إلى «حديث الإفك» الذي تولّى كِبْرَه الأفّاك عبد الله بن أُبَيّ وما تقوّلَهُ عن عائشة وآتهامها بصفوان بن المعطل السّلمي.

(3) امّا الآي التي نزلت وبرّأت السّيدة المطهّرة عائشة فهي قوله تعالى من سورة النّور «إنّ الّذين جاءووا بالإفك عُصْبَةٌ منكم ؛ لا تَحْسَبُوهُ شرًّا لكم بَل هو خير لكم لِكلّ آمرئ منهم مَا آكتسبَ من الإثم والذي تولّى كِبْرَهُ منْهُمْ له عذاب عظيم...»

(4) هي هند بنت حذيفة (أم سلمة) القرشيّة المَخزوميّة ؛ تزوجت من ابن عمّها عبد الله بن عبد الأسد القرشي المخزومي ؛ وقد كانت سيّدة كريمة موصوفة بالجمال البارع خطبها الرسول ليكون خلفا لزوجها، لكنها آعتذرت أوّل الأمر بأنّها آمرأة غَيْرى ؛ وذات أولاد ومسنّة وليس لها من ولي يزوّجها فكان جواب النبيّ أنّه سيدعو الله أن يذهب غيرتها ؛ وأمّا عيالها فهم إله الله ورسوله ؛ وأمّا أنها مسنّة فهو أكبر منها ؛ فقبلت وكان آبنها سَلمة وليّ زواجها.

(5) من زوجات النبيء وهي ابنة عمر الخطاب ولم تنجب ولدًا.

(5م) هي أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان، زوجة الرسول.

(6) هي سُودَةُ بنت زمعة العامريّة، عقد عليها النّبي ﷺ في الشهر الذي ماتت فيه خديجة، بعد أن توفي عنها زوجها السّكران بن عمرو وذلك خوفا عليها من قومها مع ما هم عليه من الغلضة وكراهة الإسلام لما يعلمونه من إسلامها.

(7) هي زينب بنت جحش، وأمها أميمة عمّته ؛ وقصّة ذلك أنّ النّبي ﷺ خطبها لمولاه زيد بن حارثة فتأفّف أهلها من ذلك لشرف قومها ؛ لأنّ من عادة العرب الاستنكاف من تزويج بناتهم من الموالي ؛ وزيد وإن تبنّاه الرّسول فإنّ ذلك لا يلحقه بالأشراف وأرت زيدًا عند دخوله عليها من كبريائها ما لم يتحمّلهُ إلى أن ضاقت نفسه فطلّقها ؛ وأوحى الله إلى نبيّه أن يتزوّجها لكنّه خشي من لوم اليهود والعرب له في زواجه بابنة المتبنّي، فأبطل الله قاعدة تحريم زواج المتبنّي بقوله تعالى في سورة الأحزاب (الآية 37) : «فلمّا قضى زيد منها وطرًا زوّجناكها لكيْلا يكونَ على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدْعِيَائِهِمْ إذا قضوا منهنّ وطرًا وكان أمرُ الله مفعولا».

وَجُـــوَيْرِيَّة[5] صَفِيَّـــة ؛ زِدْ مَيْـــــمونَة[6]، مَـعْ جَميع أَهْلِ الإِنَـابَهْ
كَبِـلاَلٍ مَـنْ عَـذَّبُوهُ صَلِيًـا بِهَجِيـرٍ صَلَّـى لَظَـاهُ إِهَـابَهْ[7]
وَأَبِـي ذَرٍّ الَّـذِي شُـجَّ حَتَّـى لَطَّـخَ الشَـجُّ بِالـدِّمَاءِ ثِيَـابَهْ
جُد لَنا بِالرِّضَا ؛ وَسَلْ خَيْـرَ مَوْلًى خَيْـرَ مَا نَرْتَجِيـهِ ؛ وَهْـوَ الإِجَـابَهْ

* * * * *

يَـا إِلَـهَ الْـوَرَى ؛ بِأَكْـرَمِ دَاعٍ مَا ارْتَضَى مِنْ سِوَاكَ أَجْرًا ثَوابَهْ
جُـدْ عَلَيْنَـا بِصَـرْفِ مَا قَدْ دَهَـانَـا وَأَزِلْـهُ ؛ وَعَجِّلَـنَّ ذهَـابَهْ
وَآكْفِنَـا أَجْمَعِيـنَ شَـرَّ سَعِيـرٍ مُضْـرَمِ الْجَمْـرِ ؛ لاَ نُطِيـقُ عَـذَابَهْ
وَآسْقِنَـا مِنْ نَوَالِ فَضْلِـكَ غَيْثًـا هَاطِلَ الصَّـوْبِ نَسْتَطِيبُ عَـذَابَهْ
وَآئْتِنَـا مِـنْ لَـدُنْكَ نَيْـلاً جَـزِيلاً يُـذْهِبُ الْبُـؤْسَ نَيْلُـهُ وَالكَـآبَهْ
وَآمْحُ بِالْعَفْـوِ مَا آقْتَـرَفْنَا جَمِيعًـا مِنْ مَسَـاوٍ دَعَتْ إِلَيْهَا الصَّبَـابَهْ
وَأَنِلْنَـا بِحُـبِّ خَيْـرِ الْبَـرَايَا كُـلَّ خَيْـرٍ نَـرُومُ مِنْـكَ طِـلاَبَهْ
وَعَلَيْـهِ مَـدَى الـزَّمَانِ صَـلاَةٌ وَسَـلاَمٌ مَـعْ آلِـهِ ؛ وَالصَّحَـابَهْ

(5) صفيّة بنت حُيَي بن النّضير، أعتقها وتزوّجها وهي يهودية من سبايا خيبر.
(6) ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر نساء النبي ﷺ.
(7) الإهاب : البشرة.

18 - يَا طَلْعَةً سَعِدَتْ بِهَا الأَقْوَامُ

ولَهُ أيضًا رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ :

[الكامل]

لِكَمَالِ حُسْنِكَ طَلْعَةٌ وَقَوَامُ يَا طَلْعَةً سَعِدَتْ بِهَا الأَقْوَامُ
يَا غُرَّةً زَالَ الْغُرُورُ بِيُمْنِهَا يَا بَهْجَةً شَرُفَتْ بِهَا الأَيَّامُ
آأَنْتَ شَمْسُ الأُفْقِ ؟ أَمْ قَمَرُ الدُّجَى ؟ أَمْ نُورُ بَرْقٍ مَا آعْتَلاَهُ غَمَامُ ؟
حَاشَا وَكَلاَّ أَنْ يَكُونَ لِنَيِّرٍ هَذَا الجَمَالُ وَحَسْبُنَا آسْتِسْلاَمُ
5 لَوْ مَاثَلَتْكَ تَنَوُّرًا شَمْسُ الضُّحَى مَا جَاءَ مِنْ بَعْدِ الضِّيَاءِ ظَلاَمُ
وَلَقَدْ رَوَتْ عَنْكَ الثِّقَاتُ بِأَنَّ مَا قَدْ كَانَ مِنْ حُسْنٍ، فَمِنْكَ يُقَامُ
وَرَوَوْا ؛ وَقَالُوا : إِنَّهُ لَوْ لَمْ تَكُنْ مَا كَانَ لِلْبَدْرِ الْمُتَمِّ تَمَامُ
بَلْ لَمْ يَكُنْ قَمَرٌ ؛ وَلا شَمْسٌ بِهَا إِذْ لاَ دُنَى، وَآسْتَرْسَلَ الإِعْدَامُ
وَبِأَنَّكَ الْعَلَمُ الشَّهِيرُ وَقُطْبُهَا الْهَادِي الْبَشِيرُ ؛ وَعَضْبُهَا[1] الصَّمْصَامُ
10 وَالحَقُّ مَا قَالَ الثِّقَاتُ ؛ وما رَوَوْا إِذْ أَنْتَ ؛ أَنْتَ ؛ وَمَالَنَا إِيهَامُ
أَفَلَسْتَ أَحْمَدَ خَيْرَ مَنْ وَافَاهُ مِنْ مَوْلاَهُ ؛ مَوْلاَنَا السَّلاَمُ سَلاَمُ ؟
أَوَلَسْتَ مَنْ لَوْلاَهُ مَا لاَحَ الهُدَى حَالَ الضَّلاَلَ ؛ وَلاَ بَدَا إِسْلاَمُ ؟
أَوَلَسْتَ مَنْ لَوْلاَهُ لَمْ تَكُ ذِمَّةٌ يَحْمِي بِهَا رُكْنَ الْحَطِيمِ ذِمَامُ ؟
أَوَلَسْتَ مَنْ لَوْلاَهُ لَمْ تَشْرُد مَطَا[2] لِمِنَى ؛ وَلَمْ يُطْلَقْ لَهُنَّ زِمَامُ ؟

---

(1) العضب : السّيف القاطع.
(2) مطا : ج مطيّة، الدّابّة الّتي تركب.

أَوَلَسْتَ مَنْ لَوْلاَهُ لَمْ يَكُ آدَمٌ أَصْلاً ؛ وَلاَ رَكِبَ السَّفِينَةَ سَامُ ؟
قَسَمًا بِمَنْ زَكَّاكَ[1] فِي زَمَنِ الصِّبَا وَحَبَاكَ تَوْفِيقًا ؛ وَأَنْتَ غُلاَمُ
وَقَضَى بِأَنَّ لَكَ الرِّضَا ؛ فَلَكَ الرِّضَا يَوْمًا تَزِلُّ بِهَوْلِهِ الأَقْدَامُ
مَا قُمْتَ تَرْقَى لَيْلَةَ الإِسْرَا[2] الْعُلَى إِلاَّ لأَنَّكَ سَيِّدٌ وَهُمَامُ
مَا قَدَّمَتْكَ الرُّسْلُ فِي أُفُقِ السَّمَا إِلاَّ لأَنَّكَ فَاضِلٌ ؛ وَإِمَامُ
شَرَفًا عَلَى هَامِ النُّجُومِ تَطَأْطَأَتْ لِسُمُوِّهِ الأَفْلاَكُ، وَالأَعْلاَمُ
لَمْ تُدْرِكُنْهُ كَمَالُهُ أَهْلُ النُّهَى إِذْ لاَ تُحِيطُ بِكُنْهِهِ الأَفْهَامُ
قَسَمًا بِفَخْرِكَ ؛ وَهْوَ أَعْظَمُ مَفْخَرٍ لِلأَقْدَمِينَ ؛ وَمَنْ لَهُمْ إِقْدَامُ
لَوْلاَكَ مَا مَرَحَتْ بِحَوْمَةِ فَارِسٍ فَرَسٌ يُعَلَّهُ فِي الْمَجَالِ لِجَامُ
لَوْلاَكَ لَمْ تَسْعَ الأَجِلَّةُ مَا سَعَى كِسْرَى ؛ وَلاَ مَا لَمَّهُ بَهْرَامُ[3]
لَوْلاَكَ مَا وَصَلَ السَّوَارُ سُرَاقَةُ[4] يَوْمًا، وَلاَ سَمَحَتْ بِهِ الأَيَّامُ
تُحْصَى الْمَفَاخِرُ ؛ غَيْرَ فَخْرِكَ لَمْ يَجِدْ حَصْرًا لَهُ عُلَمَا الْوَرَى وَعَوَامُ
مَنْ لَمْ يُطِقْ عَدَّ الرِّمَالِ وَلاَ الْحَصَى عَدًّا ؛ وَحَصْرًا ؛ مَا عَلَيْهِ مَلاَمُ

* * * * *

يَا سَيِّدَ السَّادَاتِ إِنِّي قَاصِدٌ أَبْوَابَ فَضْلِكَ ؛ وَالأَنَامُ نِيَامُ
أَشْكُوكَ أَسْوَاءً، وَآلاَمًا دَهَتْ عَظُمَتْ بِهَا الأَسْوَاءُ ؛ وَالآلاَمُ
فَبِجَاهِ جَاهِكَ ؛ وَهْوَ أَعْظَمُ مَانِعٍ يَنْحُو الْمُضَامُ إِلَيْهِ حِينَ يُضَامُ
وَبِقَدْرِ قَدْرِكَ، وَهْوَ أَقْمَعُ قَامِعٍ يَكْفِي الْعِدَاةَ فَلاَ يُسَلُّ حُسَامُ
سَلْ رَبَّنَا الْوَاقِي الْمُهَيْمِنَ حِفْظَنَا مِنْ قَوْسِ ضُرٍّ سَدَّدَتْهُ لِئَامُ
وَآنْظُرْ بِعَيْنِ عِنَايَةٍ لِجَمِيعِنَا نَظَرَ الشَّفِيقِ إِذَا آسْتَثَارَ قَتَامُ

(1) زكّاك : طهّرك. قال تعالى «قد أفلح من زكّاها» (سورة الشمس) أي طهّرها من الذّنوب.
(2) الإسراء هو توجّه النبي إلى بيت المقدس ورجوعه من ليلته ؛ قال تعالى في سورة الإسراء «سبحان الذي أسرى بعبده ليْلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريَهُ من آياتنا إنّه هو السميع العليم» (الآية 1).
(3) بهرام : سلطان من سلاطين الهند.
(4) سُراقة بن مالك : صحابي، أخرجه أبو سفيان يقتاف أثر الرسول حين خرج إلى الغار مع أبي بكر، وأسلم بعد غزوة الطائف، توفي سنة 24 هـ.

فَلَنَـا بِمَـوْلِدكَ الشَّـرِيف عِنَـايَةٌ حَفَلَـتْ لَهَـا إِخْـوَانُنَا ؛ الإِسْـلاَمُ
حَاشَاكَ أَنْ نَخْشَى الرَّدَى وَأَذَى العِدَا وَتَسُـوءُنَا الأَيَّـامُ ؛ وَالأَعْـوَامُ
حَاشَا لِجَـاهِكَ أَنْ يُخَيَّـبَ آمِـلاً وَافَى لِنَيْـلِ نَـدَاهُ وَهْـوَ قَـوَامُ
أَيُصَـدُّ أَقْـوَامٌ لَهُـمْ شَغَـفٌ قَـوَى بِجَمِيلِ ذِكْـرِ حَدِيثِكُمْ ؛ وَغَـرَامُ
فَاسْأَلْ لَنَا الْمَوْلَى الْكَرِيمَ، وَكُنْ لَنَا فَلَكُلِّنَـا عِنْـدَ الْكَـرِيمِ مَـرَامُ
وَارْغَبْ ؛ وَقُلْ : رَبِّ اسْتَجِبْ مِنْ أُمَّتِي فَـلأُمَّتِي ؛ يَا مُنْيَتِـي الإِكْـرَامُ
إِنْ لَـمْ تَكُـنْ بِـوِقَايَةٍ لِجَمِيعِنَـا فَلِمَـنْ نَـرُوحُ إِلَيْهِ حِينَ نُضَـامُ ؟
إِنْ لَـمْ تَجُـدْ بِرِعَايَـةٍ ؛ وَتَكُنْ لَنَـا مَـنْ ذَا يَكُـونُ لَنَـا بِـهِ اسْتِعْصَـامُ ؟

* * * * *

يَا بَـرُّ ؛ يَا حَنَّـانُ ؛ يَا مَنَّـانُ ؛ يَا مَـنْ اسْمُهُ الأَسْمَى السَّلاَمُ سَـلاَمُ
يَا حَـيُّ ؛ يَا قَيُّـومُ ؛ يَا جَبَّـارُ ؛ يَا مُنْجِي الضِّعَـافَ إِذَا قَـوَى الظُّـلاَّمُ
جُـدْ بِالْهَنَـا ؛ وَالْعَفْـوِ مِنْـكَ إِلَهَنَـا هنـا ؛ هنـا وَأَحَـارَتِ الأَفْهَـامُ (؟)
وَأَمِنْـنْ بَعَـافِيَةٍ ؛ وَخَـوِّلْنَا الـرِّضَا وَقِنَا عَذَابَ النَّـارِ ؛ فَهْـوَ غَـرَامُ[1]
أَرْسِلْ لَنَـا مِنْ صَـوْبِ غَيْثِـكَ صَيِّبًـا يَحْيَـا به أُطُـمٌ[2] الْبَـرا وإِكَـامُ[3]
وَاكْـفِ الْبَـرِيئَةَ أَجْمَعِيـنَ وَجَمْعَنَـا مَـا فِيه إِضْـرَارٌ دَهَـى وَضِـرَامُ
وَاغْفِـرْ لَنَـا مَا كَـانَ مِنْ زَلَلٍ جَـرَى طَبْـقَ الْقَضَـا ؛ فَجَـرَتْ بِهِ الأَقْـلاَمُ
وَامْسَـحْ بِأَفْسَـحِ رَحْمَـةٍ لَجَمِيعِنَـا وَجَمِيـعِ مَـنْ لَـهُ بِالْمَقَـامِ مَقَـامُ
وَالْـوَالِدَيْنِ ؛ وَأَهْلِنَـا ؛ وَشُيُـوخِنَا وَالـرَّاغِبِينَ ؛ وَمَـنْ بِبَـابِكَ قَـامُوا
جَمْعًـا يُنَـادُونَ الْـوَسِيلَةَ ؛ وَالْـوَفَا بِالْـوَعْدِ كَيْمَـا يَكْمُـلُ الإِكْـرَامُ

---

(1) إشارة إلى الآية الكريمة : «والذين يَقُولُونَ ربّنا آصرف عنّا عذاب جهنّم إنّ عذابَها كان غراما» الآية 65 من سورة الفرقان ؛ ومعنى قوله تعالى كان غراما أي لازما.

(2) الأُطُمُ. ج آطام : كلّ بناء مرتفع.

(3) لعلّ المقصود بالبَرَا البرايَا وهو الخلق : فيكون المعنى : إنّ الغيث يُحيي الخلق وممتلكاتهم وأراضيهم.

(4) الإكام بكسر الهمزة هو جمع أَكَم وأكَمَات. وهو التلّ أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعا ممّا حوله.

إكْـرَامُ مَنْ سَـادَتْ بِسُؤْدَدِ فَخْـرِه ... آلٌ وَأَصْحَـــابٌ عَلَيْـكَ كِـــرَامُ
مَنْ هَاجَرُوا حُبًّـا إِلَيْكَ ؛ وَجَـاهَدُوا ... قُصمت رقـاب للعـدَاة وهَـــام(؟)
55 مَنْ شَـاهَدُوا خلـعَ الحَبيب فَبَادَرُوا ... خَلْـعَ الْعِذَارِ ؛ وَفِي المَحَبَّـةِ هَامُوا
مَنْ قَـدْ زَهَا بِهِمُ الْحَطِيمُ[1] وَزَمْـزَمُ ... وَسَمَتْ بِهِمْ مِصْـرُ ابْنِ سَام وَشَامُ
وَبِطَاحُ مَكَّةَ ؛ وَالْعِـرَاقُ ؛ وَيَثْـرِبُ ... مِنْ بَعْـدِ كَـرَّاتٍ لَهَـا آسْتَعْظَـامُ
أَيَّـام نَقْـعٍ ؛ مَـا تَطَـايَرَ نَسْـرُهَا ... يَـوْمًا ؛ وَلاَ حَـامَ الْمَجَـالَ حَمَـامُ
وَلأَنْـتَ تَعْلَـمُ كُنْـهَ هَـذَا كُلِّـه ... تَـدْرِي الْخَفِـيَّ لأَنَّـكَ الْعَـلاَّمُ
60 لِجَميعِهِم مِنْكَ النَّعِيمُ مَعَ الـرِّضَا ... عَنْهُـمْ قُبَيْـلَ لِيَعْظُـمَ الإِنْعَـامُ(؟)
وَعَلَيْهِـمُ بَعْـدَ النَّبِـيءِ وَآلِـــه ... مَـادَامَ لِلـــدَّهْرِ الْمُقِيـــم دَوَامُ
أَزْكَـى صَـلاةٍ مِنْكَ يَعْبَـقُ نَشْرُهَا ... كَشَـذَاهُمُ فِي الْعـرْفِ ؛ ثُمَّ سَـلاَمُ
لَمْ يُحْصِ عَدَّهُمَا[2] سِوَاكَ ؛ شَذَاهُمَا ... مِسْـكُ الْخِتَـامِ لَـهُ الْعَبِيـرُ خِتَـامُ

---

(1) الحطيم : حجر الكعبة أو ما بين الرّكن وزمزم والمقام ؛ أو من المقام إلى الباب أو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام ؛ وقيل أيضًا : الجدار الذي عليه ميزاب الكعبة.

(2) الضمير في (عدَّهُمَا) يعود على أزكى (صلاة) ؛ ثمّ (سلام) والمعنى : لم يحصِ عدد صلاتك وسلامك إلاّ أنت ؛ ويقصد الشاعر بـ «شذاهما مسك الختام ختام» أنّ شذا الصلاة والسلام مسك ختام لهذه القصيدة.

19 - حَنِينٌ إلى زِيَارَةِ المَقَامِ النَّبَوِي

[الطويل]

دَعَـانِي[1] الأَمَـانِي لاَت حَينَ أَمَـانِي ... وَلاَتَ الـدُّنَى عِنْـدِي بِـدَارِ أَمَــانِ

فَلاَ تَذْكُرَا جَيرُونَ ؛ أَوْ سُرَّ مَنْ رَأَى[2] ... وَلاَ خُلْـدَ بغْـدَانٍ ؛ وَشِعْـبَ بَـوَانِ[3]

فَـلا أَرَبٌ فـي ذِكْـرِ مَغْنَـى مُنَعَّـمٍ ... لِقَلْـبٍ مُعَنًّـى لَوْعَـةً، وَهَـوَانِ

يَرَى خَلَدِي خُلْـدًا سَمَـا وَخَوَرْنَقًا ... وَسُـمَّ خِيَاطٍ فِي المَضِيقِ[4] سِيَـانِ

وَعَيْشِكُمَـا لاَ رَاحـةً غَيْـرَ سَاحَـةٍ ... مُنَعَّمَـةِ الأَرْجَـا بِكُـلِّ مَكَـانِ

تَـرُومُ حِمَـاهَا مُهْجَتِـي فَيَصُـدُّهَا ... تَتَـابُعُ حُـزْنِي ؛ وَاعْتِـدَاءُ زَمَـانِ

وَكَيْـفَ لِمَـنْ سُلَّتْ قَـوَادِمُهُ الَّتِي ... تَطِيـرُ بِهَـا الْعُقْبَـانُ بِالطَّيَـرَانِ

أَظَلُّ مَدَى السَّـاعَاتِ أَرْتَقِبُ الْمُنَى ... عَلَى طَمَـعٍ لَـمْ يَخْـلُ عَنْ حَيَـوَانِ

أَقُـولُ : عَسَى دَهْـرِي يَرِيشُ وَرُبَّمَا ... فَلَـمْ تُجْـدِ نَفْعًـا رُبَّمَـا وعسَـانِي

وإنّ الْحِمَى المَرجُوَّ[5] قَاصٍ مَعَ الوَجَا ... وَلَيْـتَ الْـوَجَا قَـاصٍ، وذلك دَانِ

---

(1) فعل أمر للمثنّى أي اتركاني فإنّ الوقت ليس وقت أماني، مثال ذلك قوله في البيت الثاني : فلا تذكرا جيرون، وقوله في البيت الخامس وعيشكما.

(2) هي سَامَرَّاء : أسّسها بنو العبّاس وهي على بعد نحو 100 كلم شمالي بغداد وجيرون : معلم من معالم دمشق أكثر الشعراء من ذكره، و فيه أقوال كثيرة، انظر معجم البلدان لياقوت.

(3) شعْب بوان : مرج خصيب في بلاد فارس يوصف بالنّضارة.

(4) المعنى أنّ المنتزهات والأماكن التي ذكرها الشاعر (الخُلْد والخورق) على جمالها واتّساع أرجائها هي عنده مثل سُمّ الخياط أي ثقب الإبرة في الضّيق ؛ فهو لايريدها ولا يرغب فيها ؛ ولكنّ راحته في ساحة أخرى منعمّة الأرجاء.

(5) إنّ الساحة التي يحلم بها الشاعر والحمى الذي يريد الذهاب إليه والأمل المرجّو هو قصي وبعيد مع ما يقاسيه من وَجَى وتعب قدميْه ؛ فتمنّى أن يكون الوَجى هو القاصي والحمى المرجوّ هو الدّاني القريب وهو مقام النبي ﷺ.

لَقَدْ كَان سَهْلاً قَبْلَ فَوْتِ شبيبَتي وَمَوْت جَمَالي ؛ وآغْتصَاب جُمَاني
عَضَضْتُ على فَوْت التَّدَارك إصبَعي وَلَمْ يُغْنِ بَعْدَ الْفَوْت عَضُّ بَنَان
أَيَرْضَى أَخُو لُبٍّ شَبَاب تَثَبَّطَا لإسْعَاف إخْوَانٍ ؛ وَحُبِّ خِوَانِ
ويُقْعِدُهُ خِذْلاَنُهُ عَنْ أريْنَة وَمَنْزِلُهَا الأَسْنَى كَشَاة إرَانِ[1]
15 وَمَا هِيَ إلا بُقْعَةٌ قَدْ تَشرَّفَتْ بمُفْرَدِ حُسْنٍ لَنْ يُرَى لَهُ ثَاني
جَنَابُ ضيَا عَيْني ؛ جلاَ حَزَني ؛ شفَا فُؤَادي، وقَا نَفْسي ؛ رَبيعُ جَنَانِ
سَليلُ عُلَى سَادَتْ سُرَاةً بعِزَّةٍ نَبيٌّ هُدَى ؛ دَانَتْ لَهُ الثَّقَلاَنِ[2]
سَنيٌّ بِهِ الأَكْوَانُ مُشْرقَةُ الضِّيا فَلَوْلاَ سَنَاهُ لَمْ يَكُ القَمَرَانِ
هُوَ السَّيِّد الحَامي منَ الضُّرِّ إنْ عَدَا مُلِمٌّ مُليمٌ ؛ أَوْ أذى حَدَثَان
20 هُوَ المُجْتَبَى المُخْتَارُ منْ زَهْرَة الْعُلَى وَمنْ دَوْحِهَا الزَّهْرَاءُ[3]، والحَسَنَان[4]
سَليلاَنِ قَدْ سَادَا بجَدٍّ، وَوَالِد وَأُمٍّ عَلَى أَبْنَاء كُلِّ أَوَانِ
وللْجَدَّة الْغَرَّاء سَيِّدة النِّسَا منَ الفَخْرِ مَا لاَ يَسْتَطيعُ بَياني
خَليلَة صِدْق[5] صَدَّقَتْ أَوَّلَ الْوَرَى وَدَانَتْ لَمَوْلاَهَا بَغَيْرِ تَوانِي
فَسَلَّمَ مَوْلاَنَا عَلَيْهَا وَحَبَّذَا سَلاَمٌ منَ الْمَوْلَى لِرَبَّة شَانِ
25 وَبَشَّرَهَا الرُّوحُ الأَمينُ بمَنْزِل منَ القَصَبِ الأَسْنى رفيع مَبَاني
هَنيئًا لَهَا دُنْيَا، وَأُخْرَى، وَكَيْفَ لاَ ؟ وَكَانَتْ عَلَى المُخْتَارِ أَعْظَمَ حَانِي
تُسَلِّيه عَمَّا كَانَ منْ ضَرَرِ الأَلى أَبَوْا رشدَهُمْ مَيْلاً إلَى الْهَذَيانِ
جُمُوع ضَلاَل حَزَّبُوا، وَتَعَصَّبُوا لِرَبِّ جَمَاد قَدْ بَرَتْهُ يَدَانِ
وَلَوْ صَيَّرُوهُ لِلأَثَافيّ ثَالِثًا لَمَدَّدَهُ وَقْدًا سَوَادُ دُخَانِ[6]

(1) أرن البعير : نشط فهو أرن وأرون، وشاة إران : الثور أي في منزل من منازل الفلك، والأرين : المكان.
(2) الثقلان : الإنس والجنّ.
(3) فاطمة الزّهراء؛ انظر عنها وعن آل البيت كتابنا : في تزويج فاطمة الزهراء، تونس 2008.
(4) الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب.
(5) يقصد خديجة بنت خويلد التي كانت أولى النّساء السابقات إلى الإسلام.
(6) المعنى : لو وضعوا هذا الصّنم الجماد وصيّروهُ ثالثة الأثافي لمدتهَ النّار وسوّدته حتّى أنّه لا يقدر على حماية نفسه من بول الهر ؛ فكيف على حماية غيره ؟

وَلَوْ بَالَ عَنْهُ الْهِرُّ لَمْ يَحْمِ نَفْسَهُ ... وَلاَ اسْطَاعَ بُعْدًا عَنْهُ بالدَّوَرَانِ

فَكَمْ مِثْلَهُ فَوْقَ التُّرَابِ مُوَرَّسٌ ... وَكَمْ مِثْلَهُ فِي أَسْفَلِ الْجُدُرَانِ

فَقُلْ، قَاتَلَ الْمَوْلَى عِصَابَةَ مُنْكَرٍ ... عَلَوْا لانْتِصَارِ الصَّخْرِ شَرَّ حِصَانِ

وَجَالُوا بِبَدْرٍ حِينَ ظَنُّوا بِهِ الْمُنَى ... فَكَانَ مُنًى مُسْتَبْدَلاً بِهَوَانِ

وَرَامُوا بِهِ عُرْسًا يَسُرُّ فَكَانَ ذَا ... وَلَكِنَّهُ فِيهِ عَوِيلُ قِيَانِ

وَلَمَّا بَدَا لِلْقَوْمِ ذَلِكَ مَا ارْتَضَوْا ... سِوَى بِكْرٍ إِذْ لَمْ تَكُنْ بِعَوَانِ

وَقَدْ صَدَّهُمْ عَنْهَا عُمَيْرٌ وَعُتْبَةٌ[1] ... وَمَالاَ لِنُصْحِ الْقَوْمِ يَسْتَبِقَانِ

وَقَالاَ لَهُمْ : يَا قَوْمُ صُونُوا كُمَاتَكُمْ ... وَلاَ تَقْدِمُوا، ذَا الشَّانُ لَيْسَ بِشَانِ

فَلَمْ يُرْضِ مَا قَالاَ مُصَفِّرَ اسْتِهِ[2] ... وَنَادَاهُمَا لَمَّا دَعَوْهُ : دَعَانِي

فَرَأْيُكُمَا لاَ يُرْتَضَى وَأَبِيكُمَا ... وَلَمْ يَكُ نُصْحًا مَا رَأَى ابْنُ فُلاَنِ

لأَنَّهُ قَدْ كَانَ ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... يَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ تَلِيهِ يَدَانِ

وَظَلَّ حَرُونًا إِذْ دَنَا حِينُ حَيْنِهِ ... وَوَابَاحِثًّا عَنْ حَتْفِهِ بِحِرَانِ

وَمَا ثَبَطَ الْمَلْعُونُ إِلاَّ لِيَنْتَشِي ... بِعَضْبِ ابْنِ عَفْرٍ حِينَ يَلْتَقِيَانِ

وثَارَ الغداة الأَسْوَدُ الغُمْرِ هائما[3] ... وَلَمْ يَدْرِ حُمْقًا مَا وَرَا الْهَيْجَانِ

وَأَقْسَمَ[4] أَنْ لاَيَنْثَنِي دُونَ حَوْضِهِمْ ... فَيَكْرَعُ مِنْهُ نَهْلَةً بِعَيَانِ

فَجَرَّعَهُ حَدُّ الظُّبَى نَهْلَةَ الْمَنَا ... وَمَا مُزِجَتْ إِلاَّ بِأَحْمَرَ قَانِي

فَوَافَى لِمَاءِ الْحَوْضِ يَزْحَفُ وَالدِّمَا ... مِنَ السَّاقِ حَوْلَ الْحَوْضِ فِي سَيَلاَنِ

وَمَا قُدَّتِ السَّاقُ الْمظنّة بِالْمُدَى ... وَلَكِنْ بِمَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ يَمَانِي

---

(1) هو عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع النّاس من الحرب في بدر ؛ فلمّا بلغ أبا جهل الخبر وسمه بالجبن ولم يرض ما قاله عتبة وعمير وقال : والله لا نرجع حتّى يحكم الله بيننا وبين محمّد.

(2) أبو جهل الذي لم يرض باقتراح عتبة.

(3) غير مفهوم في الأصل.

(4) قبل أن تقوم الحرب على ساقها خرج من صفوف المشركين الأسد بن عبد الأسد المخزومي وقال : أعاهد الله لأشربَنَّ من حوضهم ؛ أو لأهدمنَّه ؛ أولأموتَنَّ دونه ؛ فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قطع بها قدمه، فوقع على ظهره ؛ فزحف على الحوض ليبرّ بقسمه، فتتبّعه حمزة فقتله، والقصيدة تتضمّن أطوار غزوة بدر.

حُسَام الفَتَى الشَّهْم العَرَمْرم حَمْزَة ... أَشَدَّ كُمَاة الطَّعْن، والثَّوَرَان

عَلَيْه رِضَا الْمَوْلَى وَحُقَّ له الرِّضَا ... وَخَوَّلَهُ الزُّلْفَى ؛ وَوَصْلَ حِسَان

فَقَدْ خَضَبَتْ يُمْنَاهُ شَيْبَة شَيْبَة ... دَمًا لاَ بِحِنَّاء لأَقْرَب آن

فَرَاحَ صَبَاحًا مَعْ أَخِيه إِلَى لَظَى ... تُجَاهَ آبْنِه الْمَفْقُود يَصْطَرِخَان

فَكَمْ قَدَّد الأَعْدَاءَ حَمْزَةُ بِالظُّبَى ... وَكَمْ قَدْ فَرَى أَكْبَادَهُمْ بِسِنَان

وَلَمْ يمهلنّ البطلَ الكميّ عليهم ... فَزَادَ الْوَلِيدُ قَدْرَ قَطْفَة جَان (؟)

يخَالُهُ قَرَنًا حِينَ أَمَّ بِرَازَهُ ... وَمَا كُلُّ ذِي قَرْنَيْن يَقْتَرِنَان

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ النَّزِيلَيْن مَنْزِلاً ... وَمَا حَلَّ غَيْرُ البَدْرِ بِالدَّبَرَان[1]

أينزله التِّنِّين يَوْمًا وإنْ عَلاَ ... وَهَلْ يَعْتَلِي بِالنَّخْلِ غَيْرُ إِهَان[2]

عَلَى أَنَّ بَطْلَ الدِّين حَامي نَزِيلَهُ ... عَلِيًّا عَلِيُّ الشَّانِ مَالَهُ ثَانِي

إِذا مَا آعْتَلَى يَوْمًا جَوَادَهُ دَارِعًا ... وَأَصْبَحَ في الْمَيْدَانِ طَلْقَ عِنَانِ

تَرَى كَيْفَ سَبْقُ الْعَادِيات وَجَرْيها ... وَكَيْفَ يَكُونُ الطَّعْنُ يَوْمَ طِعَانِ

فَيَالَهُ مِنْ يَوْم شَدِيد على الْعِدَا ... بِبَدْرٍ تَرَى الْحَيَّيْنِ يَقْتَتِلاَن[3]

أَقَامُوا بِهِ يَرْجُون نَيْلَ مَسَرَّة ... فَمَا بَرِحوا إِلاَّ بِحُزْن حِرَان

يُرِيكَ كَمِيُّ الْبَغْي جُبْنًا[4] به دَهَى ... وَمَا كَانَ لَوْلاَ بَغْيُهُ بِجَبَان

وَإِبْلِيسُ بَيْنَ الْجُنْد في صُوَرِ الْوَرَى ... يُنَادِي : أَنَا الْجَارُ الْمُجِيرُ سَلاَنِي

وَلا تَجْزَعُوا يَا قَوْمُ حَتَّى إِذَا رَأَى ... صَلِيلَ الْمَوَاضِي لَنْ يُخَلِّصَ عَانِي

فَسُحْقًا لِمَنْ غَرَّتْهُمُ فُدَمَاؤُهُمْ[5] ... فَلاَقُوا مِنَ الأَصْفَاد شَرَّ قِرَان

وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا : دَعُوهُمْ وَدِينَهُمْ ... لِكُلِّ ذَوِي دِينٍ جَزَاء مُدَان

لَمَا أَصْبَحُوا عِنْدَ الْقَلِيبِ كَأَنَّهُمْ ... جُذُوعُ نَخِيلٍ فِي قَلِيبِ جِنَان

---

(1) الدّبران : منزل للقمر وهو مشتمل على خمسة كواكب في برج الثور، والتنين : موضع في السماء.

(2) الإهان : العرجون.

(3) المعنى أنّه من شدّة هول يوم بدر ترى الصّديقين من الأعداء يقتتلان لأنّهما من شدّة ذهولهما وحيرتهما وفزعهما لا يميّزان بين صديق وعدو.

(4) الشجاع المشرك يصير جبانا ولولا بغيه وضلاله ما كان جبانا ؛ لأنّ المؤمن إنّما يدافع عن عقيدة وحرارة الإيمان هي الدّافع ؛ إذ أنها تصيّر الجبان كميًّا.

(5) الفُدَم : الأحمق.

بُغَاةً ؛ لَقَدْ عَادُوا نَبِيًّا دَعَاهُمُ إِلَى رَبِّهِمْ عَنْ رَأْفَةٍ وَحَنَانِ
وَمَا جَاءَهُمْ إِلاَّ بِأَوْضَحَ مُعْجِزٍ مَنَ الآيِ فِي أُمِّ الْقُرَى وَقُرَانِ[1]
وَقَدْ شَاهَدُوا ظِلَّ الْغَمَامِ وَمَا آخْتَفَى عَلَيْهِمْ حَنِينُ الجِذْعِ[2] حَالَ عِيَانِ
وَلَمْ يُنْكِرُوا شَكْوَى الْبَعِيرِ وَخَوْفَهُ إِذَا مُدْيَةٌ تَعْلُو ؛ وَطَعْنُ جِرَانِ
وَزِدْهُمْ كَلاَمَ النُّوقِ جَهْرًا وإِنْ أَبَوْا لِكُفْرِهِمُ الإِسْرَا ؛ وَذَاكَ سِيَانِ

* * * * *

أَلاَ يَا حَبِيبَ اللهِ إِنَّا وَحُبِّكُمْ لَنَبْغَضُ مَنْ عَادَاكَ كُلَّ أَوَانِ
كَمَا أَنَّنَا جَمْعًا نُحِبُّ جَمِيعَ مَنْ يُحِبُّكَ مِنْ إِنْسِ الأَنَامِ وَجَانِ
خُصُوصًا كِرَامَ الآلِ وَالصَّحْبِ مَنْ حَمَوْا حِمَى الدِّينِ أَمْنًا لاَتَ حِينَ أَمَانِ
أَجَلُّهُمَا شَيْخَانِ نَالاَ مَحَبَّةً كَأَنَّهُمَا عِنْدَ الْوَرَى أَخَوَانِ

* * * * *

هُمَا السَّيِّدَانِ الْفَاضِلاَنِ، هُمَا اللَّذَا نِ حَلاَّ سَمَا الْعَلْيَا ؛ هُمَا الْعُمَرَانِ[3]
كَذَاكَ شَهِيدُ الدَّارِ شَيْخُ الْوَرَى الَّذِي لَهُ قَدَمَا صِدْقٍ سَمَتْ وَيَدَانِ
فَكَمْ جَهَّزَ الأَبْطَالَ لِلْحَرْبِ، وَآشْتَرَى بِتَجْهِيزِهِ فِي الْخُلْدِ دَارَجِنَانَ
وَبَطْلُ حُمَاةِ الدِّينِ، مَنْ شَاعَ أَنَّهُ تَسَامَى إِلَى دِينِ الهُدَى آبْنُ ثَمَانِ[4]
سَفِينَةُ بَحْرِ الْعِلْمِ ؛ مَنْ جَلَّ أَنْ يُرَى مَثِيلُهُ فِي طَعْنٍ ؛ وَفَهْمِ مَعَانِي
وَرَيْحَانَتَاكَ الْفَاضِلاَنِ مَنِ آنْتَمَتْ لَعَلْيَاهُمَا أَشْرَافُ كُلِّ مَكَانِ
لأَنَّهُمَا صِنْوَانِ دَوْحَةَ هَاشِمٍ وَفِي الرَّوْضَةِ الصِّنْوَانِ يَشْتَبِهَانِ

---

(1) يقصد القرآن، وأم القرى : مكّة.

(2) حنين الجذع : كان مسجد النبي ﷺ مسقوفا على جذوع نخل، فكان رسول الله إن خطب يقوم إلى جذع منها فلمّا صُنع له المنبر سمع لذلك الجذع صوت كصوت العشار، سمعه أهل المسجد حتى آرتجّ المسجد وكثر بكاء النّاس لذلك ومازال يحنّ حتّى تصدّع وآنشق فنزل ﷺ ؛ فالتزمه وحضنه فسكن، وحديث الجذع مشهور رواه من الصّحابة بضعة عشر منهم أبّي بن كعب ؛ وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك.

(3) عمر بن الخطّاب وعمرو بن العاص.

(4) علي بن أبي طالب.

عَلَى أَنَّ كُلَّ الصَّحْبِ صَحْبٌ أَجِلَّـةٌ فَمَـا مَنْهُـمُ وَانٍ ؛ وَلاَ مَتَـوَانِي
بِحَقِّهِـمُ مَـوْلاَي مُـنَّ بِعَطْفَـةٍ نَنَـالُ بِهَـا حُسْنَـى وَخَيْـرَ أَمَـانِي
وَسَـلْ رَبَّنَـا الحَنَّـانَ صَيِّـبَ رَحْمَـةٍ تُنَعِّـمُ قَـاصِي الْمُسْلِمِيـن وَدَانِـي
وَمَحْـوَ مَسَـاوٍ أَثْقَلَتْنَـا فَكَـدَّرَتْ نُفُـوسًا عَلَى أَسْـوَا ؛ وَبُـؤس زَمَـانِ
وَصَرْفَ صُرُوفٍ لَنْ تُسَاغَ ؛ وَدَفْعَهَا بِلُطْـفٍ وَعَفْـوٍ مِنْـهُ يَصْطَحِبَـانِ
فَإِنَّـهُ رَحْمَـانٌ ؛ وَأَنْـتَ شَفِيعُنَـا شَفِيـقٌ عَلَيْنَـا فِي كِـلاَ الْحَـدَثَانِ
وَتَتْـرَاكَ مِنْ مَـوْلاَكَ فِي كُلِّ سَاعَـةٍ وَوَقْـتٍ وَجِيـزِ مُـدَّةَ الْمِلَّـوَانِ
صَـلاَةٌ وَتَسْلِيمٌ يَضُـوعُ شَـذَاهُمَا كَعَـرْفِ شَـذَاكُمْ يَـا رَبِيـعَ حَنَـانِ

20 - أَشْوَاقٌ إلى مكّة المكرّمة والمدينة المُنَوّرة

ولَهُ أيضَا رَحِمَهُ اللهُ :

[البسيط]

أَنْتُمْ مُرَادِي بِإِضْعَانِي فَتَأْوِيبِي ... وَأَيْنَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَحْظَى فَتَأْوِي بِي[1]

يَا جِيرَةَ الْحَيِّ ؛ يَا سُؤْلِي ؛ وَمُعْتَمَدِي ... يَا أَهْلَ طَيْبَةَ ذَاتِ الْحُسْنِ وَالطِّيبِ

طِبْتُمْ فَطَابَ لِنَفْسِي مَا رَأَتْهُ مِنى ... وَٱسْتَعْذَبَ الْقَلْبُ حَالَ الشَّيْبِ تَشْبِيبِي

قَدْ كُنْتُ أَأْبَى التَّصَابِي ؛ والشَّبَابُ فَتًى ... وَالآنَ فِيكُمْ طَابَتْ صَبْوَةُ الشِّيبِ

أُكَابِدُ الشَّوْقَ فِي غَرْبِي[2] على شَجَنٍ ... مِمَّا أَلَاقِي ؛ وَحَالٌ غَيْرُ مَحْبُوبِ

سَلِيبُ صَبْرٍ يُعَانِي مُرَّ مَطْعَمِهِ ... وَلَا الْتِذَاذٌ بِمَأْكُولٍ ؛ وَمَشْرُوبِ

يَرْجُو الرَّكَابَ ؛ وَلَاحَوْلٌ يُبَلِّغُهُ ... وَأَيُّ حَوْلٍ ؛ وَلَا طَوْلٌ لِمَسْلُوبِ

يَهِيمُ لِلشَّرْقِ مُشْتَاقًا فَتُقْعِدُه ... زُغْبٌ صِغَارٌ كَأَفْرَاخِ الْغَرَابِيبِ[3]

لَمْ يُبْقِ دَهْرُهُمُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ ... مُعَلِّمٌ عِنْدَ تَعْلِيمٍ، وَتَأْدِيبِ

---

(1) تضمّن البيت جناسًا في قوله فتأويبي الذي هو الرُّجوع ؛ نقول : مشيت ذهابا وإيابا، وتأويبي الثانية هي اللجوء. ومعلوم أنّ الجناس من المحسّنات اللفظيّة وهو أن يتشابه اللفظان نطقا ويختلفان معنى مثل قوله تعالى : ويوم تقوم السّاعة يُقسمُ المجرمُون ما لبثوا غير ساعة. فلفظ السّاعة الأول هو يوم القيامة والثاني إحدى السّاعات الزّمنيّة.

(2) الغَرْبُ : إشارة إلى وطنه تونس بالمغرب العربي أي الغرب الإسلامي.

(3) المعروف لغة أن جمع غراب : أغْرُب وغُرْب وغِرْبَان وأغْرِبَة وجمع الجمع غَرَابين أمّا آستعمال الشاعر للجمع غرابيب فعندنا آنّه مناسب نظرا إلى أنّ غرابيب هو وصف للأسود الحالك الذي هو لون الغراب ؛ وأكثر ما يجيء هذا الوصف للتأكيد فيقال أسود غرابيب.

مَازِلْتُ مذ أَضْرَتِ الأَسْوَاءُ بي وضَرَتْ ... بَيْنَ الأَنابيب[1] والْعُوجِ الْمَخَاليب[2]

تُشيلُني نُوبُ الدُّنْيَا ؛ وَتُرْسِلُني ... صِفْرًا ؛ وَقَدْ أَذْهَبَتْ مِنِّي أَطَايِبِي

كَأَنَّنِي السَّلْوَ[3] في وَكْرِ الْعُقَابِ لَقًى ... مِنْ بَعْدِ مَا مَزَّقَتْهُ أَنْيُبُ الذِّيبِ

وَهَا أَنَا الْيَوْمَ ؛ وَالإِعْسَارُ يَمْنَعُني ... مُقَسَّمٌ بَيْنَ تَشْرِيقٍ، وَتَغْرِيبِ

إِذْ لَمْ أُبَالِ لُبَانَاتِ الْعُذَيْبِ جَوًى ... شَوْقٌ مَشُوبٌ بِتَسْهِيدٍ، وَتَعْذِيبِ

إِنْ فَاتَنِي صَبْرُ أَيُّوبٍ بِعِزَّتِهِ ... وَعَيْشِكُمْ لَمْ يَفُتْنِي حُزْنُ يَعْقُوبِ

قَالُوا :دَعِ الضَّجْرَ،وانهَضْ قُلْتُ:مَعْذِرَتِي، ... وَاللهِ، لَمْ تَخْفَ عَنْ جَمْعِ الأَصَاحِيبِ

لِلْبَحْرِ فُلْكٌ وَإِذْنٌ عَزَّ نَيْلُهُمَا ... وَإِنَّ لِلْبَرِّ تَقْرِيظًا بِتَطْنِيبِ

وَكُومِ بَزْلِ قَنَاعِيسٍ تَجُدُّ سُرًى ... وَسَابِقَاتٍ مِنَ الْجُرْدِ السَّرَاحِيبِ[4]

وَلَنْ أَرَى ذَاكَ سَهْلاً حَيْثُ لاَ حَذَرٌ ... إِلاَّ لِذِي الطَّوْلِ وَالْبَذْوِ الأَعَارِيبِ

* * * * *

إِنَّ الْحَضَارَةَ قَيْدٌ وَالْعِيَالُ وَجًى ... وَأَيُّ حَالٍ لِمَوْثُوقٍ وَمَطْبُوبِ

فَلَوْ رَضِيتُمْ أُهَيْلَ الْحَيِّ عَبْدَكُمُ ... لَنَالَ بِالْقُرْبِ أَشْهَى كُلِّ مَطْلُوبِ

وَلَوْ لَحَظْتُمْ بِلَحْظٍ مِنْكُمُ خَلُصَتْ ... بِاللَّحْظِ قَابِيَةُ الْمَلْحُوظِ مِنْ قُوبِ[5]

وَسَاعَدَتْهُ مَقَادِيرُ الإِلَهِ لِمَا ... تَرُومُ نَفْسُهُ مِنْ زَادٍ وَمَرْكُوبِ

فَيَنْثَنِي قَافِلاً يُطْوَى الْبَعِيدُ لَهُ ... حَتَّى يَفُوزَ بِقُرْبٍ ذَاتِ تَقْرِيبِ (؟)

لاَ يَخْتَشِي مَعْ مَدِيدِ الْيُمْنِ سُرْعَى ... مَدِيدَ بُؤْسٍ مِنَ الدُّنْيَا وَتَتْبِيبِ

إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا شِئْتُمْ مُسَاعَفَتِي ... لِمَا رَجَوْتُهُ يَأْتِي بِالأَعَاجِيبِ

---

(1) الأنابيب : ما بين العقدتين من القصب أو الرّمح ؛ وتستعار الكلمة للدّلالة على الضّيق الذي يعانيه الشاعر.

(2) المخالب أصلها للطيور ؛ وهنا استعملت للمصائب وما تتركه من آثار.

(3) السَلْوَى بالمدّ طائر يُعرف بالسّمّانى ؛ وقد قصر الشاعر الكلمة للضرورة.

(4) الكوم : القطعة من الإبل والبزّل والبزُل والبوازل : ما بزل نابه من الإبل في السنة التاسعة وفرس أجرد : قصير الشعر، رقيقه وأيضا سبّاق. وفرس سرحوب : طويلة توصف به الإناث دون الذكور. والقناعيس ج قنعاس : العظيم من الإبل.

(5) القابية لغة البيضة، والقوب : الفرخ. إشارة إلى المثل العربي : انقطبت قابية من قوبها.

21 - يَا جِيرَةَ الدَّار !

ولَهُ أيضًا رَحِمَهُ الله :

[الطويل]

لِمَغْنَـاكُمُ السَّـامِي تُحَثُّ الرَّكَائبُ وَعِنْـدَكُمُ تَنْـزَاحُ عَنْهَا النَّـوَائبُ
وَفِيكُـمْ يَطِيبُ الاغْتِـرَابُ وَمِنْكُـمُ تُرَجَّى لُبَانَاتُ[1] الْـوَرَى وَالـرَّغَائبُ
أَيَا جِيـرَةَ الـدّار المحبّـة بِالحِمَـى وَمَـنْ لحِمَـاهَا تَسْتَعِـدُّ النَّجَائبُ[2]
تَـرُومُ حِمَـاكُمْ مُهْجَتِـي يَا أَحِبَّتِـي فَيُقْعِـدُهَا عَنْهَـا الضَّنَـى والشَّـوَائبُ
صُـرُوفُ زَمَـانٍ ماتَـدانَتْ خُطـوبُها تَشيبُ اللّحى [من خطبها] والذّوائب[3]
إِذَا وَرَدَتْ مِنْهَـا صَبَـاحًا غَرِيبَـةٌ قَفَتْهَـا؛ وَمَا جَـاءَ الْمَسَـاءُ، غَـرَائبُ
وَتَأْتِي الْـوَرَى لَمَّـا تَجِيءُ مُلَمَّـةٌ ضُـرُوبًا ؛ وَلَكِنْ مَالَهُـنَّ ضَـرَائبُ
قُدْ آعْتَـادَهَا لَمَّـا تَطَـاوَلُ عَهْدُهَا وَلَمْ تَنْفَصِلْ عَنْهَـا شَبَـابٌ وَشَـايبُ
وَمَا انْ لَهَـا فِي النَّـاسِ مِنْ مُتَعَجِّـبٍ وَلَـمْ تلْفَ مَحْـزُونًا لمَـا هُـوَ آئب
عَلَى أَنّهـا الأَيَّـامُ قَـدْ صِـرْنَ كُلُّهَـا عَجَـائب حَتّى لَيْسَ فِيهَـا عَجَـائبُ

* * * * *

(1) لُبَانَات ولُبَان : المفرد لُبَانَةٌ وهي الحاجة من غير فاقة ؛ تقول : قضيت لبانتي أي حاجتي.
(2) النّجائب : ج نجيبة الكريمة من الإنسان والحيوان.
(3) الذوائب : ج ذؤابة، الناصية أو منبتها من الرأس.

22 - تَشْبِيب

ولَهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ :

[الطويل]

إِذَا لاَحَ صُبْحًا قُلْتُ أُمْلُودُ بَانَةٍ [1] بِدَوْحِ الرِّيَاضِ الزُّهْرِ أَزْهَرَ بِالْوَرْدِ
وَمَاكَانَ قَدُّ الْبَانِ يَحْكِي قَوَامَهُ[2] وَلاَ الْوَرْدُ وَسْطَ الرَّوْضِ يَحْكِي سَنَا الْخَدِّ
عَلَى أَنَّهُ أَسْنَى مِنَ الْبَدْرِ طَلْعَةً وَمَنْطِقُهُ أَحْلَى مِنَ الْوَرْدِ والْقَنْدِ[3]

(1) البانة : مفرد بان وهو شجر معتدل القوام ليّن ورقه كورق الصفصاف يشبّه به القدّ لطوله.
(2) يحكي القوام في الاعتدالِ وحسن القامة والطول.
(3) القَنْدُ : عسل قصب السُّكر إذا جمد.

23 - هذا ربيع المنى

ولَهُ أيْضًا رَحِمَهُ اللهُ :

[البسيط]

هَذَا رَبِيعُ الْمُنَى شَهْرُ الْمَبَرَّات ... قَد آسْتُهِلَّ بِأَنْوَاعِ الْمَسَرَّات
فَطَابَ عَرْفُ شَذَاهُ الْعَنْبَرِيُّ بِمَا ... قَدْ فَاح مِنْ نَشْرِ [أَنْفَاسِ][1] عَطِيرات
فَكَيْفَ لاَ ؟ وَهْوَ شَهْرٌ فَاضِلٌ شَرُفَتْ ... فِيهِ اللَّيَالِي بِأَضْوَاءِ الْمُنِيرَات
لِمَوْلِد الأَسْعَد الأَسْمَى الَّذِي سعدَتْ ... بِسَعْدِ طَلْعَتِهِ أَهْلُ السَّعَادات
نَجْمُ الْعُلَى، الثَّاقِبُ الْمَيْمُونُ طالعُه[2] ... بَدْرُ الدَّلاَلَة، بَلْ شَمْسُ الْهِدَايَات
مُكَمَّلٌ، كَامِلٌ ؛ تَمَّ الْكَمَالُ بِهِ ... لأَنَّهُ أَصْلُ تكْمِيلِ الْكَمَالاَت
مُحمّدُ الْمُجْتَبَى، أَعْلَى الْوَرَى نَسَبًا ... وَخَيْرُهُمْ حَسَبًا قَطْعًا بِإِثْبَات
أَسْنَى، وَأَنْفَسُ مَوْلُود بِهِ نَفَسَتْ ... جَلِيلَةٌ مَعْ جَمَالِ الْوَصْفِ وَالذَّات
مَوْلَى تَعَاظَمَ قَدْرًا نَالَهُ أَزَلاً ... فَضْلاً بِهِ سَمَحَتْ سَبْقُ الْعِنَايَات
تَقَاصَرَتْ عَنْ بَلِيغِ الْمَدْحِ فِيهِ لَهَا ... أَهْلُ الْفَصَاحَةِ إِذْعَانًا بِإِخْبَات
وَإِنَّنِي كلّمَا حَاوَلْت ذَاكَ أَرَى ... أَنْ لاَ لِمِثْلِي آسْتِبَاقٌ فِي الْمَجَالاَت
لأَنَّ شَأْوِي ضَعِيفٌ لاَ يُجَالُ بِهِ ... لأَنَّ الْمَجَالَ لَهُ سِبَاقُ غَايَات(؟)
وَكَيْفَ يَقْوَى آمْتِدَاحُ الْفَاضِلِين سِوَى ... أَهْلِ الْمَكَارِمِ أَصْحَابِ الْكَرَامَات
لَكِنَّمَا حَسْبُنَا آسْتِمْسَاكُنَا بِعُرَى ... وَثِيقُ جَانِبِهِ سَامِي الْعَلِيّات

* * * * *

(1) زدنا كلمة أنفاس ليستقيم الوزن.
(2) الميمون : ما يتفاءل به من السّعد.

يَـا خَيْـرَ دَاعٍ دَعَـا للهِ مُجْتَهِـدًا حَتَّى آضْمَحَلَّتْ به أَسْوَى الْغوَايَاتِ
أَنْتَ الْمَلاَذُ فَحَقِّقْ فيكَ يَا سَنَدي رَجَـاءَنَا ؛ وَآحْمِنَـا شَـرَّ الْبَلِيَّـاتِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ يَا مَلاَذَ الْخَائفينَ لَنَـا غَـدًا شَفيعًـا لمَـا قَـدْ فَـاتَ أَوْ يَاتِي
فَمَـنْ لَنَـا يَـا رَحِيمًـا حِينَ لاَتَ مَـدًى يَعْنِـي تَـدَارُكُهُ أَهْـلَ الإِسَـاءَاتِ
حَاشَا لِفَضْلِكَ أَنْ نَخْشَى لَظًى وَلَنَا بِـكَ آعْتِصَـامٌ جَـدِيرٌ بِالْمُعَـافَاةِ
أَنْتَ الْعَـزِيزُ عَلَـى مَـوْلاَكَ يَـا أَمَلي فَلاَ تَـدَعْنِي لَدَى كَشْـفِ الْخَفِيَّـاتِ
وَإِنّ جَـاهَكَ يَـاذَا الْجَـاهِ أَعْظَـمُ مِمَّـــــاكَانَ مِنِّـي عَلَـى إِعْظَـامِ زَلاَّتِ
وَرَحْمَةُ الْمُنْعِمِ الْمِفْضَالِ قَدْ وَسِعَتْ مَا فِي الْبَسِيطَـةِ مَعْ مَا فِي السَّمَـاوَاتِ
يَـارَبّ ؛ بِالسَّيِّـدِ الْمُخْتَـارِ ؛ مَفْخَـرِنَا أَسْنَى ذَوِي الْفَخْرِ أَرْبَـابِ السِّيَادَاتِ
تَـوَلَّنَا بِجَمِيـلِ الْعَفْـوِ مِنْـكَ رِضًـى وَنَجِّنَـــا مِنْ أَذَى أَهْـلِ الإِذَايَـاتِ
وَكُـنْ لَنَـا كُلِّنَـا وَالْمُسْلِمِيـنَ، وَمَنْ قَدْ لَمَّـهُ الْجَمْـعُ فِي كُـلِّ الْمُلِمَّـاتِ
بِجَاهِ أَكْـرَمِ هَـادٍ قَدْ هَـدَيْتَ بِـهِ مَنْ قَـدْ هَدَيْتَهُ مِنْ شُؤْمِ الضَّـلاَلاَتِ
عَلَيْهِ أَزْكَى صَـلاَةٍ مِنْكَ كُلَّ ضُحًى بَلْ كُـلَّ أَوْقَـاتِ أَحْيَـانٍ، وَسَـاعَاتِ
وَآلِـهِ الغُـرِّ ؛ وَالأَصْحَـابِ أَجْمَعِهِـمْ وَالتَّـابِعِينَ سُـرَاةِ الْهَـدْيِ سَـادَاتِي

24 - لَكَ الحَمْدُ

ولَهُ أيْضًا رَحِمَهُ اللهُ :

[الطويل]

لَكَ الْحَمْدُ مَوْلَى النَّيْلِ والْجُودُ مُسْتَوْفَى ... عَلَى نِعَمٍ وَافَى بِهَا فَضْلُكَ الأَوْفَى

وَأَفْضَى بِهَا الأَفْضَالُ مِنْكَ تَكَرُّمًا ... وَأَسْدَى بِهَا الإِحْسَانُ مِنْكَ لَنَا لُطْفَا

وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تَخْلُقْ ؛ وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تَجُدْ ... عَلَيْنَا ؛ وَلَكِنْ ذُو النَّدى لَمْ يَكُنْ يَخْفَى

وَلَنْ يَتْرُكَ الْخَلاَّقُ مَخْلُوقَهُ سُدًى ... وَيَعْلَمُ أَنْ لاَ نَفْعَ مِنْ غَيْرِهِ يُلْفَى

وَفِي حَضْرَةِ الأَسْمَاءِ مَا يُرْشِدُ النُّهَى ... عَلَى صَوْبِ إِحْسَانٍ يُوَافِي الْوَرَى وَحْفَا[1]

وَيَكْفِيهِمُ الْكَافِي الْكَفِيلُ فَفِيهِمَا ... دَلِيلٌ عَلَى إِيصَالِ مَعْرُوفِكَ الأَضْفَى

وَأَعْظَمُهَا إِرْسَالُكَ الرُّسُلَ الأُلَى ... هَدَيْتَ بِهِمْ مَنْ شِئْتَ هَدْيَهُمُ عَطْفَا

هُدَاةٌ بِهِمْ أَنْقَذْتَ خَلْقَكَ مِنْ لَظَى ... وَلَمْ تَرْضَهَا إِلاَّ لِمَنْ رَضِيَ الْخُلْفَا

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ قَدْ جَعَلْتَهُ خَاتِمًا ... عَلَى أَنَّهُ لِلْخُلْدِ أَسْبَقُهُمْ سَلْفَا

خُلاَصَةُ هَذَا الْكَوْنِ إِنْسَانُ عَيْنِهِ ... وَرُوحُ وجُودِ الْكُلِّ صَفْوَتُكَ الأَصْفَى

عَلَيْهِ صَلاَةٌ مِنْكَ يَهْطِلُ صَوْبُهَا ... بِنُعْمى تُجَلِّي الْبُؤْسَ عَنْ جَمْعِنَا كَشْفَا

* * * * *

(1) وحف وحفا : ضرب بنفسه الأرض، أو أسرع أو قصد أو هو النّبات الريّان ويقصد به الخير.

25 - لربيع المُنَى مَقامٌ

ولَهُ أيْضًا رَحِمَهُ اللهُ :

[الخفيف]

لـرَبِيعِ الْمُنَـى مَقَـامٌ فَعُـدَّهْ ... يَـا خَلِيـلَ الصَّفَا لَنَـا خَيْـرَ عُـدَّهْ

فَهْـوَ وَاللهِ لِلنُّفُـوسِ رَبِيـعٌ ... مُسْتَمِـرًّا بِـأَنْعُمٍ مُسْتَمَـدَّهْ

طَـابَ وَقْتُ الْمُنَـى فَقُـمْ يَامُفَـدَّى ... كَيْ نَرَى الْبِشْرَ وَالْمَسَرَّةَ بَعْـدَهْ

لاَ تُضِـعْ فُرْصَـةَ الـزَّمَانِ وَدَعْنَـا ... ذِكْرَ سُعْدَى الْهَوَى ؛ وَدَعْ عَنْكَ سَعْدَهْ

إِنَّ ذَا الْـوَقْتَ مُسْعِـدٌ بِسَعِيـدٍ ... كَمَّـلَ اللهُ مَـعْ كَمَـالِهِ سَعْـدَهْ

أَوَمَاتَسْمَعَـنْ بِـأُذْنَيْكَ ذِكْـرًا ... ضَـوَّعَ الْمَـدْحُ بِالْمَجَـالِسِ نَـدَّهْ

بِلَيَـالِي الْمَـوْلِدِ قَـدْ هَـدَانَا ... هَدْيُـهُ لِلْهُـدَى ؛ وَأَخْمَـدَ ضِـدَّهْ

أَيمـنِ الطَّلْعَـةِ الْمُمِـدِّ بِجِـدٍّ ... أَسْعَـدَ الْمُهْتَدِي ؛ وَأَرْضَى مُمِدَّهْ(؟)

وَبِـهِ أَنْقَـذَ الـذَّبِيحُ أَبَـاهُ ... قَـادِرٌ كَـفَّ جَـدَّهُ حِيـنَ شَـدَّهْ(؟)

خَيْـرُ دَاعٍ دَعَـا ؛ وَأَفْضَـلُ هَـادٍ ... قَـامَ يَـدْعُو الْـوَرَى لِمَـوْلاَهُ وَحْـدَهْ

أَحْمَـدُ الْمُجْتَبَـى أَعَـزُّ جَلِيـلٍ ... أَوْجَـبَ اللهُ فِي كِتَـابِهِ حَمْـدَهْ

وَدَعَـانَا إِلَـى الصَّـلاَةِ عَلَيْـهِ ... مِنَّـةً مِنْـهُ لاَ لِنَعْلَـمَ مَجْـدَهْ

فَهْـوَ وَاللهِ أَمْجَـدُ الْخَلْـقِ طُـرًّا ... أَوَ مَـا تَعْلَمَـنْ أَبَـاهُ وَجَـدَّهْ

نَبَعَـتْ، أَيْنَعَـتْ بِـدَوْحٍ فَـأَذْكَتْ ... بِشْـذَا نَـوْرِهَا الْمُضَـوَّعِ وَرْدَهْ

مَفْخَـرٌ يَصْغُـرُ الْمَـدِيحُ لَـدَيْهِ ... مِثْلَمَـا تَصْغُـرُ الْمَكَـارِمُ عِنْـدَهْ

فَخْـرُ عَـدْنَانَ لِلْخَلِيـلِ ؛ وَزِدْهُ ... إِنْ تَشَـا شِئْتَ كَيْ تَرَى الْعَـدَّ عِدَّهْ

ذَاكَ ؛ ذَاكَ آفْتِخَـارُ مَنْ رَامَ فَخْـرًا ... جَـلَّ مَـوْلًى حَبَـا ؛ فَـأَكْرَمَ عَبْدَهْ

* * * * *

يَـا إِلَهِـي بِجَـــاهِه ؛ وَهْـوَ جَـــاهٌ عَـزَّ قَـدْرًا لَـدَيْكَ، لاَ جَـاهَ بَعْـدَهْ
كُـنْ لَنَـا كُلَّنَـــا مُعِينًـــا رَحِيمًـــا مُنْعِمًـا عَنْ رِضَـا، رِضَـا ذِي مَـوَدَّهْ
وَآحْمِنَـا الْكُـلَّ ؛ كَلَّ هَوْلٍ مُخِيفٍ وَآكْفِنَـــا جُـــرْأَةَ الْعَـدُوِّ وَحَـدَّهْ
وَآجْعَـلِ اللهَ سَهْـمَ كُـلٍّ بَغِيـضٍ كَـــادَنَا فِي قَفَـــا الْـوَرِيدِ ؛ وَرُدَّهْ
وَآمْنَـحِ الْجَمْـعَ أَجْمَعًـا مِنْكَ لُطْفًا لاَ نَـرَى مَعْـهُ ؛ يَـا مُفَـرِّجُ شِدَّهْ
وَآخْتِـمِ الْعُمْـرَ لِلْجَمِيـعِ بِخَيْـرٍ يُـوهِبُ الْفَوْزَ ؛ وَالْجِنَـانَ ؛ وَخُلْـدَهْ
بِالْمُـرَجَّى الَّـذِي بِه قَـد رَجَـوْنَا وَسَـــأَلْنَا ؛ أَنِـلْ عُبَيْـدَكَ قَصْـــدَهْ
وَكَـــذَا الْحَـاضِرِينَ مَجْلِـسَ جَمْـعٍ لِآمُتِـــدَاحِ الْحَبِيـبِ أَعْظَـمِ عُـــدَّهْ
غَـوْثُنَا الْغَـوْثُ ؛ وَالْمُغِيـثُ إِذَا مَا سَـــدَّدَ الـدَّهْرُ سَهْـمَ ضَيْـرٍ وَشِـدَّهْ
وَعَلَيْـــهِ مَـدَى الـــزَّمَانِ صَـــلاَةٌ مَـعْ سَـلاَمٍ يُكَـاثِرُ الشَّـوْقُ عَدَّهْ
وَجَمِيـــعِ الْكِـــرَامِ آلِ حِمَـــاهُ وَكَـذَا صَحْبِـهِ مَـدَى كُـلِّ مُـدَّهْ

26 - بَدَا وجهُهُ الوضَّاحُ

ولَهُ أيْضًا رَحِمَهُ اللهُ :

[الطويل]

بَدَا وَجْهُهُ الْوَضَّاحُ كَالصُّبْحِ مُسْفِرَا ... وَلَمْ يَخْفَ صُبْحٌ حَانَ وَقْتُ نَهَارِهِ

يَلُوحُ لِذَاكَ الْوجه مَعْ بُعْدِه ضيَا ... أَنَارَ الذَّكَا، وَالْبَدْرُ قُرْبَ آنْتِظَارِهِ

فَتَاقَتْ لَهُ غِيدُ الصَّفَا وحُجُونُهُ[1] ... وَأَبْكَارُ قَحْطَانَ الْحِمَى وَنِزَارِهِ[2]

يَوَدُّهُ عَنْ ودِّ خَلِيٍّ وشَائِقٌ ... وَكُلُّ زَكِيٍّ ذِي حَيَا بِجِوَارِهِ

يَرُمْنَ جَمِيلَ الْقُرْبِ مِنْهُ تَشَوُّقًا ... تَشَوُّقَ نَجْدِيٍّ نَأَى عَنْ عِرَارِهِ

إِذَا لاَحَ حُسْنٌ مِنْ سَنِيٍّ لِذِي حِجَى ... فَلاَ غَرْوَ فِي أَنْ كَانَ خَلْعُ عِذَارِهِ[3]

فَلاَ تَلْحُ ذَا وَجْدٍ ؛ وَعَيْشِكَ يَا أَخَا ... لِخَلْعِ عِذَارٍ فِي بَهِيٍّ عِذَارِهِ

وَأَصْعَبُ حَالاَتِ النُّفُوسِ مَعَ الْهَوَى ... تَبَاعُدُ مَنْ تَهْوَاهُ مَعْ قُرْبِ دَارِهِ

أَلاَ وَهْوَ فَرْعُ الْمَجْدِ مِنْ دَوْحِ هَاشِمٍ ... وَنَبْعَةُ مَنْ تَمَّ الْعُلَى بِفَخَارِهِ

---

(1) الصفا والحجون : مكانان بمكّة.

(2) قحطان : هو أبو قبائل اليمن العربيّة وبنو قحطان انتموا بعد الإسلام إلى حِمير وكهلان، ونزار : إحدى القبائل العربيّة.

(3) المعنى : إذا لاح حسن الممدوح لذي عقل ورصانة فلا عجب أن يخلع عِذاره أي يخرج عن حيائه ولا يبالى بأحد.

27 - زَوْجَاتُ الرَّسُولِ ﷺ

ولَهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ :

[الطويل]

بَدَتْ عَنْ سَنًى فَاقَ الْغَزَالَةَ وَالْبَدْرَا ... وَطَابَتْ أَرِيجًا أَخْجَلَ الْوَرْدَ والزَّهْرَا

وَكَانَتْ مَدَى التَّكْوِينِ بُقْعَةَ طَاهِرٍ ... فَجَاءَتْ مَهَاةً ؛ ظَبْيَةً ؛ غَادَةً حَوْرَا

تَتُوقُ لَهَا أَشْرَافُ بطْحَانِ طَيْبَةٍ ... عَلَى رَغْبَةٍ تَسْتَسْهِلُ الشَّرْطَ والْمُهْرَا

فَلَمْ يَقْضِهَا الْمِقْدَارُ إِلاّ لَسَيِّدٍ ... هو الْمِلَّةُ السَّمْحَا ؛ وما قَارَبَ الْعُشْرَا

يَمِيلُ عَلَى أَهْوَا الضَّلاَلِ ؛ وإِنَّهُ ... ضَئِيلٌ يَرَى عَقْلاً عِبَادَتَهُمْ أَمْرَا

وَقَدْ جَاءَ لِلْهَادِي الأَمِينِ مُخَبِّرًا ... بَذَاكَ مِنَ الْمَوْلَى الْعَلِيِّ ؛ وَمَاوَرَّى

فَيَاحَبَّذَا أَصْلاً كَمَالٍ تَوَاصَلاَ ... بِدَوْحِ مَعَالٍ جَمَّعَ النُّورَ والنَّوْرَا

فَلاَ شَرَفٌ إِلاّ مِنَ النَّبْعَةِ الَّتِي ... تَأَصَّلَ أَصْلاهَا ؛ فطابت بِهَا الْغَبْرَا

وَلاَسِتُّ إِلاّ بِنْتُ ؛ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ... وَمَنْ - يَا أَخَا - كَالسِّتِّ فَاطِمَةَ الزَّهْرَا

عَرِيقَةَ مجدٍ عَنْ فَخَارٍ مُؤَثَّلٍ ... وَرَبَّةَ شَأْنٍ عَنْ كَمَالٍ فَشَا ذِكْرَا

فَأَمَّا أَبُوهَا، فَالفَخَارُ لَهُ آنْتَهَى ... وَدُونَ فَخَارِ الأُمِّ مَنْزِلَةُ الشِّعْرَى[1]

تَنَاهَى عُلاَهَا حِينَ قَدَّرَها القَضَا ... لِبَعْلٍ عَلِيِّ الْقَدْرِ ؛ زَادَ بِهَا قَدْرَا

وَلِمْ لاَ تَفُوقُ الْغِيدَ فَخْرًا ؛ وإِنَّهَا ... سَلِيلَةُ طَهَ ؛ والْمُعَظَّمَةُ الْكُبْرَى

كَرِيمَةُ خَيْرِ الأَصْفِيَا الْغَادَةُ الَّتِي ... أَتَاهَا مِنَ اللهِ السَّلاَمُ مَعَ الْبُشْرَى

حَلِيلَةُ مَوْلاَنَا الْعَزِيزِ وَكَهْفِنَا ... إِذَا مَاضَرى دَهْرٌ أَسَا أَوْ نَوَى ضرًّا

(1) الشّعرى : كوكب يطلع في الجوزاء.

خَـديجةُ أُمُّ الْمُـؤْمِنينَ أَجَـلُّ مَنْ أَقَلَّتْـهُ غَبْـرَا ؛ أَوْ تَبَـاهَتْ بِهِ خضْرَا

* * * * *

فَيَا عَالِمَ النَّجْوَى ؛ وإِنْ خَفِيَ الـدُّعَا وَيَا سَامِعَ الشَّكْوَى لِمَنْ لَمْ يَجِدْ صَبْرَا
سَـأَلْنَاكَ بِالْهَـادِي الْحَبِيبِ ؛ وَبِنْتِـهِ وَزَوْجِهِ أَتْقَى غيد أَهْلِ الـدُّنى طُـرًّا
وَجَـاهِ أَبِي بَكْـرٍ ؛ وَفَـارُوقِنَا الـرِّضَا وَعُثْمَانَ كَافِي الْجَيْشِ فِي زَمَنِ الْعُسْرَى
وَجَـاهِ عَلِـيٍّ مَنْ أَنَلْتَـهُ عَـنْ عُلَـى حِمَى دَوْحَةِ الزَّهْرَاءِ فَاقْتَطَفَ الزَّهْرَا
وَبِالسِّتَّـةِ الْبَـاقِينَ مِنْ عِتْـرَةِ الْهُـدَى ذَوِي الفَوْزِ دُنْيَا ؛ والسَّعَادَةِ فِي الأُخْرَى
وَبِالسَّادَةِ الأَنْصَارِ مَنْ نَصَرُوا حِمَى جَنَابِ الْهُدَى لَمَّا مَنَحْتَهُمُ النَّصْرَا
كَذَاكَ سُـرَاةُ هَـاجَرُوا عَنْ دِيَـارِهِمْ وَوَالَـوْا لِمَا تَرْضَـاهُ أَوْطَانُهُمْ هَجْرَا
وَجَـاهِ الْحُمَيـرَا، حَفْصَـةَ، أُمِّ حَبِيبَـةٍ بِمَيْمُونَةَ[1] مَعْ زَيْنَبٍ، سُـودَةَ الْغَـرَّا
جُـوَيْرِيَةَ، هِنْـدٍ، بِقَـدْرِ صَفِيَّـةٍ بِحُرْمَةِ آلِ الْبَيْتِ مَنْ قَدْ زَكَوْا طُهْرَا
أَزِلْ يَـا إِلَهِـي عُسْـرَنَا ؛ وَتَـوَلَّنَا بِصَيِّبِ عَفْوٍ يَمْحَقُ الذَّنْبَ وَالوِزْرَا
وَصَـلِّ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى كُـلَّ سَـاعَةٍ صَـلاَةً ؛ وَلاَ أَبْغِي لَهَا مَوْئِلِي حَصْرَا
وَلِلآلِ والأَصْحَـابِ حِـزْبِ نَبِيِّنَـا سَـلاَمٌ لَـهُ عَـرْفٌ كَعَـرْفِهِمُ نَشْـرَا

(1) عرّفنا بزوجات النّبي بصفحة 93 و 94.

28 - شَنِّفْ بِمَدْحِهِ الأَسْمَاعَ

ولَهُ أيْضًا رَحِمَهُ اللهُ :

[الطويل]

أَتَى لِلْهُدَى أَحْوَى، حَوَى الشّرَفَ الأَوْفَى ... فَتَمَّ بِهِ الدّينُ الْحَنِيفِيُّ مُسْتَوْفَى

وَجَاءَ بَشِيرًا ؛ وَهْوَ بُشْرَى آبْنِ مَرْيَم ... وَدَاعِي هُدًى وَهْوَ دعْوَةُ مَنْ وفّى

خُلاَصَةُ هَذَا الْكَوْنِ ؛ إنْسَانُ عَيْنِهِ ... وَرُوحُ وَجُودِ الْعَالَم، الصَّفوةُ الأَصْفَى

تَرُوقُ لَيَالِينَا بِذِكْرِ مَدِيحِهِ ... وَيُشْفَى بِهَا مُضْنَى السّقام وإن أَشْفَى[1]

5 فشَنِّفْ[2] بِهِ الأَسْمَاعَ ؛ يَا خَيْرَ سَاجِعٍ ... فإنّهُ فِي آذَانِ سَامعه شَنْفَا

وَحَدِّثْ - حَمَاكَ اللهُ - عَنْ يَوْمِ وَضْعِهِ ... وَقَدْ ضَوَّعَتْ بِالبَيْتِ نُكْهَتُهُ عَرْفَا

فَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِغُرَّةِ طَلْعَةٍ ... لِوَجْهِ يَفُوقُ النَّيِّرَيْنِ[3] قَدِ آرْتَفَّا[4]

وَأَقْبَلَ مُلْتَفًّا بِنُورِ جَمَالِهِ ... وَلاَ غَرْوَ أَنْ وَافَى بِنُورِهِ مُلْتَفَّا

وَلاَ تَنْسَ مَا قَدْ كَانَ عِنْدَ رَضَاعِهِ ... فَإِنَّ بِهِ مَابِي ؛ ومَا بِكَ يُسْتَشْفَى

10 أَلَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ نُعمى حَلِيمَةٍ[5] ... وَمَا شَاهَدَتْهُ مِنْ أَتَانَتِهَا الْعَجْفَا

---

(1) أي وإن آمتنع شفاؤه، أو أشفى على الموت.

(2) شنّف الأسماع : زيّنها ومتّعها.

(3) النيّران : الشمس والقمر.

(4) ارتف : تلألأ وأشرق،

(5) هي حليمة بنت أبي ذُؤيب السّعديّة ؛ وأسلم زوجها أبو كبشة ؛ وهو الذي كانت قريش تنسب له الرّسول ﷺ فيقولون في آستهزاء سافر : هذا ابن أبي كبشة يُكلّم من السّماء ولقد كثر الخير والبركة مدّة وجوده في بيتها.

وَلَمْ يَبْـغِ لِلإِنْصَـافِ حَـالَ رَضَاعِهِ سِوَى أَحَدِ الثَّدْيَيْنِ دَأْبًا وَلَوْ أَغْفَى[1]

لِعِلْمِـــهِ أَنَّ النِّصْـــفَ مِنْهُ لِصِنْـــوِهِ وَحَقُّهُ مَعْهُ النِّصْفُ فَاسْتَعْمَلَ النِّصْفَا

رَضَاعٌ بِهِ السَّعْدِيَّةُ اكْتَسَبَتْ إِفَا[2] حَوَافِلَ[3] ضَرْعٍ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ يُلْفَى

وَمَا قَلَّ رِسْـلٌ[4] مُنْـذُ حَلَّ بِبَيْتِهَـا وَلاَ زَالَ عَنْ قَعْبٍ[5] شِتَاءَهُ وَالصَّيْفَا

وَكَيْـفَ يَقِـلُّ الـرِّسْلُ عَنْهَا وَكَسْـرُهَا بِهِ خَيْرُ يُمْنٍ يَمْلَأُ الضَّرْعَ ؛ وَالْجَوْفَا

عَـزِيزٌ عَلَى مَـوْلاَهُ لَـمْ يَـدْرِ قَـدْرَهُ سِـوَاهُ بِإِجْمَـاعِ الثِّقَـاتِ ؛ وَلاَ جِحْفَـا

وَحِينَ أَتَى أُمَّ الْقُرَى اكْتَسَبَتْ ثَرَا وَجَاءَتْ ؛ وَكَانَتْ قَبْلُ مُمْحِلَةً حَيْفَا

وَوَافَـى إِلَـى الْبَطْحَـاءِ سَـاهِرُ بَـارِقٍ يُشِيرُ لِمَا ضَمَّتْ سَحَابَتُـهُ الْوَطْفَا[6]

وَجَـادَ الْحَيَا عَنْهَا بِهِ عِنْـدَمَا غَـدَا مَعَ الْجَدِّ يَسْتَسْقِي لِذَا قَالَ مَنْ قَفَّى:[7]

«وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ»[8] نَعَمْ ؛ وَبِهِ يُجْلَى الأَذَى وَالأَسَى كَشْفَا

* * * * *

فَيَا عَالِمَ النَّجْـوَى ؛ وَإِنْ خَفِيَ الدُّعَـا وَيَا مُجْزِلَ النُّعْمَى ؛ وَيَا وَاهِبَ الزُّلْفَى

سَـأَلْنَاكَ بِالأَسْمَـى الْحَبِيبِ نَبِيِّنَـا مُحَمَّـدٍ الْهَـادِي الَّـذِي بِـهِ يُسْتَشْفَى

تَفَضَّـلْ عَلَيْنَـا بِالـرِّعَايَةِ والـرِّضَا وَكُنْ كَافِيًا مِنْ كُلِّ مَا سَاءَكَيْ نُكْفَى

---

(1) المقصود أنّ الرضيع لا يرغب في ثدي آخر غير ثدي حليمة ؛ ويرفض ما لغيرها حتّى ولو كان في غفوة أي في نوم خفيف، أو يترك الثدي الآخر لابن حليمة.

(2) إفَا : قصر للضّرورة وهو المال وغيره.

(3) يَقصد أنّ حيوانات حليمة كانت عجفاء لا لحم فيها ولا لبن فلمّا حلّ الطّاهر المطهّر أصبحت حوافل بالألبان ؛ والضّرع مَدرُّ اللّبن للشاة والبقرة، كالثدي للمرأة.

(4) الرِّسْل : الرّخاء والخصب، واللّبن لأنّه يكثر في حال الرّخاء.

(5) القعب : القدح الضخم. أي أنّ الرّسل لم يزل عن القعب في فصلي الشتاء والصّيف.

(6) وطف يَوْطِفُ وطفًا المطر انهمر. ويقال في السحابة وطف إذا تدلّت ذيولها وسحاب أَوْطَفُ : دان من الأرض وقد سُكّنت الطاء للضرورة.

(7) قفّى : قال كلاما مُقفّى، وصدر البيت مقتبس من قصيدة أخرى ؛ والأصل مأخوذ من نصّ الصّلاة الكاملة : (.. وتنال به الرّغائب، وحسن الخواتم ؛ ويُستسقى الغمام بوجهه الكريم...)

(8) والعجز : «ثمال اليتامى، عصمة للأرامل» والبيت لأبي طالب، عمّ النبيّ ﷺ ؛ سئل عنه فقال هذا البيت (أعلام النبوّة للماوردي)، ص 77، وشرح ابن أبي حديد، ج 3، ص 316.

وَجُدْ يَا جَمِيلَ الْعَفْوِ عَنَّا بِنِعْمَةٍ وَهَاطِلِ نَيْلٍ مِنْكَ يَسْتَصْحِبَا[1] لُطْفَا

وَلاَ تَبْلُنَا يَا رَبَّنَا لِمَحَالِنَا بِمَحْلٍ دَهَى عَظْمَ الضَّلِيعَةِ[2] وَالْعَجْفَا[3]

وَكَفِّرْ خَطَايَانَا بِوَابِلِ رَحْمَةٍ وَصَيِّبِ إِحْسَانٍ يَعُمُّ الْوَرَى عَطْفَا

وَرَوِّحْ غَدًا أَرْوَاحَنَا فِي مَنَازِلٍ بِهَا الرَّوْحُ ؛ وَالرَّيْحَانُ، وَالْغَادَةُ الْهَيْفَا

فَإِنَّكَ مَوْلاَنَا بِذَاكَ وَعَدْتَنَا وَإِنَّكَ يَا مَنَّانُ أَكْرَمُ مَنْ وَفَى

وَصَلِّ عَلَى مَنْ نَوَّرَ الْكَوْنَ هَدْيُهُ وَأَجْلَى ضَلاَلاً جَمَّعَ الْحَيْفَ وَالْوَحْفَا[4]

كَذَا آلِهِ الْغُرِّ الْكِرَامِ ؛ وَصَحْبِهِ أَجَلِّ فَرِيقٍ أَحْرَزَ الْفَضْلَ مُسْتَوْفَى

---

(1) مضارع مجزوم بحذف النون لوقوعه جواب فعل الأمر جُد.

(2) الضليعة : الشديدة الأضلاع.

(3) والعجفاء ضدّها وهي الهزيلة النحيلة.

(4) الوحف : النبات الريّان ؛ وهنا الضرب بالعصا.

29 - سِيرةٌ نبويَّةٌ عَبِقَة

ولَهُ أيْضًا رَحِمَهُ اللهُ :

[الكامل]

جَلَّتْ مَكَانَتُهُ ؛ وَأَحْرَزَ سُولاَ ... فَاعتَزَّ مَوْلُودًا ؛ وَسَادَ رَسُولاَ

وَحَوَى مِنَ الْمَجْدِ المُؤَثَّلِ غَايَةً ... لَمْ تَسْتَطِلْهَا الْوَاصِلُونَ وُصُولاَ

مَجْدًا تَأَثَّلَ مِنْ أَعَالِي دَوْحَةٍ ... طَابَتْ فُرُوعًا أَيْنَعَتْ وَأُصُولاَ

فَرْعًا زَكِيًّا قَدْ نَمَا مِنْ هَاشِمٍ ... مُتَفَرِّعًا مِنْ أَصْلِ إِسْمَاعِيلاَ

حَتَّى بَدَا مِنْ نُورِهَا قَمَرُ الْهُدَى ... لَمَّا أَتَانَا هَادِيًا وَدَلِيلاً

نُورٌ تَجَلَّى لِلدُّنَى لِيُنِيرَهَا ... وَيُزِيلَ عَنْهَا بِالْهُدَى التَّضْلِيلاَ

وَجْهٌ مُنِيرٌ يَسْتَنِيرُ بِهِ الدُّجَى ... إِنْ غَابَ بَدْرُ التَّمِّ عَنْهُ أُفُولاَ

نُورًا تَصَوَّرَ صُورَةً إِنْسِيَّةً ... وَبَدَا صَبِيحًا أَيْمَنًا مَكْحُولاَ

تَحْكِيكَ نُكْهَةُ عَرْفِهِ إِنْ شِمْتَهُ ... وَرْدًا تُفَتِّحُهُ الصَّبَا مَطْلُولاَ[1]

سَعِدَتْ بِيُمْنِ سُعُودِهِ سَعْدِيَّةٌ ... أَمَّتْ مَسِيرًا نَحْوَهُ وَرَحِيلاَ[2]

وَافَتْ إِلَيْهِ ؛ وَقَدْ أَلَمَّ بِحَيِّهَا ... مَحْلٌ دَهَى الأَحْيَاءَ وَطَالَ مَحِيلاَ[3]

حَتَّى إِذَا مَا أَبْصَرَتْهُ رَأَتْ سَنًا ... وَجْهًا تَهَلَّلَ كَالهِلاَلِ جَمِيلاَ

---

(1) العَرْفُ بفتح العين : الرّائحة مطلقا وأكثر استعماله في الطّيّبة، يقال : ما أطيب عَرْفَهُ أي رائحته، والورد المطلول : ما وقع عليه الطلّ أي النّدى.

(2) إشارة إلى مرضعته حليمة السّعديّة وتكنّى أمّ كبش، قدمت تلتمس رضيعا في سنة شديدة القحط.

(3) في سنة مجدبة قدمت حليمة لتلتمس رضيعا فكان من نصيبها محمّد عليه السلام.

سُـرَّتْ بِـهِ ؛ وَهْـوَ الْمُنَى ؛ ثُمَّ آنْثَنَتْ جَـذْلَى تَجُـرُّ مِنَ السُّـرُورِ ذُيُـولاَ
وَأَتَتْ بِـهِ لِلْحَـيِّ ؛ يقـدمُهُ الْحَيَـا وَالخَيْـرُ يُفْعِـمُ هَـاطِلاً وَمسيـلاَ
وَافَـتْ إِلَيْـهِ تُقِلُّهَـا عَجْفَـا وَنَـتْ فِي السَّيْـرِ لَمْ تَسْطِعْ تجرُّه ميلاَ[1]
أَوْدَى بِهَا وَضْعُ الحُلاَسِ[2] وَحَمْلُهُ ضعْفًـا ؛ وَلاَ رَحْلٌ يَسُوءُ هَـزِيلاَ
ثُمَّ آنْثَنَتْ ؛ وَالرَّحْلُ مَشْدُودُ الْعُـرَى وَلَقَـدْ غَـدَا مَوْضُـوعُهَا مَحْمُـولاَ
لِمَ لاَ ؟ وَقَـدْ وَلَّـتْ بِطَلْعَـةِ أَيْمَـنٍ قَـدْ أَوْدَعَ اللهُ آسْمَـهُ الإِنْجِيـلاَ
لِـمَ لاَ ؟ وَإِنَّـهُ خَيْـرُ مَـوْلُودٍ عَـلاَ وَآعْتَـزَّ أَشْيَـاعًا ؛ وَطَـابَ قَبِيـلاَ
هَـادٍ بَـرَاهُ اللهُ بِـرًّا شَـافِيًا يَبْـرِي الْبَـرِيئَةَ عَـائِلاً ؛ وَعَلِيـلاَ
وَهْوَ الَّذِي أَسْـرَى بِهِ الْمَوْلَى دُجًى لِلْمُنْتَهَـى مُسْتَصْحِبًـا جِبْـرِيلاَ
شَرُفَتْ بِهِ بَطْحَا الْمُحَصَّبِ[3] مَوْلِدًا وَبِقَـاعُ طَيْبَـةَ ؛ وَالبَقِيـعُ نُـزُولاَ
وَلَحَبَّـذَا تِلْـكَ الْمَنَـازِلُ إِذْ بِهَـا جَـاءَ الْهُـدَى مِنْ رَبِّنَـا تَنْـزِيلاَ
مَنْ لِـي بِهَـا قَبْلَ الْمَنَا وهي الْمُنَى وَأَنَـالُ مِـنْ أَعْتَـابِهَا تَقْبِيـلاَ
فَلَئِـنْ نَـأَيْتُ عَنِ الْمَـرَامِ، وَصَـدَّنِي دَهْـرًا أَبَـادَ حمُـولَةً وَحُمُـولاَ
فَلِنَفْسِ رَاجِي فَضْلَ مَنْ ضَمَّتْ رَجَا لا زَالَ يَـرْجُو فَضْلَـهُ الْمَـأْمُولاَ
تَبْغِـي زَمَـانًا مُهْجَتِـي أَمْدَاحَـهُ كَيْمَـا تُـلاَقِي مَـأْمَلاً ؛ وَقَبُـولاَ
وَمجَـالُ هَـذَا لاَ يَجُـوله مَنْ غَـدَا مِثْلِـي ؛ وَلاَ طَـوْلٌ لَـهُ لِيَجُـولاَ

* * * * *

وَإِذَا أَقُـولُ رَأَيْـتُ بَـاعِي لَمْ يَجِـدْ وَأَرَى اليَـرَاعَ كَشَباتي مفْلُـولا (؟)
مَنْ ذَا يُـوَفِّي مَـدْحَ مِفْضَالٍ سَمَـا أَثْنَـى عَلَيْـهِ إِلَهُنَـا تَفْضِيـلاَ

(1) خرجت على أتان قَمْرَاءَ أي في لونها بياض، ما تبضُّ أي ما ترشح بقطرة من لبن ولما عادت به قالت حليمة : والله لقطعت بالرّكب ما لا يقدر عليه شيء من حُمُرهم حتّى أن صواحبي ليقلن لي : يا آبنة أبي ذؤيب ؛ ويحك اربعي علينا أي اعطفي علَينا بالرفق وعدم الشدّة في السّفر ؛ أليست هذه أتانك التي خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله، إنّها لهي... الخ.

(2) الحَلَسُ والحِلسُ : كلّ ما يوضع على ظهر الدابة تحت السّرج أو الرّحل. وأحلاس الخيل : الملازمون ركوبها.

(3) المحصّب : شِعْبٌ يخرج إلى الأبطح.

وَأَتى الْكِتَابُ بِـذِكْرِ مَدْحِـهِ مُعْلِنًـا ... وَمُفَصِّـلاً أَنْبَـاءَهُ تَفْصِيـلاَ

أَعْلَى بني الْعَلْيَا مُحَمَّـدٌ خَيْـرُ مَـنْ ... عَبَـدَ الإِلَـهَ مُـوَاصِلاً مَـوْصُولاَ

فَبِجَـاهِهِ يَـارَبِّ كُـنْ لِجَمِيعِنَـا ... غَـوثا مُعِينـا حالـةً وحلـولا

وَتَولَّنَا طُـولَ الْحَيَـاةِ ؛ وَكُـنْ لَنَـا ... فِي كُـلِّ وَقْـتٍ كَـافِيًا ؛ وَكَفِيـلاَ

35 وَآمْنُنْ عَلَيْنَـا بِالـرِّضَا كَيْ يُمْتَحَى ... مَا كَـانَ مِنَّـا شِيبَـةً وضَئِيـلا[1]

وَآغْمُرْ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَـةٍ ... تَنْهَـلُّ نُعْمَـى بُكْـرَةً وَأَصِيـلاَ

وَتَعُـمُّ آبَـاءً وأَبْنَـاءً بِهَـا ... نَلْقَى ظِـلاَلاً فِي النَّعِيمِ ظَلِيـلاَ

وَآسْمَحْ بِخَصْبٍ لِلْبَـرِيئَةِ ؛ وَالبَـرا ... يُحْيِـي عِجَـافًا لَمْ تَجِـدْ مَـأْكُولاَ

39 سِيئَتْ بِمَحْـلٍ لَمْ يَدَعْ فِي سَرْحِهَا ... عِجْـلاً ضَلِيعًـا يُشْتَهَـى وَفَصِيـلاَ

حَـاشَاكَ أَنْ نَبْلَـى بِجُـوعٍ أَوْ ظَمَـا ... وَنَـوَالُ فَضْلِكَ لَنْ يَـزَالَ هَطُولاَ

حَـاشَاكَ أَنْ نَخْشَـى لَظًـى لِذنُـوبِنا ... وَنَـرَى بِهَـا الْمُسْتَحْـوِذَ الضِّلِّيـلاَ

حَاشَاكَ أَنْ يَخْشَى الرَّدَى وأَذى المَدَى ... مَـنْ أَمَّ بَـابَكَ ؛ والْتَجَى تَـأْمِيلاَ[2]

فَلَنَـا اعْتِصَـامٌ بِالَّـذِي أَهَّلْتَـهُ ... مِـنْ قَبـلِ آدم لِلْهُـدَى تَـأْهِيلاَ

وَعَلَيْـهِ مِنْـكَ صَـلاةُ وِدٍّ لَمْ يَـزَلْ ... مَعَهَـا السَّـلاَمُ مُوَاصِلاً مَشْمُـولاَ

45 وَكَـذَلِكَ الآلُ الكِـرَامِ وصَحْبِـهِ ... مَـادَامَ سِتْرُكَ مُسْبَـلاً مَسْـدُولاَ

---

(1) الضّئيل : الصّغير ؛ والمعنى أنّ الشاعر يرجو الله أن يمُنّ عليه بالرّضا كي تمحى ذنوبه ما كان منها في شيخوخته وفي صغره.

(2) المعنى أنّ الشاعر ينزّه الله تعالى عن عدم إجابة دعاء من يقف ببابه داعيا الله أن يصرف الرّدى وإذاية الزّمان عنه مؤمّلا قبول طلباته.

30 - طَابَ المُنَى

ولَهُ أيْضًا تغمَّدَه اللهُ في رَحْمَتِه :

[الكامل]

طَابَ الْمُنَى وَالأُنْسُ أُنْسِي مُنْشِدِي ... فَأدِرْ لَنَا أَكْوَابَ أُنْسِكَ وآنْشُدِ[1]

مُتَرَنِّمًا بِحَدِيثِ أَهْلِ مَوَدَّتِي ... فَهُمُ الأُلَى تُشْفَى بِهِمْ عِلَلُ الصَّدِي

[وَ]آنْعِشْ بِهِ الأَرْوَاحَ فَهْيَ لهَا مُنًى ... وَأَعِدْ ؛ وَقُلْ ؛ وآسْجَعْ ؛ وَزِدْ، ورَدِّدِ

مُتَأَوِّدًا[2] ؛ وَلَنِعْمَ ذِكْرُ أَحِبَّتِي ... يَا مُنْيَتِي بِتَرَنُّمِ الْمُتَأَوِّدِ

فَلِذِكْرِهِمْ ؛ وَمَدِيحُهُمْ ؛ وَأَحِبَّتِي ... عَذْبٌ يَلَذُّ لِسَامِعٍ ؛ وَمُرَدِّدِ

أَوَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ ذَا شَهْرُ الْمُنَى ... وَرَبِيعُ أَنْفُسِنَا رَبِيعُ الْمَوْلِدِ

شَهْرٌ لَهُ فَضْلٌ بِمَوْلِدِ أَحْمَدٍ ... وَكَفَى عُلًى لِذَوِي الفَخَارِ بِأَحْمَدِ

نَجْمُ الْهُدَى ؛ بَدْرُ الْهِدَايَةِ ؛ نُورُهَا ... شَمْسُ السَّعَادَةِ خَيْرُ دَاعٍ مُسْعِدِ

هَادٍ بَرَاهُ اللهُ نُورًا لِلْهُدَى ... وَلِكَيْ يُنِيرَ بِهِ ضِيَاءُ الْفَرْقَدِ

وَأَحَلَّهُ فِي صُلْبِ آدَمَ كَيْ يَجِي ... بَشَرًا ؛ فَيَدْعُونَا إِلَيْهِ فَنَهْتَدِي

جَلَّتْ بِهِ النُّعْمَى عَلَى أَهْلِ الدُّنَى ... إِذْ كَانَ مِنْهُ كَوْنُهَا ؛ وَلَهُ بَدِي

إِنَّا عَجِبْنَا مِنْ ضَلَالَةِ مَعْشَرٍ ... لَمْ يَهْتَدُوا مَعَ نُورِهِ الْمُتَوَقِّدِ

وَلَقَدْ رَأَوْا مَا شَاهَدُوا مِنْ كُلِّ مَا ... كَفَّ الأَذَى ؛ وَكَفَاهُ رَاحَةُ مُعْتَدِي

---

(1) استعمال ثلاثي، نَشَدَ بمعنى الإنشاد فيه تجاوز لأنّ نشد معناه طلب ضالته ؛ امّا الاستعمال الدّقيق للترنم فهو أَنْشَد ؛ والأمرُ منه أَنْشِدْ ؛ ومع العطف ؛ وأَنْشِد.

(2) متأوّد : غير مسرع.

كَمْ مِنْ بَغِيٍّ[1] رَامَهُ بِيَدٍ آعْتَدَا لِتَنَصُّرٍ أَضْرَى بِهِ وَتَهَوُّدِ
فَكَفَاهُ مَوْلاَنَا وَكَفَّ بِهِ الْعِدَا عَنْهُ بِمَا شُلَّتْ بِهِ كَفُّ الْيَدِ
وَلَكَمْ بِهِ نَالَ الْمُنَى مِنْ آمِلٍ وَلَكَمْ بِهِ نَالَ الْهُدَى مِنْ مُقْتَدِ
لله سَبْقُ سَعِيدَةٍ مَيْمُونَةٍ مجدودة[2] مَالَتْ لَهُ بِتَوَدُّدِ
لَمَّا جَرَى الْمِقْدَارُ بِالْفَوْزِ الَّذِي أَمْسَتْ بِهِ، فِي السَّبْقِ أَسْبَقَ مُنْجِدِ
جَلَّتْ، وَعَزَّتْ عَنْ سُمُوِّ مَكَانَةٍ بَلَغَتْ بِهَا رُتَبَ الْعُلَى، والسُّؤْدَدِ
حَتَّى عَلاَ فَوقَ الْمَنَابِرِ، ذِكْرُهَا فِي كُلِّ جَمْعٍ لِلأَنَامِ ؛ وَمَشْهَدِ
وَلِفَضْلِهَا جَاءَ الأَمِينُ مُبَشِّرًا بِبِشَارَةٍ، بُشْرَى لآلِ مُحَمَّدِ
بَيْتٌ فَرِيدٌ مِنْ يَتِيمَةِ لُؤْلُؤٍ لِفَرِيدَةٍ فِي الْحُسْنِ غَادَةٍ مُفْرَدِ
مَحْمُودَةِ الأَخْلاَقِ كَامِلَةِ السَّنَا زَوْجِ الأَمِينِ الأَمْجَدِ آبْنِ الأَمْجَدِ
جمع العفافُ لها المكارم عَنْ يدٍ فِي الْفَضْلِ مَدَّتْهَا لأَكْرَمِ مُرْشِدِ
وَدَعِ الْجِدَالَ ؛ وَقُلْ لِجَاحِدِ فَضْلِهَا عَنْ شُؤْمِ جَهْلٍ ؛ أَوْ شَقَاوَةِ مُلْحِدِ :
لَمْ تُلْفَ أُنْثَى مِثْلُ زَوْجِ مُحَمَّدٍ شَرَفًا وَأَتْهِمْ ؛ إِنْ أَرَدْتَ ؛ وَأَنْجِدِ
قَسَمًا بِمَنْ سَوَّى جَمَالَ مُحَمَّدٍ وَجَلاَ الضَّلاَلَ بِنُورِهِ الْمُتَوَقِّدِ
لَمْ تَفْتَخِرْ أُنْثَى بِبَعْلٍ مَاجِدٍ مُذْ كَانَتِ الدُّنْيَا كَبَنْتِ خُوَيْلِدِ
عَنْهَا رِضَا الرَّحْمَانِ مَعْ رِضْوَانِهِ فَهْيَ الْخَلِيقَةُ بِالْجَمَالِ الأَحْمَدِ
أَكْرِمْ بِهَا مِنْ غَادَةٍ قُرَشِيَّةٍ مِنْ نَبْعَةٍ فِي دَوْحَةٍ لَمْ تُوجَدِ
مِنْ زَهْرِهَا الزُّهْرُ الَّتِي قَدْ زُوِّجَتْ فَوْقَ السَّمَا بِعُلاَ الْعَلِيِّ الأَصْعَدِ
وَكَفَاكَ بِالْحَسَنَيْنِ فَخْرًا شَامِخًا وَبَنِيهِمَا - وآقصِرْ - فَدَيْتُكَ أَوْزِدِ
فَبِجَاهِهِمْ يَا رَبَّنَا ؛ ولِجَاهِهِمْ جَاهٌ يُنَالُ بِهِ عَظِيمُ الْمَقْصَدِ

(1) يشير الشّاعر إلى المحاولات الدّنيئة التي كان يقوم بها بعض المشركين عندما أصبح التّبليغ جهرا، من ذلك ما قام به أبو جهل أشدّ أعداء الإسلام، إذ أخذ حجرا ليضرب به رأس النّبي وهو ساجد ؛ ولكنّه رجع منهزما ممتقعا لونه فسئل عن سبب بَوئه بالفشل فأجاب قائلا : لمّا دنوت منه تعرّض لي فحل من الإبل ما رأيت مثله قط همّ بي أن يأكلني. فلمّا ذُكر ذلك لرسول الله قال ﷺ : «ذاك جبريل ؛ ولوْ دَنا لأخذه».

(2) مجدودة : ذات جدّ.

جُدْ بالرِّضَا عَنَّا جَميعًا ؛ وَآكْفِنَا أَسْوَاءَ دُنْيَانَا، وَأَهْوالَ الْغَدِ
وَتَوَلَّنَا برعايةٍ تَحْمي الحمى مِنْ كَيْدِ أَعْدَاء وَجُرْأَة حُسَّدِ
وَتُنيلنَا مِنْ نَيْلِ فَضْلِكَ كُلَّ مَا نَرْجُوهُ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْمَوْعِدِ
وَآرْوِ الصَّدَى يَوْمَ الْوُرُودِ عَلَى ظَمَا بِالْوِرْدِ مِنْ حَوْضِ الشَّفِيعِ الأَسْعَدِ
وَعَلَيْهِ مِنْكَ صَلاَةُ ودٍّ عَدَّ مَا أَبْدَعْتَ فِي الأَلْوَانِ مِنْ مُتَعَدِّدِ
مَصْحُوبَةٌ بِشَذَى سَلاَم نَشْرُهُ يَشْذُو كنكْهَةِ عَرْفِهِ الْوَرْدُ النَّدِي
وَجَمِيعِ آلِهِ خَيْرِ آلٍ سَادَتِي وَكَذَا صَحابته سُراة المُقْتَدِي

31 - مُحَمَّدٌ المَحْمُودُ فِي الأَرْضِ والسَّمَاء

ولَهُ أيضا أَسْكَنَهُ اللهُ أعلَى الجِنَان، بِجاه سَيّد وَلَد عدْنَان :

[الطّويل]

صَلاَةٌ بِلاَ عَدٍّ ؛ وَأَسْنَى التَّحيّة ... مَدَى أَبَد الآبَاد في كُلِّ لَحْظَة
وَأَذْكَى سَلاَم فَتَّقَتْهُ كَرَامَةً ... مزَاجُهُمَا تَسْنِيمُ[1] أَزْكَى فَضيلَة
وَرِضْوَانُ رُحْمَىً كَالْعَبِير شَذَاهُ بَل ... كَنَشْر غَوَالِي تُرَب تُرْبة طَيْبَة
مِنَ الْمُحْسِنِ الْمفْضَال أَجْمَل مُنْعِم ... عَلَى خَيْر مَبْعُوث إِلَى خَيْر أُمَّة
أَجَلّ الْوَرَى الْمَبْعُوث مِنْ دَوْح هَاشِم ... وَنَبْعَة عَدْنَان[2] لَرَوْضَة مَكَّة
لِيُصْبِحَ دِينُ الْحَقِّ مِنْهَا مُفَرَّعًا ... بِكُلِّ حِمَى لِلْمُسْلِمِينَ ؛ وَبَلْدَة
مُحَمَّد الْمَحْمُود فِي الأَرْض ؛ والسَّمَا ... لِمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ خِصَال حَمِيدَة
جَمِيلٌ بَرَاهُ اللهُ مِنْ دُرَّة الْبَهَا ... بِأَجْمَل تَكْوِين ؛ وَأَبْدَعِ حِكْمَة
وَقَدَّرَ قَبْلَ الْخَلْق صُورَةَ ذَاته ... وَمَثَّلَهَا فِي الْعِلْم أَجْمَلَ صُورَة
وَكَوَّنَ مِنْهَا الكَوْنَ جَمْعًا بِقَوْل كُنْ ... عَلَى نَحْو مَا قَدْ كَانَ وفْقَ الْمَشِيئَة
وَصَوَّرَ مِنْهَا التُّرْبَ طِينَةَ آدَم ... أَبِ الإِنْس جَمْعًا قَبْلَ خَلْق الْخَلِيقَة
وما صُوِّرت إلاّ لأَجْل مُحَمَّد ... كَذَلِكَ كُلّ الكَوْن أَوَّل نشْأَة
وَكَانَ نَبِيئا[3] قَبْلَ تَكْوِينِ مَا بَدَا ... مِنَ الْكَوْنِ مَخْصُوصًا بِأَسْنَى الْعَطِيّة

(1) إشارة إلى الآية الكريمة : «ومزاجها من تسنيم» ؛ والتسنيم : الرفعة والعلّى.
(2) في الأصل ونبعة عَدّان.
(3) الأفصح أن يقال النَّبيُّ بدون هَمْزَة لأنَّ النّبيءَ هو الخارج من مكان إلى مكان وقد نادى أحد الأعْراب محمّدًا بقوله : يَا نَبيءَ الله، وهو يقصد المعنى اللغوي فأنكر النّبيُّ عليه الهَمْزَ وقال لَه : لا تَنْبرْ بِاسْمِي أي لا تَهْمِزْ، فإنّما أنا نَبيُّ الله.

وَأَنَّ لَـهُ فَضْـلاً ؛ وَسَبْـقَ عِنَـايَةٍ عَلَى إِنْسِ كُـلِّ الْعَـالَمِين وَجِنَّـةِ
15 كَـذَلِكَ أَمْـلاَكُ الإِلَـهِ بِأَسْـرِهِمْ وَهَذَا صَحِيـحٌ بِآتِّفَـاقِ الأَيِمَّـةِ
وَلَمْ لاَ ؟ وَلِمْ لاَ ؟ وَهْوَ وَهْوَ ؛ وَلاَ سِوَى وَإِنْ تَبْـغِ بُـرْهَانًا أَتَيْتُ بِحُجَّتِـي
وَحَاشَاكَ أَنْ تَبْغِي دَلِيلاً عَلَى ضِيَا مُنِيرِ قِصَى مُذْكَانَ صِبْغُ الدُّجَنَّةِ[1]
يَقُـولُونَ بَـدْرٌ ؛ قُلْت منه ضِيَـاؤُهُ وَقَالُوا ذُكَاءٌ ؛ قُلْت منه آسْتُمِدَّتِ[2]
عَلَى أَنَّـهُ لِلْخَلْـقِ أَعْظَـمُ نِعْمَـةٍ حَبَاهُمْ بِهَا الْمَوْلَى ؛ وَأَكْبَرُ مِنْحَةِ
20 فَلُـوذُوا بِهِ يَـا قَـوْمُ فَهْـوَ حِمَـاكُمُ وَحِصْنُكُمُ مِـنْ هَـوْلِ كُـلِّ بَلِيَّـةِ
وَإِنَّ لِكُـلٍّ بِالصَّـلاَةِ عَلَيْـهِ مَـا يَسُرُّ غَدًا، فَآسْعَوْا لِنَيْلِ الْمَسَرَّةِ
وَفُوهُوا جَمِيعًـا بِالصَّـلاَةِ عَلَيْـهِ فِي مَدَى كُـلِّ حِين فَهِيَ أَعْظَمُ نِعْمَـةِ
وَقَدْ جَاء أَنَّ الأَجْـرَ عِنْهَا مُضَاعَفٌ وَأَنَّـهُ وَقْفٌ سَـرْمَدًا لَـمْ يُشَتَّـتِ
وَمَا لِغَـرِيمٍ مِنْـهُ أَخْـذُ تَبِـاعَةٍ إِذَا لَمْ يُـوَفِّ الْغُـرْمَ مَا فِي الصَّحِيفَةِ
25 فَـدُومُوا عَلَيْهَـا مَا بَقِيتُـمْ وَإِنَّهَـا مَعَ الـوَقْفِ لِلأَسْـوَاءِ أَقْـوَى مُشَتِّتِ
وَلاَ تَقْنَطُـوا مِـنْ زَلَّـةٍ قَـدْ دَهَتْكُمُ فَرَحْمَةُ ذِي الإِحْسَانِ جَلَّتْ فَعَمَّتِ
وَمَا ذَنْبُنَـا فِي جَنْـبِ رَحْمَـةِ رَبِّنَـا وَغُفْـرَانِهِ إِلاَّ كَمِقْـدَارِ ذَرَّةِ
فَلاَ تَيْـأَسُوا مِنْ رَوْحِهَـا يَا أَحِبَّتِـي كَمَـا يَئِسَـتْ مِنْهَا نُفُـوسٌ فَضَلَّتِ
وَدَاوُوا كِـلاَمَ[3] السَّيِّئَـاتِ بِتَـوْبَةٍ فَمَرْهَمُهَا الْمَشْهُـورُ إِخْلاَصُ تَوْبَـةِ

* * * * *

30 فَيَـا عَالِمًا نَجْـوَى قُلُـوبٍ تَـوَجَّلَتْ وَيَا سَامِعًا شَكْوَى نُفُوسٍ تَشَكَّتِ
وَيَا كَـاشِفَ الْبَلْـوَى بِأَلْطَافٍ رَأْفَـةٍ مَتَى زَاحَمَتْ أَسْـوَاءَ نَفْسٍ تَسَلَّتِ
لَقَدْقُلْتَ:ادْعُونِي[4]أُجِبْكُمْوَأَكْشِفُالـ أَذَى وَالأَسَـى عَنْكُمْ بِأَلْطَـفِ مِنَّـةِ

(1) يقال دُجنَّة ودَجنَّة، ودجنّة الظلمة.
(2) ذُكاء : اسم علم للشّمس، وابن ذُكاء : الصّبح لأنّه من ضوئها.
(3) الكلام : الجروح.
(4) إشارة لطيفة للآية الكريمة : ادعوني أستجبْ لكم.

فَهَا أَنَا يَا مَوْلاَيَ بِالْبَابِ وَاقِفٌ ... مَدَى زَمَنٍ أَرْجُو إِجابَةَ دَعْوَتِي

بِأَسْرَارِ سرّ الذّات ؛ بِالذّات ؛ بِالعُلَى ... بِقَدْرِكَ ؛ بِالتّنْزِيه ؛ بِالأَحَدِيَّة

بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى ؛ بِأَعْظَمِهَا الَّذِي ... تُجِيب بِهَا الدّاعِي ؛ مُنِيلاً بِسُرْعَة

بِأَشْرَفِ كُلِّ الْخَلْقِ صَفْوَتِكَ الَّذِى ... وَعَدْتَهُ ؛ إِكْرَامًا بِأَعْظَمِ مِنْحَة

وَبِالأَصْفِيَا جَمْعًا نَبِيءٍ ومُرْسَلٍ ... وملْك كِرَام الْخَلْق أَهْلِ الْمَبَرَّة

وبالسّيّد الصّدّيق مَعْ عُمَرَ الرِّضَا ... بِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ زَوْجِ رُقيّة

بِحَيْدرة[1] الأَسْمَى عَلِيٍّ، بِزَوْجِه ... بِسِبْطَيه[2] بِالسِّتِّ الرِّضَا خَيْرِ زَوْجَة

خَدِيجَةَ مَنْ أَكْرَمْتَهَا بِتَحِيّة ... وَيَا حَبَّذَا مَنْ أُكْرِمَتْ بِتَحِيّة

بِزَيْنَبَ بِنْتِ المصطفى ؛ برُقيّة ... بِإِخْوَتِهَا أَهْلِ الصّفَا خَيْرِ صَفْوَة

بِعَائِشَة [3]؛ مَعْ حَفْصَة ؛ وبِسُودَة ... بِمَيْمُونَة الغَرَّا ؛ بِأُمِّ حَبِيبَة

بِزَيْنَبَ مَنْ قَدْ زُوِّجَتْ في السَّمَا كَذَا ... جُوَيْرِيَةٌ، هِنْدٌ ؛ بِجَاه صَفِيَّة

وَجَاه سَعِيد ؛ ثُمَّ سَعْد، بِعَامِرٍ ... بِقَدْرِ آبْنِ عَوْف ؛ بِالزُّبَيْرِ ؛ بِطَلْحَة

بِحَمزَةَ ؛ بِالْعَبَّاسِ عَمَّيْ نَبِيِّنَا ... بِسَادَاتِنَا الْكُلِّ الصِّحَابِ الأَجِلَّة

بِأَصْحَابِ بَدْرٍ ؛ مَنْ سَقَوْا مُهَجَ الْعِدَا ... كُؤوسَ الْمَنَايَا ؛ مِنْ دِنَانِ الأَسِنَّة

وَبِالسَّيِّدِ الأَسْمَى الهُمامِ الّذي سَمَا ... بِقَبْرِه قَدْرَ التُّرْبَةِ الْبَلَوِيَّة

أَبِي زَمْعَة[4] مَنْ شَاعَ أَنّ ضَرِيحَهُ ... بِه شَعَرُ المخْتَارِ ؛ خَيْرِ الْبَرِيَّة

وَأَنَّهُ جُزْءٌ طَاهِرٌ طَيِّبُ الثَّرَى ... بِه قَيْرَوَانُ الْغَرْبِ طَابَتْ كَطَيْبَة [5]

وَبِالتَّابِعِينَ الْمُقْتَفِينَ لِهَدْيِهِمْ ... كَذَا تابِعُوهُمْ مَعْ جَمِيعِ الأَيِمَّة

---

(1) حيدرة : من أسماء الأسد، وهو لقب الإمام علي كرّم الله وجهه، ومنه الحديث الشريف، قال ﷺ : «أنا مدينة العلم وحيدرة بابها».

(2) الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

(3) تقدّم التعريف بزوجات النّبيء بصفحة 70.

(4) أبو زمعة البلوي دفين القيروان والذي يُسَمَّى عِنْدَ أهلها بالسّيد الصّاحب وصاحب الجاه.

(5) طيبة : مدينة الرّسول عليه السّلام.

بِجَـاه الإمَـام الحبْـر مَـالك الرّضَـا بِأَصْحَـابِه الأَعْلاَم ؛ أَهْـل الْمَبَـرَّة
وَبالشَّـافعيِّ ؛ بالإمَـام آبْن حَنْبَـل بِقَـدْر إمَـامَيْ مَـذْهَب الْحَنفيّـة
وَبالسِّتَّـة الـرَّاوِينَ حَقًّـا أَصَحَّ مَا رَوَتْـهُ عَلَى التَّحْقيق أَهْلُ التَّثَبُّـت
وَحُرْمَـة مَـا قَـدْ وَضَّحُـوهُ رِوَايَـةً بِمُتَّصِل الإسْنَـاد عَنْ خَيْر عتْـرَة
55 وَجَاه الشِّفَا[10] الشَّافي الْقُلوبَ ،بِعَذْبِ مَا يُزِيل الضَّنَى عَنْ كُـلِّ نَفْس تَعَلَّت
وَبالْفَاضِل الأَتْقَى الْجُنَيْـد[2] ؛ وَحِزْبِه وَبالأَشْعَرِيِّ[3] الْمُنْتَحي خَيْرَ وِجْهَة
وبالجيلي[4] ؛ والشَاذُلِيِّ[5] ؛ وَكُلِّ مَنْ لَهُمْ طُـرُقٌ تَهْدي لنهْج الطَّريقَة
كَذَاكَ جَميعُ الصَّالحينَ الأُلَى غـدَوْا بِشَرْق ؛ وَغَرْب ؛ ثُمَّ جَوْف ؛ وقبْلَة
تَفَضَّـلْ عَلَيْنَـا يَـا إلَهي بتَـوْبَة نَنَالُ بِهَا الْحُسْنَى وَمَحْوَ الْخَطيّـة
60 وَكَفِّـرْ بِهَـا مَـوْلاَيَ عَنَّـا جَميـعَ مَا دَعَتْ لَهُ أَهْوَاءُ النُّفوس الْمُسيئَة
وَمُنَّ بِعُقْبَـى الـدّار ؛ والْغُـرَف الأُلَى لِمَنْ حَلَّ هَذَا الْقُطْر مِنْ عَهْد عُقْبَة[6]
وَشَيِّد لِمَنْ أَنْشَا بِذي المصْر مَسْجِدًا دَعَـائِمُهُ عَـنْ قُـوَّة مُسْتَمِـرَّة ؛
قُصُورًا بِأَعْلَى الْخُلْد تَحْوي مَقَـاصِرًا بِهَا قَاصِرَاتُ الطَّرْف[7] فَوْقَ الأَسِرَّة
وَمَـنْ لَهُـمُ جَمْـعٌ بِهِ مُنْـذُ وضْعِه إلَـى مُنْتَهَـى أَيَّـامِنَا الـدُّنْيَويَّة

---

(1) هو كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي.

(2) الجنيد : هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، شيخ مذهب التصوّف، كان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، وبالخزاز لأنه كان يعمل الخز. توفي سنة 297 هـ، له رسائل في التوحيد والألوهية والوعظ.

(3) الأشعري هو أبو الحسن علي بن اسحاق (260 هـ - 324 هـ)، له أكثر من 300 تأليف كان يردّ على الفلاسفة والفرق المختلفة، كان يدافع عن القرآن والحديث بالاعتماد على العقل. انظر كتابنا «مالك بن أنس وأئمة السنة» تونس 2007.

(4) الجيلي : هو عبد القادر الجيلاني، صاحب الطريقة القادرية في التصوّف (470 هـ - 561 هـ)

(5) أبو الحسن الشاذلي : (593 هـ - 656 هـ) صاحب الطريقة الشذلية.

(6) عقبة بن نافع : مؤسّس مدينة القيروان مع الصحابة الذين كانوا معه في فتح إفريقيّة سنة 50 هـ، توفي سنة 64 هـ، ولي إمارة إفريقيّة، وفتح بلدان المغرب العربي، انظر عنه كتاب «الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة» لمحمد أبوراس المعسكري بتحقيقنا، (ص 27 - 28 و49 - 53).

(7) إشارة لطيفة للآية القرآنيّة الكريمة : «فيهنَّ قاصراتُ الطَّرْف لَمْ يطْمثْهُنّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَان» (الرّحمان، الآية 56).

وَوَاصِلْ حِبًا أَرْوَاحَ أَعْلامِنَا الأُلَى ... لَنَا نَشَرُوا أَعْلاَمَ عِلْمٍ ؛ وحِكْمَةِ
وَكَانُوا مَدًى ؛ كَانُوا نُجُومَ هِدَايَةٍ ... يُزَالُ بِهِمْ إِظْلاَمُ جَهْلِ الْبَرِيئَةِ
وَصُنْ سَاحَةَ الإِسْلاَمِ ؛ وَاحْرُسْ جَنَابَهُ ... بِذِي عِزَّةٍ ؛ مَوْلَى لَهُ عِزُّ صَوْلَةِ
وَكُنْ حَافِظًا أَهْلِي ؛ وَجَمْعِي ؛ وَإِخْوَتِي ... وَحِزْبِي ؛ وَأَوْلاَدِي ؛ وَصَحْبِي ؛ وَعِتْرَتِي
وَأُمَّةَ خَيرِ الخَلْقِ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا ... يَرُوعُ بِبَلْوَى زَاحَمَتْ وَبَلِيَّةِ
وَمُنَّ عَلَيْنَا أَجمعِين بِكُلِّ مَا ... رَجَوْنَاهُ مِنْ نُعْمَى ؛ وَدَفْعِ مَضَرَّةِ
فَلَيْسَ لَنَا يَا رَبِّ حَوْلٌ ؛ وقُوَّةٌ ... عَلَى دَفْعِ أَسْوَاءٍ تَوَالَتْ بِقُوَّةِ
وَمُدَّ لَنَا مِنْ فَيْضِ خَيْرِكَ عَنْ رِضَا ... عَطَاءً جَزِيلاً بُكْرَةً مَعْ عَشِيَّةِ
وَوَاصِلْ جَمِيعَ الْوَالِدِين كَرَامَةً ... وَرَوْحًا يُرِيحَا رُوحَ حَيٍّ ؛ ومَيِّتِ
وَسَدِّدْ لَنَا الأَحْوَالَ ؛ وَاخْتِمْ لِجَمْعِنَا ... بِخَاتِمَةِ الْحُسْنَى أَوَانَ الْمَنِيَّةِ
وَنَعِّمْ غَدًا أَرْوَاحَنَا ؛ ونُفُوسَنَا ... بِجَنَّةِ عَدْنٍ فِي الْقُصُورِ الْعَلِيَّةِ
فَإِنَّكَ ؛ وَالْكُرْسِيِّ ؛ وَالْعَرْشِ ، ذُو الْعطَا ... تُفِيضُ عَلَى مَنْ شِئْتَ بَحْرَ الْعَطِيَّةِ
وَصَلِّ عَلَى مَنْ ضَمَّ ذَا الْجَمْعَ حُبُّهُ ... وَآلِهِ ؛ والأَصْحَابِ أَكْرَمِ صَفْوَةِ
صَلاَةً بِلاَ عَدٍّ كَمَا قَالَ مُنْشِدٌ ... صَلاَةً بِلا عَدٍّ ؛ وأَسْنَى التَّحِيَّةِ

32 - طِيبُ الثَّنَاءِ عَلَى مُحَمَّد ﷺ

ولَهُ أيضًا تَغَمَّدَهُ اللهُ فِي رَحْمَتِه :

[الوافر]

تَبَـدَّى مُشْـرِقًا إِذْ تَـمَّ حُسْنَـا ... كَبَـدْرِ التَّـمِّ ؛ بَلْ هـو منـه أَسْنَـى
وَزَادَ مَـعَ الْبَهـا والْحُسْـنِ هَـدْيًا ... فَتَـمَّ لَـهُ الْعُلَـى حِسًّـا وَمَعْنَـى
جَلِيـلٌ قَـدْ بَـراهُ اللهُ نُـورًا ... بِقُـدْرَتِه ؛ وَكَـوَّنَ مِنْـهُ كَـوْنَا
وَصَـوَّرَ مِنْـهُ آدَمَ ثُـمَّ حَـوَّا ... وَلَـولاَهُ لَمَـا كَـانَا ؛ وكُنَّـا
يَطِيبُ ثَنَـا آمْتِـدَاحه كُـلَّ وَقْـتٍ ... لِمَـا أَوْلاَهُ مَـنْ أَعْطَـى وَأَثْنَـى
فَسُـرَّ بِـذِكْرِه يَاخِلُّ نَفْسًـا ... وَشَنِّـفْ يَـا زَكِـيُّ بِذَاكَ أُذْنَـا
لَيَالِـي مَـوْلِدٍ قَـدْ طَـابَ بِآبْنٍ ... لَـهُ شَـرَفٌ عَلاَ أَصْـلاً وغُصْنَـا
تَفَـرَّعَ مِـنْ قُصَـيٍّ ؛ وهـو أَصْـلٌ ... لَـهُ إِذْ كَـانَ مِنْـهُ كَمَا آسْتَفَـدْنَا
هُـوَ الْمختـارُ صَفْـوةُ مَنْ بَـراهُ ... لِيُـرْشِدَنَا الْهُـدَى ؛ وَبِـهِ وصَلْنَـا
جَلِيـلُ الْقَـدْرِ أَحْمَـدُ خَيْـرُ هَـادٍ ... دَعَـانَا لِلْهُـدَى إِنْسًـا ؛ وجِنَّـا
تَعَاظَمَ وَصْفُ قَـدْرِه عَنْ مُجِيـدٍ ... فَكَيْـفَ بِـهِ لِمَنْ قَـدْ كَلَّ ذِهْنَـا ؟
فَقُـلْ للـواصفين، وإِنْ أَجَـادُوا : ... قِفُـوا لَنْ تَبْلُغُـوا فِي الوصف أَدْنَى !
حَبِيـبٌ قَـدْ رَقَـى حَتَّى تَـدَلَّى[1] ... «فكـانَ كَقاب قوْسين أَوَ آدْنَى[2]»

(1) إشارة إلى الآية الكريمة الواردة في سورة النجم «ثمّ دنا فَتَدَلَّى، فكانَ قَابَ قَوْسَيْن أَوْ أَدْنَى».
(2) أصلها أو أدنى بالقطع، فخفّفت للوزن.

دَعَـــا لله وَحْـــدَهُ بِاجْتِهَـــــاد عَلَى هَـدْيِ الْـوَرَى فَهَـدَى وَسَنَّـا
وَأَعْطَـــاهُ الإِلَـهُ مَـعَ الْمَـــزَايَا مَقَـــامًا لاَ يقُـومُهُ مَـنْ تَـــدَنَّى
لَقَـدْ وَعَـدَ الإِلَـه بِـذَاك فَضْـــلاً وَنِعْمَ ؛ وَحَبَّـذَا مَـا قَـدْ وَعَـــدْنَا
وإِنّ لَـهُ مَقَـــــامًا بَعْـدَ هَـــذَا يُبَـوِّؤنَا بِحَـــولِ اللهِ عَـــــدْنَا[1]
فَصَلُّـوا - قَـوْمَنَا - جَمْعًـا عَلَيْـهِ كَمَـا أَمَـرَ الإِلَـــهُ بِـذَاكَ إِذْنَـــا
وَزِيـــدُوا آلَـهُ، والصَّحْـبَ جَمْعًـا إِذَا صَلَّيْتُـمُ ؛ وَبِـــذَا أُمِـــرْنَا
وَلُـوذُوا أَجْمَعُـــونَ بِـهِ وقُـولُوا بِجَـــاهِ عُـلاَهُ مَـوْلاَنَا أَرِحْنَـــا
وَدَارِكْ جَمْعَنَـــا بِجَمِيـلِ لُطْـفٍ يَقِينَـــا كُـلَّ مَكْـــرُوهٍ يَضُـــرْنَا
وَسَـامِحْنَا عَلَـى مَا كَـانَ منَّـــا فَقَـــدْ آذَى بِنَـا مَـا كَـانَ منَّـــا
وَمُـنَّ عَلَى الْجَمِيعِ بِصَـوْبِ رُحْمَى تَعُـمُّ الْجَمْـعَ آبَـــاءً ؛ وَأَبْنَـــا
وَتَمْنَحُنَـــا الـــرِّضَا ؛ والْعَفْـــوَ عَنَّا جَمِيعًـــا ؛ وَالْخِتَـامَ لَنَـا بِحُسْنَـى

(1) أي جنّات عَدْن.

33 - رَجَوْتُ زَمَانِي أَنْ يَسُرَّ فأَبْكَانِي

ولَهُ أيضًا تَغَمَّدَهُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ :

[الطويل]

رَجَوْتُ زَمَانِي أَنْ يَسُرَّ فَأَبْكَانِي ... وَحَاوَلْتُهُ بُرْءَ الْكَلاَمِ فَأَضْنَانِي

وَلَمْ يَخْفَ صُنْعُ الْوَقْتِ لَكِنْ نسيتُهُ ... وَمَا سُمِّي الإنْسَانُ إلاَّ لِنسْيَانِ[1]

فَأَمَّلْتُ مِنْهُ الأَمْنَ مِمَّا يَرُوعُنِي ... وقُلْتُ عَسَاهُ أن يُراعي فَيَرْعَانِي

وإنّ الّذي أَمّلتُ ؛ والْحَالُ هَاته ... أَرَاهُ يَعِزُّ الآنَ حتّى لِوَسْنَانِ

وَأيُّ أَمَانٍ ؛ والتّفوس كَما ترى ... وَلاَتَ مَدَى أَمْنٍ يَنَالُهُ ذُو شَانِ

وَكَيْفَ مَنَامٌ بَيْنَ جُحْرَانِ أَسْود[2] ... وَمَكْمَنِ عفريتٍ ؛ وَمِرْقَدِ ثُعْبَانِ

لَقَدْ عِشْتُ أَعْوَامًا أَرانِي تيقّظًا ... وأَفْعَلُ مَا لاَ تَرتَضِي نَفْسُ يقْظَانِ

تَمِيلُ بِنَفْسِي تَا الدُّنَى، وتغُرّهَا ... غُرُورَ سَرابٍ حِينَ يبدو لِظَمْآنِ[3]

فَأَرْجُو بِهَا الأَوْطَارَ عَنْ طَمَعِ دَهَى ... نُفُوسَ رِجَالٍ غَرَّهُمْ حبُّ أَوْطَانِ

وَقَدْ شَاهَدَتْ مَا شَاهَدُوا مِنْ مَخَاوِفٍ ... يصدُّ عَلَى مَيٍّ بها عَزْمُ غَيْلاَنِ[4]

أَبَى الوقْتُ إلاَّ أَنْ يَكُونَ كَمَا تَرَى ... فَلاَ تَرْجُ أَنْ يُبْدِي سِوَاهُ الجديدَانِ[5]

---

(1) قالَ أحدهم : وما سمِّي الإنسان إلاّ لنَسْيه وَلاَ الْقَلْبُ الاّ لأنّه يتقلّبُ.

(2) الحيّة العظيمة السّوداء ؛ والمعنى أنّ المنام لا يتوفّر بين جحْرحيّة، ومكمن عفريت.

(3) إشارة إلى الآية الكريمة : «والذين كَفَرُوا أعْمَالُهم كَسَرابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظّمآن ماءً» سورة النور، الآية 39.

(4) هو غيلان بن عقبة يلقّب بذى الرّمّة، من شعراء العرب العشّاق، عشق ميّة وهي بنت طلبة بن قيس، انظر عنهما كتابنا : الشعراء العشاق، تونس 1994، ص 121-134.

(5) الجديدان : اللّيل والنهار أي لا جديد يأتي به اللّيل والنهار.

وَكَيْفَ سوَى ذَا ؛ والزّمَانُ أَبُوهُمَا وفعْلُهُمَا إنْ كُنْتَ لَمْ تَدْرِ سيَانِ
عَجِبْتُ لنَفْسِي تَشْتَكِي مِحَنَ الدُّنَى وَتَطْمَحُ عَنْ شَوْقٍ لزُخْرُفِهَا الْفَانِي
تَظَلُّ لِذَا سَكْرَى لِصَرْفِ صُرُوفِهَا وَقَدْ جُرِّعَتْ مِنْهَا بِعِدَّةِ كِيسَانِ[1]
عَلَى أَنَّ نَزْرًا مِنْهُ لَوْ مُزِجَتْ بِهِ حُمَيَّا دِنَانٍ لَنْ يُسَاغَ لِنَدْمَانِ
صُرُوف يُعِيدُ الأَرْيَ[2] صَبْرًا مَرِيرُهَا أُجَاجًا ؛ وَلاَ صَبْرًا تَرَاهُ لإِنْسَانِ
تُزِيل عَلَى مَنْ يَشْتَكِي نَشْوَةَ الطِّلاَ[3] وَتُلْقِيه سَكْرَانًا بِهَا غَيْرَ سَكْرَانِ
فَكَمْ قَدْ سَقَانِي الدَّهْرُ مِنْهُ زُجَاجَةً تَجَرَّعْتُهَا عَنْ حَالِ بُؤْسٍ وَأَشْجَانِ
إِذَا قُلْتُ يَكْفِي قَدْ ثَمِلْتُ يَزِيدُنِي وَيَمْلأُ لِي بِالرَّغْمِ أَكْبَرَ قَطْعَانِ
مَتَى تَشْتَكِي النَّفْسُ التَّجَرّعَ الْحهَا[4] وَلاَ يَنْفَعُ التَّعْنِيفُ مُهْجَةَ هَيْمَانِ
فَلَوْ سَاعَدَتْنِي قَبْلَ ضعْفِي ؛ وَلَمْ تَقُلْ أَخِلاَّيَ ؛ أَوْلاَدِي ؛ نَدَامَايَ، جِيرَانِي
لَفكّرت في مأوى يقي قبلَ أن أرى مِنَ الدّهْرِ مَا أَخْلَى الرُّبُوعَ وَوَهّانِي
لَكَ اللهُ نَفْسِي ؛ لا شِرَاعٌ ولا عُرَى وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ جِسْمٌ لِقَاعَانِي[5]
لَئِنْ كُنْتَ تَبْغِي أَنْ أَفِرَّ كطائِرٍ وَأَتْرُكَ أَفْرَاخِي ؛ فَأَيْنَ الجَنَاحَانِ ؟
فَضَجْرًا، وَلاَ يُجْدِيكَ نَفْعًا أَوِ اصْبِرَنْ فَكُلُّ الَّذِي لاَقَيْتُ كَانَ بِحِسْبَانِ
أَلاَ ضَعَنٌ يَشْفِي الْفُؤَادَ ؛ وَلاَ أَرَى حُصُولَهُ لِي إلاّ بِرَكْبٍ ؛ وإِضْعَانِ
فَلَوْ كَانَ مَا أَرْجُو ؛ وَمَنَّ بِنَيْلِهِ على رغم دهري وَالعِدا خيرُ[6] مَنَّانِ

* * * * *

شَدَدْتُ مَطَايَا السّيرِ يَحْدُو بِعَزْمِهَا خَفِيرٌ ؛ خَبِيرٌ ؛ لاَ كَلِيلٌ ؛ وَلاَ وَانِ
وَلاَ أَقْصِدَنْ إلاّ جَنَابَ أَعِزَّةٍ كِرَامٍ ؛ أَجِلاَّ ؛ أَهْلِ جودٍ ؛ وإِحْسَانِ

---

(1) كيسان ؛ هو تعبير عامي ؛ ضرورة القافية أوجبت ذلك.
(2) العسل.
(3) الطّلا ؛ الخمرة.
(4) فعل أمر من لَحَى، المعنى ؛ إذا آشتكت النّفس من تجرع مرارة المحن لُمْهَا وَالْحَهَا. والفعل هو لَحَى. أي فعل ما يُلْحَى ويُلام عليه.
(5) لَقَا ؛ أجري عليه اللقوة وهي داء يصيب الوجه، يعوّج منه الشدق إلى أحد جانبي العنق، والعاني ؛ المصاب بمشقة بسبب أمر.
(6) أصلها أفضل فعوّضناها بخير ليستقيم الوزن.

حمى المَنْزل الأَسْمى ؛ وتُرْبَةَ مَنْ سَمَا ... لأَوج السَّمَا حَتَّى تَلاقى بِرِضْوَانَ
أَجَلّ قُرَيْش ؛ بَلْ أَجَلّ ذَوي الْهُدَى ... وَأَشْرَف مَبْعُوث إِلَى الإِنْس ؛ وَالْجَان
سَلِيلُ سُرَاة الْمَجْد سَيِّدُنَا الرِّضَا ... مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ صَفْوَةُ عَدْنَان
نَبِيٌّ ؛ عَلِيٌّ ؛ شَرَّفَ اللهُ قَدْرَهُ ... وَأَيَّدَهُ مِنْهُ بِأَعْظَم بُرْهَان
رَسُولٌ دَعَا لله ؛ والشِّرْكُ مُعْلَنٌ ... فَأَخْمَدَهُ قَهْرًا بِأَوْضَح إِعْلاَن
عَلَى أَنَّ فِيهَا مَنْ أَشَدُّ قَسَاوَةً ... وَأَكْفَرُ مِنْ فِرْعَوْنَ مُوسَى بن عِمْرَان
وَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ الشَّقِيُّ أَضَرَّ مِن ... أَبِي جَهْلٍ الأَشْقَى، وكَانَا كَصِنوَانِ[1]
جَزَى اللهُ عَنَّا خَيْرَ دَاعٍ، هَدَى الْوَرَى ... ونَجَّاهُمُ مِنْ شَرِّ شِرْك ؛ وخُسْرَان
وَقَدْ عَزَّرَتْهُ[2] أَنْفُسٌ سَعِدَتْ بِه ... فَكَانَ لَهَا فِي طَالِعِ السَّعْدِ سَعْدَان
فَسَعْدُ مَدَى الدّنيا : أَمَانٌ وُسُؤْدَدٌ ... وَسَعْدُ مَدَى الأُخرَى : قُصُورٌ بِعَدْنَان
وَنَدَّتْ نُفُوسٌ قَدْ أَبَتْ لِضَلاَلِهَا ... قَبُولَ الْهُدَى والْحَقَّ مَيْلاً لِكُفْرَان
وَلَمْ يَدْعُهُمْ إِلاَّ لأَشْرَف مِلَّة ... وَأَيْمَن دِين فِيه أَمْنٌ بِإِيمَان
وَقَدْ شَاهَدُوا مَا شَاهَدُوا مِنْ دلاَئِلٍ ... تُجَلُّ عَلَى حُسْبَانِ غَيْرِي وحِسْبَانِي
وَظَلُّوا مَعَ النُّورِ المُبِينِ، وَمَا اهْتَدَوْا ... وَلَنْ تَهْتَدِي بِالنُّورِ أَعْيُنُ عِمْيَان
بُغَاةٌ أَتَوْا إِدًّا مِنَ الأَمْرِ عَنْ بَذَا ... فَمَا أَمْرُهُمْ إِلاَّ إِدَادٌ[3] بِعُدْوَان
وَزَادوا إِدَادًا حِينَ نَادَى جُمُوعَهُمْ ... نَبِيءُ الْهُدَى : خَلُّوا عِبَادَةَ[4] أَوْثَان
فَإِنَّ إِلَهَ الْخَلْقِ - يَا خَلْقُ - وَاحِدٌ ... فَمَا هَاتِه الأَوْثَانُ ؟ لَيْسَ لَهُ ثَانِي
أَتَرْضَونَ أَوْثَانًا بَرَتْهَا جُدُودُكُمْ ... بِأَيْدِيهِمُ نَحْتًا عَلَى رَأْيِ شَيْطَان ؟
أَلاَ إِنَّ ذَا الْكُفْرَانَ أَعْظَمُ مُنْكَر ... أَلاَ إِنَّ ذَا الْخُسْرَانَ أَكْبَرُ خُسْرَان !
فَمَالُوا إِلَى طُغْيَانِهِمْ وَتَعَصَّبُوا ... ضَلاَلاً بِعُدْوَانٍ ؛ وَكُفْرًا بِطُغْيَان

---

(1) فرعون وأبو جهل شبيهان ببعضهما بل صنوان وتجمع بينهما الشقاوة والطغيان، فالأوّل أيّ فرعون كفر بموسى والثّاني أي أبو جهل كفر بمحمّد.
(2) عزّرته أنفس : أي نصرتهُ فكان لها سعدان : سعد الدنيا وسعد الأخرى.
(3) الإدَادُ : الأمر الفضيع.
(4) في الأصل خَلُّوا عبادة الأوثان بالتعريف فأسقطناه ليستقيم الوزن.

إلى أنْ نَـأَى عَنْهُمْ فِـرَارًا بِدِينِـهِ ... وَلا يرتَضِي ذُو الْعِزِّ ضَيْمًا بِأَوْطَانِ

وَخَـلاَّهُمُ هَجْـرًا ؛ وَرَاحَ مُهَاجِرًا ... إِلَى رَبِّـهِ يَـرْجُو آعْتِـزَازًا بِسُلْطَـانِ

وَبَـاتَ بِثَـوْرٍ[1] وَسْطَ غَـارٍ أَنِيسُـهُ ... أَبُو بَكْرٍ الصِّدّيقُ ؛ مُرْتَفِعُ الشَّانِ

وَرَاحَ عَلَـى آثَـارِهِ مِنْ جُمُـوعِهِمْ ... ذَوِي الاعْتِدَا شَخْصَانِ مِنْهُمْ يَقُصَّانِ[2]

فَبَاضتْ بِبَابِ الْغَارِ وَرْقَا ؛ وَخَيَّمَتْ ... بِنَسْجٍ عَلَيْهِ العنكبوت ؛ بِلاَ وانِ

فَقَـالاَ : هُنَا ؛ لَكِنَّـهُ لَوْ أَتَـى هُنَـا ... وَحَقِّكُمُ لَمْ يَبْـقَ نَسْـجٌ بِحيطَـانِ

وَأَدْرَكَـهُ مُذْ سَـارَ عَنْـهُ سُـرَاقَةُ[4] ... عَلَى طَمَعٍ فِي الْجَعْلِ مِنْ مُجْتَنِي جَانِي

فَسَاخَتْ يَدَا مَرْكُوبِـهِ هَـاوِيًا بِـهِ ... هُـوِيًّا أَرَاهُ الْخَسْـفَ حَـالَ عِيَـانِ[5]

وَقَدْ ثَارَ مِنَ كِلْتَا يديه إلى السَّمَا ... عَمُـودُ غُبَـارٍ مُسْتَطِيلٍ بِدُخَّـانِ

فَوَلَّى ؛ وَأَفْشَى الْقَوْمَ مَا قَدْ أَصَابَهُ ... فَقَـالُوا لَـهُ : مَاجِئْـتَ إِلاّ بِبُهْتَـانِ

فَقُلْ : قَـاتَلَ الْمَوْلَى بِسَيْفِ آقْتِدَارِهِ ... وَقُدْرَتِـهِ ؛ أَقْـوامَ كُفْـرٍ وَكُفْـرَانِ

كَـأَنَّهُمُ مَا شَـاهَدُوا قَبْـلَ هَـاتِهِ ... مِنَ الآيِ مَـا لاَ يَسْتَحِيـلُ بِكِتْمَـانِ

كَظِـلِّ غَمَـامٍ فَوْقَـهُ كُـلَّمَا مَشَـى ... يَقِي ظَهْـرَهُ مِنْ حَـرِّ لَفْحَةِ ظَهْـرَانِ

وَرَمْيِهِـمُ كَفًّـا تُـرَابًا عَـلاهُمُ ... وَوَلَّى ؛ فَلَمْ تُبْصِـرْهُ، إِذْ رَاحَ، عَيْنَـانِ

وَلَمْ يَنْجُ مِمَّنْ قَدْ أُصِيبَ بِـرَمْيِهَا ... مِنَ الْقَتْـلِ فِي يَـوْمٍ بِبَـدْرٍ قَـرِينَانِ

وَإِنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْـدِ ذَاكَ لَـدَى لَظَـى ... تَجَـرُّعَ غِسْلِيـنٍ[6] ؛ وَصَلْيًـا بِنِيـرَانِ

فَيَاوَيْحَهُمْ كَمْ شَاهَدُوا مِنْ أَذَى الظُّبَى ... وَطَعْـنِ الْقَنَـا مَـالَمْ يَخَلْـهُ نَـزِيلاَنِ

---

(1) جبل ثور : به الغار الذي التجأ إليه الرّسول ﷺ مع الصدّيق.

(2) قصَّ الأثر : تَتَبَّعَهُ.

(3) اشارة إلى قصّة الهجرة.

(4) هو سُرَاقة بن مالك المدلجي ؛ سمع بالديّة التي جعلها مشركو قريش لمن يأتي بمحمّد حيًّا أو ميتًا، فانطلق يتبع أثر محمّد وصاحبه أبي بكر، ولمّا دنا منهما ساخت قائمتا فرسه في الأرض حتّى بلغتا الرّكبتين فزجرها فلم تنهض فأعاد الزّجر فنهضت ولم تكد تخرج قائمتيها حتى ثار من أثرهما غبار في السّماء مثل الدّخان فداخله رعب عظيم فناداهما بالأمان... إلى آخر قصّة الهجرة.

(5) رآه بالعين.

(6) الغسلين : المادة الخارجة من الجراح يتجرّعها أهل النّار.

وَلَمْ يُغْنِهِمْ عِنْـدَ الطِّعَـانِ حَلِيفُهُـمْ أَبُو مُـرَّةَ[1] ؛ لَمَّا تَـلاَقَى الْفَرِيقَانِ
بَلِ انْزَاحَ مَذْعُورًا يُنَـادِي تَحَسُّـرًا تَـرَدَّى أَبُو جَهْلٍ ؛ وَخَـابَ الْحَلِيفَـانِ
فَفَـرُّوا بِـدَارا ؛ لَـمْ يُفِـدْكُمْ تَـدَبُّرِي وَلَـمْ يُغْـنِ عَنْ فِـرْعَونَ تَدْبِيرُ هَامَانِ
وَقَـدْ كَـانَ لِلْهَـادِي مِـنَ الآيِ بَعْـدَذَا بَـرَاهِينُ لاَ يُحْتَـاجُ مَعْهَا لِتِبْيَـانِ
أَمَا شَاعَ فِي الأَقْطَارِ شَكْوَى غَـزَالَةٍ[2] تَضَـرَّرَ خِشْفٌ[3] ضَـائِعٌ بَيْنَ غِـزْلاَنِ
فَأَمَّنَهَـا رُحْمَـى ؛ وَرِفْقًـا لِخِشْفِهَـا فَرَاحَتْ لَـهُ لاَ تَخْتَشِـي ضَرَّ إِنْسَانِ
وَنَادَى لِصَاعٍ[4] مِنْ دَقِيقٍ ؛ وَدَاجِـنٍ مِنَ الصَّحْبِ قَدْرَ الأَلْفِ ؛ عَنْ غَيْرِ نُقْصَانِ
فَمَـا بَـرِحُوا حَتَّـى تَكَفَّـى جَمِيعُهُـمْ وَمَا فِي الْقَـدِيرِ وَالْعَجِينِ يَزِيدَانِ
وَأَغْنَـى بِتَمْـرٍ مِـلْءِ كَفَّيْـهِ مِثْلَهُمْ فَيَـاحَبَّذَا تَمْـرٌ تُفِيضُـهُ كَفَّـانِ
وَرَدَّ بِيُمْـنِ الْكَـفِّ عَيْـنَ قَتَـادَةٍ[5] فَعَادَ لَهَا نُـورُ الْبَهَـا بَعْدَ سَيْـلاَنِ
وَقَـدْ سَبَّحَتْ فِيهَا الْحَصَـى ؛ وَبِيُمْنِهَا زَهَتْ يَانِعًا فِي الدَّوحِ أَفْنَانُ سَلْمَـانِ
وَأَرْوَى أُلُـوفًا فَيْضُ يُمْنَى بَنَانِهَا[6] وَلَمْ يَكُ مِنْهُمْ وَاحِـدٌ غَيْـرَ ظَمْـآنِ
عَلَـى أَنَّ فِي آيِ الكِتَـابِ كِفَـايَةً لِمَنْ كَانَ ذَا رُشْدٍ ؛ وَصَاحِبَ إِذْعَانِ
وَقَدْ عَجَـزُوا عَنْ أَنْ يَجِيئُـوا بِآيَـةٍ وَلَـوْ ظَاهَرَتْ فِيهَا قَبَـائِلُ قَحْطَـانِ
وَهَبْ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْبَلاَغَـةِ فِي الْـوَرَى وَكَانَتْ لَهُمْ كُـلاًّ فَصَاحَـةُ سَحْبَـانِ
أَيَـأْتُونَ بِالآيَـاتِ ؛ وَالْعَجْـزُ ظَـاهِرٌ ؟ فَهَيْهَـاتَ أَنْ يَـأْتُوا بِـآيَةِ قُـرْآنِ

* * * * *

(1) أبو مرّة : كُنْيَةُ إبليس ؛ كُنّيَ بها لأنّ الشيخ النجديّ الذي ظهر إبليس في صورته وأشار إلى قريش أن يكونوا سيفًا واحدا على النبي كان يُكنّى أبا مُرَّة.

(2) جاءت غزالة شاكية للنبي ﷺ مآلها الذي ينتظرها من مدية رجل، فأمّنها رفقا بولدها.

(3) الخشف : ولد الظبي، أوّل ما يولد.

(4) سبق أن بيّنا كيف أن النّبيّ أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير، ومازالت البرمة ممتلئة كما هي.

(5) وقعت عين قتادة على وجنته يوم أُحد فرَدّها عليه السّلام ؛ وأصبحت أحسن عينيه وأحدّ هما بصرا.

(6) أصاب عطش شديدا النّاس يوم الحديبيّة ؛ فوضع رسول الله في ركوة كانت أمامه فجعل الماء يفور من خلال أصابعه... الخ

أَلاَ يَـا رَسُـولَ اللهِ غَـوْثًا، وَعَطْفَـةً ... عَلَى ذِي وَجًا[1] مُسْتَرْسِلِ الْحُزْنِ حَيْرَانِ

مُعَنًّـى نَضَـا عَنْـهُ مَـداه مَـدَى أَذًى ... تَقُـدُّ بِـلاَ مَهْـلٍ ؛ وتبْـري بِلاَ وَانِ

أَيَفْعَـلُ بِي ذَا فَـاعِلٌ ؛ وَيَسُـوءُنِي ... وَأَنْتَ مَلاَذُ الْمُلْتَجِي ؛ وَحِمَى الْجَانِي ؟

فَجُـدْ لِي بِمَا يُـدْنِي لِقُـرْبِكَ وَالرِّضَا ... وَإِنْ كَانَ سُـوءُ الْفِعْلِ عَنَّا فَآقْصَانِي

وَلاَ تُهْمِلَنِّـي لآقتِـرَافِي فَيَشْتَفِـي ... عَـدُوِّي ؛ وَيُـزْجِي كَيْدَهُ لِي فَيَلْقَانِي

وَسَـلْ خَيْـرَ مَـوْلًى قَـدْ حَبَـاكَ بِمَا حَبَا ... وَأَوْلاَكَ نُعْمَـى قَبْـلَ خَلْـقٍ وأَكْـوَانِ[2]

وقَـايَةَ جَمْـعِ الْمُسْلِمِيـنَ مِنَ الأَذَى ... وحِفْظَهُـمْ حِفْـظَ المَهَيْمِـنِ والْحَانِي

وَيَـرْعَى بِعَيْنِ اللُّطْفِ قَـوْمِي وجِيرَتِي ... وصَحْبِـي ؛ وأَوْلاَدِي ؛ وأَهْلِي ؛ وإِخْوَانِي

وَيَمْنَحُنَـا مِنْ فَيْضِ سُحْبِ نَـوَالِه ... هَـوَاطِلَ إِحْسَـانٍ ؛ وطَيِّـبَ غُفْـرَانِ

بِجَـاهِ أَبِي بَكْـرٍ صَـدِيقِكَ ؛ وَالرِّضَا ... أَبِي حَفْـصٍ الْفَـارُوقِ ثُمَّـةَ عُثْمَانِ

وبَطْـلِ حِمَى الْعَلْيَا عَلِـيٍّ ؛ وزَوْجِه ... مَعَ آبْنَيْهِمَـا أَسْنَـى بَنِينٍ وشُبَّـانِ

وَجَمْعِ السَّرَاةِ الصَّحْبِ ؛ صَحْبِكَ كُلِّهِمْ ... كَذَا الْمُقْتَدُونَ التَّـابِعُونَ بِإِحْسَـانِ

وَتَتْـرَاكَ مِنْ مَـوْلاَكَ فِي كُـلِّ سَاعَـةٍ ... صَـلاَةً بِتَسْلِيـمٍ كَمَا شِئْتَ مِنْ دَانِي

وَآلِكَ ؛ والأَصْحَابِ أَهْلِ الْهُدَى الأُلَى ... هَدَاهُمْ بِكَ الْمَـوْلَى لِـدِينٍ ؛ وإِيمَـانِ

---

(1) الوجى : وجع يأخذ الإنسان من المشي.

(2) في الأصل : وأَوْلاَكَ نُعْمَى قبل تكوُّنِ الأكوان وهو غير موزون.

34 - تَشْطِير نَظمَ الشَيْخ الدِّمْيَاطِي[1]

[الطويل]

إذا كنتَ ترجو يا مُؤَمِّلُ ما جَلاَ ... وتأْمل إسْعَافًا وَكَشْفًا لمَا حَلاَّ
أطِلْ شكر من يفضي النَّوال مُوَصِّلا ... ولا تنسَ ما أولاهُ إذْ طالَمَا أوْلَى
ثناءً على مَنْ كان مولًى وموئلاَ ... وحمدُهُ فرضٌ شاء نفعَ الورى أم لا
وخيرُ الثَّنَا حمدُ الوليّ على الولاَ ... وتعدادُ ما أولى وذاك هُوَ الأوْلَى
وعدِّدْ بفكر كُلَّ مَنْ كانَ مُنْعِمًا ... وَمَنْهَلَ فَضْلٍ يَمْنَحُ الخير مُنْهَلاَّ
فلستَ ترى إلاّ رِضًا متفَضّلا ... يعُمّ الورى رزقًا ويُوسعُهم بذْلاَ
فمَنْ رامَ نيْلَ البرِّ والاجْتبَا حَبَا ... ومن رام كشفَ الضُّرّ والابتلا جلاَّ[2]
وواصل من بحر اللآلِي حُلَى الطَّلا[3] ... وأظهرمن حُبلى اللّيالي مُنَى الثّكلى
إلاهٌ له في الذكر أسما جليلةٌ ... يُزاح بها كلُّ الأذى عندما تُتْلَى
بها الصّيْدُ يُكفَى في الفلاة متى فَلاَ[4] ... وَيَلْقَى بِهَا سِرْبُ الْقَطَا مَوْرِدًا نهلاَ
وقد أمر المولى عبادَهُ بالدُّعا ... بِهَا إن سطا باغ يسومُ النُّهى خَبْلا
وَنَشْكُرُ مَوْلًى آمرًا متقبّلاً ... يُجِيبُ دُعَا الدَّاعِي وَيَمْنَحُهُ سؤْلاَ

(1) في الأصل الضمياطي، والأصح الدمياطي، وهو محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطي، أبو الفتح، المعروف بابن قادوس، كان كاتب الإنشاء بمصر، له ديوان شعر في مجلدين، توفّى بمصر سنة 553 هـ/1158 م، وهذه اللامية ابتهالات اعتمادا على أسماء الله الحسنى كانت تتلى لتفريج الكروب.

(2) أي عظّم الله وآذكره.

(3) الطّلا : الخمرة والزوجة.

(4) فلا فلوًا الصبيّ أو المهر : فطمه وعزله عن أمّه و في البيت تورية بلقب الشاعر.

وحضـرتُها للنّفـع أمنـعُ مَعْقـل ... عَلَى أَنَّ منْهَا لِلْعِدَا القَبْضَ والْعَقْلاَ

ولِلّهِ مَـنْ أَمْسَـى بِهَـا مُتَـوَسِّلاً ... وقد أَمَّـهُ من خَـافَ عَقْلَهُ والقَتْلاَ

أَخٌ ضـاق ذَرعـا من ظُلامَـة مُعتـد ... تـوعّده كَبْـلاً وَأَوْعَـدَهُ حَبْـلاَ

فأمسـك حبـلا في رجـاهُ مُعَـوِّلاً ... على ما يُوافي إذ ليالي المدى حُبْلَى

ورَاقَـبَ حِينًـا حيْـن مرْعبـه بمـن ... لـهُ مُنتضًى حتفٍ يسارعه جَـدْلاَ

يُـزيل أذَاهُ وآعْتـرَاه عـن المـلاَ ... ويُذهب ما راع الحشا[1] ودها العقلا

ومذْ لم يجد للاحتمـا والنّجـا يدًا ... ولم يستطعْ شأوًا يمدُّ بـه رِجْلاَ

وكـان أخـا عقـل يُجيـد تـأمُّلا ... وفي عصره ما ينتضي المنتضى القَوْلاَ

نَحى خيِّـرا حَبْـرًا وأمّـل دعـوةً ... ودعوةُ أهل الفضل كالمنْتَضَى فعْـلاً

تُـواصِلُ طـولا أو تُـوصّل معقـلا ... وياحبـذا طول لِمَـنْ وَجَـدَ الطُّـولا

ولـم يـر حَبْـرًا أمّـه نفـعُ صـارم ... وإنَّ يَـرَاعَ الحَبْـرِ كالمنتضى صَقْلاَ

فجـال أسـاطيرَ[2] السّجِـلِّ مُهلِّـلاً ... وقلَّ رُدَيْنِيّ[3] الـدّعَا وَيَرَى نَبْلاَ

وجمَّـعَ أسمـاء تعـاظم قَـدْرُهَا ... يصول بها المفضال صُبْحَ اللّقابَطْلاَ

ونظّمهـا نَظْمًـا بـديعا مُجَمِّـلاً ... كعقـدٍ فـريد منتقى عُدِمَ الْمِثْـلاَ

وقد صُغْتُ عن ضعفٍ جُمَانًا وَصَلْتُـهّ ... بِسِلْكٍ لآلي العقد مُرْتَقِبًا وَصْـلاَ

لـدفع مُعِـلٍّ[4] لـن يُطَـاقَ تَحَمُّـلاً ... وقد ضاع منّي العمـرُ بين عَسَى عَلاّ

ومازدتُـــه إلاّ ابتغـــاء تبـــرُّك ... بِنَاظِمه المولى الّذي أحْـرز الفضلا

وإنّـي لأرجـو أن يكـون مكمِّـلاً ... لِمَا قَدْ نَوى ذاك الهُمَـامُ الذي جَـلاَّ

فقـد جلّ نظمـا حين صـار منضَّـدا ... وأذْهب غمًّـا خـامر المُهجةَ الثّملَى

وصـادف نُجحـا حين كـان مبسْمِـلاً ... ولم يـألُ نُصْحًـا حين قال بـلا إمْـلاَ

---

(1) الحشا : أو الخشيّ وهو الخائف.

(2) أساطير هي الأسطر والسّطور وهي جمع الجمع.

(3) الرُّدينيُّ : الرّمح نسبة إلى ردينة وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرّماح.

(4) المُعِل : من يصيب غيره بعلة.

(بـدأت، ببسـم الله والحمـد أوّلا) وشكرا له والشّكْرُ حمـدٌ لمـن أولى
(على نِعَم لم تُحص فيما تنـزّلاَ) أتـاح بِهَـا الأفْضَـالُ والْقَلَـمُ الأعْلَى
(فَمنْهَـا ثَنَـاءٌ لـلإلاه بنفسـه) بأجْمَـلَ ما يُثْنـي به الْمَلِكُ الْمَوْلَى
(عَلَى نَفسه إذْ لَيْسَ يُحْصيه مَنْ تَلاَ) وَلَوْ بَلَغَ الشِّعْرَى وَجاوزَها آسْتعْلا
(وَمنْهَـا صَـلاَةُ الله ثمّ سلامـه) بسَـرْدٍ يَفُـوتُ النّمْلَ عَدُّهُ والرَّمْلاَ
(علـى الْمُصْطَفَـى...[1] تَكَمُّـلاَ) بأَوْفَى كَمَالٍ لم تَنَلْهُ الْـوَرَى أَصْلاَ
(وَمنْهَـا إذا حَـلّ أَمْـرٌ... أَهَمَّـهُ) وغمَّـهُ فِي دُنْيَـاهُ ما غَمَـرَ العَقْـلاَ
(تـلاَوَةُ أَسْمَـاء الإلـه إذا خَـلاَ) بخَلْـوَته، وآسْتَنْفَـرَ الأهـل والْخـلاَّ
(فَنَسْـأَلُكَ اللَّهُمَّ أَمْنًـا ورَحْمَـةً) يُجلاَّ فَـريقَ الْحَقّ أَجْمَعَ لاَ الْجُـلاَّ
(وعَفْـوًا جَميلاً دَائمًـا مُتَفَضِّـلاً) عَلَى مَنْ هَفَا يَوْمًا وَلَمْ يَسْتَطِلْ حَبْلاَ
(منَ الله أَرْجُـو أَمْنَ قَلْـبٍ تَـوجَّلاَ) بضَارٍ عَـدَا فيها ولَمْ يُحْسنِ الْقَتْلاَ
(فَبالأَمْنِ يَا رَحْمَانُ لاَ تُبْقِ مُوجلاً) أَخَا دَخَـل[2] أَخْلَى وذَا جَلَـلٍ أَجْلَى
(وَكُنْ يَا رَحِيمُ رَاحِمًا ضُعْفَ قُوَّتِي) فَلاَ حَـوْلَ لِي إلاَّ بِحَـوْلِكَ إنْ أُبْلَـى
(وَيَا مَالِكُ كُنْ لِي نَصِيرًا وَمَوْئِلاً) إذَا أَمَّـهُ الْمُـرْتَاعُ أَمَّنَـهُ طَـوْلاَ
(وَيَـا رَبِّ، يَا قُدُّوسُ، كُنْ لِي مُنَـزِّهًا) كَمَـا نَـزَّهَ الإسْـلاَمُ عِتْـرَتَهُ عَـدْلاَ
(عَنِ الشِّـرْكِ، سَلِّمْ يَا سَلاَمُ مُبدِّلاَ) وَلَمْ يَـرْضَهُمْ مُذْجَـلَّ عِتْـرةَ مَنْ صَلَّى
(وَيَا مُـؤْمِنُ هَـبْ لِي أَمَانًا مُسَلِّمَا !) وَرَوْضًا لَدَى الْمَأْوَى حَوَى الْمَاءَ والظِّلاَ
(وَسِتْـرًا عَمِيمًا يَا مُهَيْمِنُ مُسْبِـلاَ) بِأَسْبَـلِ سِتْـرٍ فِي قِبَابٍ سَمَتْ نُـزْلاَ
(أَزِلْ يَا عَـزِيزُ الـذُّلَّ عَنِّـي فَلَمْ أَزَلْ) مَدَى عِزَّةِ الإسْلاَمِ ؛ والدِّينُ مُسْتَعْلَى
(بِعِـزِّكَ يَا جَبَّـارُ مُكْفِـي، مجمّـلا) بِجَبْرٍ عَـزِيزٍ يَمْـلأُ الْعِـدْلَ وَالحِمْلاَ[3]
(وَأَصْغِـرْ وَضَعْ ذَا الْكِبْرِ يَا مُتَكَبِّرُ) فَقَـدْ قَـلَّ حِمْـلاً لا يُكَـابِدُهُ حَمْلاً
(وَيَا خَالِقُ آجْعَلْ لِي عَنِ الْخَلْقِ مَعْزِلاً) بِيُسْـرٍ وَحَـوْلٍ مِنْـكَ يَنْفَعُنِـي عَزْلاَ

(1) كلمة مطموسة في الأصل.
(2) الدَّخَل : ما داخل الإنسان من فساد في العقل أو الجسم.
(3) العِدْل : نصف الحِمل والغرارة هو الجولق وهو إثنا عشر كيلا.

(وَيَا بَارِئَ الأَنْفَاسِ قَدْ بِتّ مُبْرَءًا) وَإِنْ بِتُّ من ضَيْم الإِسَاءَة مُعْتَلاَ
(بِكَ السُّقْمُ عَنِّي يَا مُصَوِّرُ زُوِّلا) فَزُوِّلْ إذا قَالَ قَلَى بعد ماسلَّى
(سَأَلْتُكَ يَا غَفَّارُ عفوا وتوبةً) بالعفو أَوْرِدْنَا مِنَ الْمَنْهَلِ الأَحْلَى
(وبالقهر ياقهّار خُذْ من تَحيّلاَ) عَلَى السَّعْي لَمَّا وَاسْتَحَلَّ لَهُ أَكْلاَ
(وَهبْ لِي يَا وَهَّابُ علْمًا وَحِكْمَةً) بِإِرْشَاد ذي لُبٍّ دَرَى الْعَقْدَ والْحَلاَّ
(وَللرِّزْقِ يَا رَزَّاقُ كُنْ لِي مُسَهِّلاً) لأَقْفِي الصَّفَاوالسَّعْيَ حَوْلَ الصَّفَاسَهْلاَ[1]
(وَبِالْخَيْرِ يَا فَتَّاحُ فَافْتَحْ وَبِالْهُدَى) وَحُلَّ بِمِفْتَاحِ الْبَيَانِ لَنَا الْقفْلاَ
(وَبِالْعِلْمِ كُنْ لِي يَا عَلِيمُ مُفَضِّلاً) وَوَفِّقْ لَهُ أَهْلِي لِيَغْتَنِمُوا فَضْلاَ
(وَيَا قَابِضُ آقْبِضْ رُوحَ كلّ مُعَارِض) أَبى الْحَقَّ إِعْرَاضًا وَلَمْ يَرْضَهُ عَدْلاَ
(وَيَا بَاسِطَ النُّعْمَاءَ زِدْنِي تَفَضُّلاً) وَبَسْطَةَ خَيْرٍ كَيْ أُقَالَ وَلاَ أُقْلَى[2]
(وَيَا خَافِضُ آخْفِضْ قَدْرَ كُلِّ مُعَانِد) عَنِيد قَلَى مَعْ خَفْضِ عَيْشِهِ عن إملا
(وَيَا رَافِعُ آرْفَعْنِي على رَغْم من قَلاَ) وَطَافَ وَمَا زَكَّى، وَصَامَ وَمَا صَلَّى
(بِعِزِّكَ قَدْرِي، يَا مُعِزُّ، مُعَزَّرٌ) فَعَلِّ جَنَابَ الْحَقِّ يَا خَيْرَ مَنْ عَلَّى
(مُذِلُّ فَكُنْ لِلظَّالِمِينَ مُذَلِّلاَ) وَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ مِنْ مُدِلِّهِمْ ذُلاَّ
(سَمِعْتَ دُعَائِي يَا سَمِيعُ فَكُنْ إِذًا) مجيبًا مَتَى أَدْعُو فَقَدْ كُنْتَ يَا مَوْلَى
(بَصِيرًا بِحَالِي، رَاحِمًا مُتَفَضِّلاً) تُوَاصِلُنِي نُعْمَى وإِنْ لَمْ أَطِبْ فِعْلاَ
(إِلَى حَكَمٍ أَشْكُو ظُلاَمَةَ مُعْتَدٍ) أَبَى الْعَدْلَ والْمَوْلَى الَّذِي أَوْجَبَ الْعَدْلاَ
(هُوَ الْعَدْلُ كَمْ أَرْدَى ظَلُومًا وأَخْذَلاَ) وَكَمْ هَدَّ مِنْ رُكْنٍ لِعَادٍ، وَكَمْ أَخْلَى
(لَطِيفٌ بِحَالِي، رَاحِمٌ لِشَكِيَّتِي) مَتَى أَشْكُ كَلاًّ لَمْ يَقُلْ، لَمْ يَقُلْ كَلاَّ
(خَبِيرٌ بِضَعْفِي إِنْ تَضَايَقْتُ حَلَّلاَ) وَحَلَّ مَضِيقِي بِالْيَسَارِ وَمَاحَلاَّ
(وَلازِلْتُ أَهْفُو والْحَلِيمُ مُسَتِّرٌ) لأَنَّهُ ذُو سِتْرٍ جَمِيلٍ ضَفَى سَدْلاَ
(وَرَبِّي عَظِيمُ الْعَفْوِ إِنْ زُغْتُ أَمْهلا) وَيَصْفَحُ عَمَّا كَانَ من خَطَئِي جَهلا

(1) الصفا والمروة هما صخرتان في مكّة يسعى بينهما الحاج في طلب الماء ذكرى لسعي هاجر أمّ اسماعيل إذ كانت بين الصخرتين.
(2) لا أقْلى : فلا أبغض والنعماء أصلها النُّعْمَى مُدّت للوزن.

(غَفُورُ أَقِلْ وَآغْفِرْ ذُنُوبِي وَعَثْرَتِي) وَمُنَّ بِرُحْمَى تَمْحَقُ الْخَطَأَ الْكُـلاَّ

(شَكُورُ فَهَبْ شُكْرًا لقَلْبٍ تَغَفَّلاَ) بِجُرْأَةِ قَالٍ زَخْرَفَ القَـوْلَ مُـذْ زَلاَّ

(وَأَعْـلِ مَقَـامِي يَـا عَلِـيُّ فَلَمْ أَزَلْ) وَإِنْ كَبُرَ الإِجْرَامُ والْمُولِمُ آسْتَوْلَى

(بِذِكْـرِكَ قَـدْرِي يَا كَبِيـرُ مبَجَّـلاَ) وَمَنْ يَذْكُـرُ الْمَوْلَى الْجَلِيلَ زَكَا قَوْلاَ

(حَفِيظُ فَـرُوحِي لا يَؤُودُكَ حِفْظُهَـا) وَقَدْ صُنْتَ نَفْسِي حِينَ كُنْتُ لَقًا[1] طِفْلا

(مُقِيتُ فَكُنْ لِلْقُوتِ يَارَبِّ مُرْسِلاَ) فَأَنْتَ الَّذِي فِي الْمَهْدِ غَذَّيْتَنِي الرِّسْلاَ[2]

(ذِمَامُكَ حَسْبِي ؛ يَا حَسِيبُ فَأَحْمِنِي) وَصُنْ عِتْرَتِي[3] مِنْ وَارِدِ السُّوءِ إِنْ أَدْلَى

(وَأَنْتَ جَلِيلٌ كُـنْ لِقَـدْرِي مُجَلِّـلاَ) وَوَاصِلْ ضَئِيلَ الأَهْلِ خَيْرَكَ والْكَهْلاَ

(كَرِيمُ الْعَطَا يَارَبِّ أَجْزِلْ عَطِيَّتِي) فَإِنَّكَ أَنْدَى مَنْ أَفَاضَ الْعَطَا جَزْلا

(رَقِيبٌ عَلَى الأَعْدَاءِ يَكْفِي، إِذَا كَلاَ،) عُبَيْدًا أَذَى الْعَادِي وَمَنْ رَامَهُ أَكْلاَ

(دَعَـوْتُ مُجِيبًـا آمِـرا مُتَقَبِّـلاً) يَرُدُّ عَلَى مَنْ صَالَ نَبْلَـهُ والنَّصْـلاَ

(كَثِيرَ الْعَطَايَا وَاسِعَ الْجُودِ مُجْزِلا) لَـهُ جَنَّـةٌ لَمْ يَنْقَطِعْ خَيْرُهَا فَصْلاَ

(وَأَنْـتَ حَكِيمٌ يَـا إِلاَهِـي فَعَافِنِي) وَعَجِّلْ دَوَا مُضْنَى الأَيَارِجِ[4] والْكُحْلاَ

(وَدُودُ فَكُنْ لِلْوِدِّ فِي الْقَلْبِ مَنْزِلاَ) وَيَسِّـرْلَنَا الْبَطْحَا[5] أَحُطُّ بِهَا رَحْـلاَ

(مجيدُ فمجِّد شرع ذِكْرِي لَدَى الْوَرَى) لِكَيْ يُسْمِعُوا أَهْلاً مَتَى أَقْبَلُوا أَهْلاَ

(وَيَا بَاعِثُ آبْعَثْ جَيْشَ نَصْرِي مُهَرْوِلاً) وَبَدِّدْ بِهِ جَيْشَ الْعِدَا الْخَيْلَ والرِّجْلاَ

(شَهِيدٌ عَلَى قَوْمٍ بِمَـا كَـانَ مِنْهُمُ) دُخُولاً بِلاَ قَبْضٍ وَمَا شَـاهَدُوا دَخْلاَ

(فَيَـاحَقُّ خُذْ بِالثَّأْرِ مِنْهُمْ مُعَجِّلاً) وَلاَ تُبْقِ فِي الْمَـرْعَى لأَعْجَلِهِمْ عِجْلاَ

(وَأَنْتَ وَكِيلِـي يَـا وَكِيـلُ عَلَيْهِـمُ) وَتَعْلَـمُ مَا حَـاكُوهُ مِمَّـا وَهَـى غَـزْلاَ

(فَحَسْبِي إِذَا كَانَ الْقَـوِيُّ مُـوَكَّلاً) وَصَارَ هُوَ الْقَاضِي صَبَاحَ الْقَضَا فَصْلاَ

---

(1) حين كُنْتُ مُلْقًى ومَطْروحًا لاَ أَعِي الضَارَّ من النّافع.
(2) الرِّسْل : اللبن.
(3) العترة : ولد الرجل وذرّيته أو عشيرته ممّن مضى.
(4) الأيارج : ج إيارجة : معجون مُسهل.
(5) البطحاء : مكة.

(مَتِيـــنُ فَمَتِّـــنْ قُـــوَّتِي وَتَـــوَلَّنِي) فَشَأْوِيَ لَنْ يَقْوَى الْغَدَا الأَكْلَ وَالإِكْلاَ[1]

(فمـن يَـا وَلِـيُّ أَجْدرُ منـك بالْـوَلاَ) وَأَمْـرُكَ مـاضٍ وَالـولاَيَةُ بالأَوْلَى

(حَمدتُ حَميـدًا لَمْ يَـزَلْ مُتَفَضِّـلاً) يُعَامِل بالإِحْسَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلاَ

(وَمُحْصِي لِمَنْ عَادَى، مُبِيدًا ومُخْذِلاً) لأَعْدَا مَتَى كَالُوا الورى طَفَّفُوا الْكَيْلاَ

(بَدَيْتُ بِجُود منْكَ يَا مُبْدِئَ الْعَطَا) وَيَا رَازِقًـا لَمْ يُهْمِلِ الـدُّودَ والنَّمْـلاَ

(وَأَنْـتَ مُعِيدٌ كُلَّ مَا فـات أَوْ خَـلاَ) تَـرُدُّ بالاسْتِحْقَـاقِ لِي الحقَّ والْخلاَّ

(ومُحْيِي فَـوَسِّعْ لِي حَيَـاةً نَفِيسَةً) بِلاَ دَخَلٍ مِمَّنْ أَسَا الْخَرْجَ وَالدَّخْلاَ

(مُمِيتُ فَعَجِّلْ مَوْتَ خَصْمِي المُنَكِّلا) وَخُـذْهُ سَـرِيعًا يَا عَـزِيزُ بِلاَ امْـلاَ

(وَيَا حَيُّ أَذْهِبْ مَوْتَ قَلْبِي فَلَمْ أَزَلْ) وإِنْ كَانَ ضيمُ الْوَقتِ صَبَّحَنِي مُجْلَى

(بِذِكْـرِكَ يَا قَيُّومُ مَا دُمْتُ مُوصِلاً) فَوَصِّلْ لَنَا النُّعْمى ولاَ تُهْمِلِ النَّجْلاَ

(وَيَـا وَاجِـدُ أَوْجِـدْ لَنَا كُلَّ بُغْيَـةٍ) وَكَثِّرْ بِهَـا كَيْـلاً مِـنَ البُرِّ لي كيْلا[2]

(وَيَا مَاجِدُ مَجِّدْنِي وَكُنْ لِي مُعَـوَّلاً) فَإِنِّي مُعِيلٌ ضَامَنِي ذَا الْمَدَى كَيْلاَ

(وَيَا وَاحِـدُ مَـالِي سِـوَاكَ مُفَـرِّجٌ) لِضَيقٍ وأَسْـوَا أَوْجَبَا الْكَدَّ والشُّغْلاَ

(وَيَا صَمَدُ فَرِّجْ وَقُلْ هَمَّكَ انْجَلَى) وَضِيقُـكَ مُنْـزَاحٌ وَإِنِّي لَكُمْ مَـوْلَى

(وَيَـا قَـادِرُ أَهْلِكْ عَـدُوِّي بِكَيْـدِه) وَجَـرِّدْ لَهُ مِنْ غَمْـدِ جُـرْأَتِه نَصْلاَ

(ومُقْتَـدِرُ أَرْدِ الْكَـذُوبَ الْمُقَـوِّلاَ) فَحَـوِّلْ وصَبِّحْ عُرْسَـهُ حَـوْلَنَا ثَكْلَى

(وَلاَزَالَ ذِكْـرِي يَا مُقَدِّمُ فِي الْعُلَى) فَصِلْـه بِمَا يُدْنِي لِفِرْدَوْسِكَ الأَعْلَـى

(وذِكْـرُ عَـدُوِّي يـا مُـؤَخِّرُ أَسْفَلاَ) فَأَنْزِلَـهُ مَـعْ أَمْثَـالِه أَسْفَـلَ السُّفْلَـى

(إِلَى السَّبْقِ قُلْ يَا أَوَّلُ أَنْـتَ أَوَّلُ) بِأَيْـدٍ يَمُـدُّ الْبَـاعَ وَالْيَـدَ والرِّجْلاَ

(وَيَا آخِرُ آخِتِمْ لِي ؛ أَمـوت مُهَلِّلاَ) لأَلْقَى بِـدَارِ الْخُلْـدِ حِزْبِيَ وَالأَهْـلاَ

(وَأَظْهِـرْ إِلاَهِي الْحَقّ إِنَّكَ ظَـاهِرٌ) وَخُذْهُ مِنَ الْبَاغِي وَمِمَّنْ بِهِ آسْتَمْـلاَ

(وَيَا بَاطِنُ نَكِّلْ بِمَنْ كَانَ مُبْطِلاً) بِبَاطِلِـهِ مَا كَـانَ يَعْلُـو وَلاَ يُعْلَـى

---

(1) الإكلا : الحكّ.

(2) في الأصل : كي لا.

(وَيَا ولي اصْلحْ أَمْرَ كلّ الولاة كَيْ) يُوَافِي الْبَرَى مَا يُصْلِحُ النّخْلَ والْفَحْلاَ
(أَيَا مُتَعَالِي يُظْهِرُ الْعَدْلَ فِي الْمَلاَ) وَيُجْلِي بِهِ بَعْدَ الْجَلاَ الْبُوسَ والْمَحْلاَ
(وَيَا بِرُّ اغْمِرْنِي بِبِرِّكَ وآكْفِنِي) بِذَا الْبَرِّ بِرًّا مِنْكَ مُعْتَدِيًا نَذْلاَ[1]
(زوالاً، وَيَا تَوَّابُ تُبْ وَتَقَبَّلاَ) وَزَوِّلْ بِمَحوٍ مَا آقْتَرفْتُ بِهَا قَبْلاَ
(وَمُنْتَقِمُ رَبِّ آنْتَقِمْ لِي من الْعِدا) وَسَدِّدْ لَهُمْ مِن سَاعِدِ الابْتِلاَ نَبْلاَ
(وَجُدْ وَآعْفُ عَنّى يَا عَفُوُّ تَفَضُّلاَ) فَمَا أَجْمَلَ الإِحْسَانَ مِمَّنْ عَفَا فَضْلاَ
(وَكُنْ بِي رَؤُوفًا يَا رَؤُوفُ ومُسْعِفًا) وَبَلِّغْنِيَ الرُّكْنَ الْمُرَفَّعَ بِالْمَعْلَى
(فَلاَزِلْتَ لِي يَا مَالِكَ الْمُلْكِ مَعْقِلاً) وَكَهْفًا مَنِيعًا لِلْوَقَايَةِ مُسْتَعْلَى
(وَأَفْرِغْ عَلَيْنَا ذَا الْجَلاَلِ جَلاَلَةً) تُجِلُّ بِهَا فَرْعًا وَتُعْلِي بِهَا أَصْلاَ
(فَجُودُكَ وَالإِكْرَامُ لاَزَال مهطلا) بِوَابِلِ آلاَءٍ تَعُمُّ الْوَرَى هَطْلاَ
(وَيَا مُقْسِطُ ثَبِّتْ عَلَى الْقِسْطِ نِيَّتِي) وَلاَ تَبْلِ لِي بِالْقَاسِطِينَ الْعِدَا نَسْلاَ
(وَيَا جَامِعُ آجْمَعْ لِي رِضَا سَائِرِ الْمَلاَ) بِوُدٍّ يُسَلِّي عَنْ أَذَى بَاغِضٍ مَلاَّ
(غَنِيُّ، فَوَارِ الْفَقْرَ عَنّيَ بِالْغِنَى) وَجَلِّ بِهِ الْبَأْسَاءَ يَا خَيْرَ من جَلاَّ
(وَمُغْنِي فَأَعْذِبْ لِي الْقَنَاعَةَ مَنْهَلا) وَعِذْنِي مِنَ الْمَنْعِ الَّذِي يَقْتَضِي الْبُخْلاَ
(وَيا مَانِعُ آمْنَعْنِي مِنَ السُّوءِ وآحْمِنِي) مِنَ الْقِيلِ والْقَالِ الَّذِي حَيَّرَ الْعُقْلاَ
(وَيَا ضَارُّ كُنْ لِلْحَاسِدِينَ مُنَكِّلاَ) وَلاَ تُبْقِ رَبِّي فِي حَوَائِطِهِمْ نَخْلاَ
(وَيَا نَافِعُ آنْفَعْنِي بِعِلْمِكَ وآهْدِنِي) إِلَى الْمَنْهَجِ الأَقْوَى وأَصْلِحْ لَنَا الْفِعْلاَ
(وَيَا نورُ كُنْ لِلنّورِ فِي الْقَلْبِ مُشْعِلاَ) وَأَذْهِبْ بِهِ الإِظْلاَمَ وآصْرِفْ بِهِ الْغُلاَّ
(إِلَى الْحَقِّ يَا هَادِي آهْدِنِي بِبَدَائِعٍ) مَعَ الرُّشْدِ تَوْفِيقًا أَنَالُ بِهِ وَصْلاَ
(مِنَ الْعِلْمِ زِدْنِي يَا بَدِيعُ تَجَمُّلاً) وَيَسِّرْ لِيَ الْمَنْقُولَ مُخْتَصَرًا سَهْلاَ
(وَأَبْقِ الْهُدَى فِي الْقَلْبِ يَا بَاقِيًا وَكُنْ) مُعِينِيَ بِالتَّسْهِيلِ إِذْ كُنْتَ يَا مَوْلَى
(لِعلم النُّهَى يَا وَارِثُ لِي مُوَصِّلاَ) لِيُدْرِكَ مِنّى الْعَقْلُ تَوْضِيحَهُ نَقْلاَ
(عَلَى الرُّشْدِ ثَبِّتْ يَا رَشِيدُ عَزَائِمِي) وَوَجِّهْ لَنَا الْخَيْرَ الْمُرَوَّحَ والْخَيْلاَ

(1) في الأصل : ندلا.

(مِنَ الصَبْرِ زِدْنِي يَا صَبُورُ تَحَمُّلا) أُحَلَّى بِـهِ فَالصَّبْـرُ أَجْمَـلُ مَا حَـلىَّ
(بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى دَعَوْتُكَ سَيِّدِي) نَهَارِي وَلَيْلِـي والأنيسَ ومُسْتَخْلَى
(وَجِئْـتُ بِهَـا يَـا خالقِي مُتَـوَسِّـلاً) وَمُسْتَمْنِحًا مِنْ فَيْضِ أَسْرَارِهَا فَضْلاَ
145 (وَمُبْتَهِـلاً رَبِّـي إِلَيْـكَ بِفَضْلِهَـا) فَإِنّ لَهَا فَضْلاً يُفِيضُ عَطًا بَتْـلاَ[1]
(أُرَجِّـي بِهَـا كُـلَّ الْمُـرَادِ مُؤَمِّلاً) وأَسْتَكْشِفُ الأَسْوَا بِهَا عِنْدَمَا تُتْلَى
(فَقَابِلْ إِلاَهِي بِالرِّضَا مِنْكَ وَاكْفِنِي) سِقَامًا وَأَسْوَا وَاصْرِفِ الْعَلْقَمَ الدِّفْلَى
(صُـرُوفَ زَمَـانِي مُكْثِـرًا أَو مُقَلِّـلاً) بِصَرْفٍ عِدًا لَمْ يُحْسِنُوا الصَّرْفَ والْعَدْلاَ[2]
(وَجُدْ وَاعْفُ؛ وَارْحَمْ، وَاكْفِ وَانْصُرْ عَلَى الْعِدَا) وَتُبْ، وَارْضَ، وَاصْفَحْ، وَاحْمِنِي، وَاكْشِفِ الْغِلاَّ
150 (وَثَبِّتْ، وأَصْلِحْ كُلَّ شَيْءٍ تَخَلَّلاَ) وَمُنَّ بِمَا يَشْفِي الضَّنَى الْمَنَّ وَالْكُحْلاَ
(وَصَـلِّ إِلاَهِـي بُكْـرَةً وَعَشِيَّـةً) صَلاةَ رِضًى يَا خَيْرَ مَوْلًى رِضًى صَلَّى
(عَلَى الْمُصْطَفَى أَزْكَى صَلاَةٍ وَأَكْمَلاَ) صَلِّ وَأَذْكَـى سَـلاَمٍ لَنْ يُفَارِقَهَا فَصْلاَ
(كَـذَا الأَنْبِيَـا والآلِ والصَّحْبِ كُلِّهِم) مَعَ الـرُّسْلِ والأَمْـلاَكِ والمَلإِ الأَعْلَى
(وَبَعْـدُ فَحَمْـدُ اللهِ خَتْمًـا وَأَوَّلاَ) وَيُحْمَد عِنْدَ الْخَتْمِ حَمْدُكَ يَا مَوْلَى

---

(1) البَتْل : يقال عطاء بتل : منقطع لا يشبهه عطاء أو منقطع لا يعطى بعده عطاء. والبتول : المنقطع عن الزواج.

(2) الصَرف : تبديل الدنانير، والعدل : الكيل : أي لم يقصدوا في الأمور.

ترجمة المحقق (1)

بقلم فضيلة الشيخ محمّد كمال سعادة

الدكتور أحمد الطويلي القيرواني أصالة هو علم من أعلام تونس وأحد مفكريها ومن أكبر أدبائها وهو ابن الفقيه محمد الطيّب بن العدل الشيخ علي الطويلي المدرّس والفقيه العدل. ولد في 23 ربيع الثاني 1360 هـ الموافق لـ10 ماي 1942 م وترعرع في عائلة محافظة تتّسم بالتقوى والعلم والأخلاق الرفيعة، تسكن في حومة الجامع بالقيروان وفي أعرق حي بني إثر بناء جامع عقبة بن نافع، وهو حيّ مشهور بأنهجه الفرعية ومنازله، يرجع عهده إلى القرن الأول للهجرة.

حفظ الدكتور أحمد الطّويلي القرآن الكريم في كتّاب الشيخ سيدي عليّه بن غانم رحمه الله بزاوية سيدي الوحيشي وكان هذا الشيخ من أكبر المؤدّبين والعلماء والعارفين بالله في القيروان في ذلك العصر، ثمّ أتمّ الحفظ بواسطة الإملاءات القرآنية التي كان يقوم بها نفس الشيخ سيدي عليّه بن غانم في مسجد سيدي عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ويدعى هذا المسجد بمسجد «الناقة»، كما تلقّى دروسا في السيرة النبوية العطرة والأخلاق بمدرسة نهج الأسوار وأخذ مادة العربية عن طريق الشيخ المرحوم علي بودن والفرنسية عن طريق المرحوم بوراوي البصلي، والسيرة النبوية عن طريق المرحوم محمود عبد الله ولم يكتف الدكتور أحمد الطويلي متّعه الله بالصحّة والعافية بما يتلقّاه من دروس بمدرسة نهج الأسوار الفرنسية العربية بل كان يحضر دروس فضيلة الشيخ غويلة في الفقه والتي كان يلقيها بمسجد باب القدّة، ويغتنم فصل الصيف وقت الراحة المدرسية لكي يواظب على دروس في الحديث النبوي كان يلقيها فضيلة العلاّمة محمد الهادي العلاّني المدرّس من الطبقة العليا بجامع الزيتونة المعمور.

وتلقّى فضيلة الدكتور أحمد الطويلي فصولا من سيرة ابن هشام في السنّة

(1) أذيعت الترجمة بإذاعة الزيتونة في برنامج «أقلام وأعلام» في 15 أفريل 2011.

الشريفة وفصولا عن أعلام القيروان من كتاب «معالم الإيمان في صلحاء القيروان» للشيخين ابن الدباغ وابن ناجي من خلال مخطوطة في أربعة أجزاء بخطّ والده فضيلة الشيخ المرحوم محمّد الطيّب الطويلي الذي تخرّج من جامع الزيتونة المعمور وعمل موظّفا بجمعية الأوقاف بالقيروان وشاهد عدل بها، وقد انتصب للتدريس ليلا بزاوية سيدي أبي سعيد الوحيشي في مادة الفقه وتفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتاريخ الإسلامي. وكان الدكتور أحمد الطويلي يحضر هذه الدروس باستمرار، وعمل على إصدار تأليف والده الذي ألفه تحت عنوان «أوراق قيروانية» ويذكر أنّ له تأليفا آخر عنون له بـ«أنفس المجالس».

ولما انتقل الدكتور الأديب أحمد الطويلي بالسكنى مع عائلته بتونس وذلك بنهج المدرسة السليمانية عدد 10 قرب جامع الزيتونة المعمور ودار الكتب الوطنية بسوق العطارين آنذاك، وسوق البلاط حيث مقر الخلوة الشاذلية، اغتنم هذا القرب العلمي والروحي بالقلعة المعارفية بجامع الزيتونة، قبلة إفريقيا في العلوم الفرعية والحضارة الإسلامية والثقافة المغاربية لكي يتلقّى مزيدا من تلك المعارف والعلوم من عدّة علماء ومشائخ آخرين سواء كان ذلك داخل الجامع الأعظم أو عند مواصلة دروسه بالمعهد الصادقي خاصة أنّ مجموعة كبيرة من فطاحل مدرّسي الزيتونة كانوا يتولّون التدريس بالتوازي مع المدرسة الصادقية أمثال فضيلة البحر العلامة سيدي محمد الفاضل ابن عاشور والراوية سيدي محمد الزغواني والعالم الثبت سيدي محمد البشير النيفر والشيخ محمود قريبع رحمهم الله تعالى وبرّد ثراهم والفقيه الأديب البشير العريبي متّعه الله بالصحة والعافية.

وبعد تحصّله على شهادة الباكالوريا بجزأيها انخرط في سلك كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس ومعهد الصحافة وعلوم الإخبار فتحصّل بعد إتمام دراسته بهما على الشهادات العلمية التالية :

- الإجازة في اللغة والآداب العربية.
- شهادة الكفاءة في البحث بملاحظة حسن.
- التبريز في اللغة والآداب العربية.
- شهادة الكفاءة في الصحافة.
- دكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانية بملاحظة مشرّف جداً.

وبعد هذه الدراسة المستفاضة تدرج في التعليم العالي إلى رتبة أستاذ محاضر، فأستاذ تعليم عالي، ودرّس بكلية الآداب 9 أفريل، وكلية الآداب بمنوبة وكلية الآداب بالقيروان ومعهد الصحافة وعلوم الإخبار، هذا داخل تونس، أمّا خارجها فقد درّس بعدة جامعات مدة سنوات عديدة بجامعة هانغ كوك بسيول بكوريا الجنوبية، وبجامعة قطر وبجامعة فريجينيا بنورفلك بالولايات المتحدة

الأمريكية وكذلك كان أستاذا زائرا بالجامعة العثمانية بحيدر أباد بالهند وبجامعة هافرد بالولايات المتحدة، وكثيرة هي الكليات التي يزورها ويقدّم دروسا ومحاضرات فيها.

قلمه سيّال وله مؤلّفات غزيرة وزاخرة ومليئة بالعلوم والمعارف في مختلف الفنون، فمن الكتب التي ألّفها ما يتعلّق بالتصوف والتاريخ الإسلامي، ومنها ما يتعلّق بميادين أخرى مثل كتاب حديقة الرياحين في التعريف بأربعة من عشاق رب العالمين رابعة العدوية والحلاج وغيرهما، كذلك كتاب آخر في مناقب أصحاب أبي الحسن الشاذلي الأربعين، وكتاب آخر وهو قيّم ويصلح لأن يدرّس في مختلف البلدان المغاربية وهو «مالك بن أنس وأيمّة السنّة».

كذلك هنالك مؤلفات أخرى تتعلق بحافظ الشيرازي شاعر العشق والعرفان. وموضوع آخر يتعلق بتزويج فاطمة الزهراء جدّتنا رضي الله عنها، وكذلك كتاب «الإصابة في من غزا المغرب من الصحابة» لمحمد أبو راس المعسكري وكذلك كتاب «الدرّ الثمين في التعريف بأبي الحسن الشاذلي وأصحابه الأربعين» للحشايشي وهو تحقيق، وغير ذلك من الكتب وهي كثيرة وكثيرة.

أما مشاركاته العلمية فهي متعدّدة ومتنوّعة مثل تولّيه التدريس في الولايات المتحدة الأمريكية اللغة العربية وآدابها في جامعة فيرجينيا الدولية وكذلك بقطر كما ذُكر آنفا، وألقى عديد المحاضرات بعدد من الجامعات والمعاهد العليا في الولايات المتحدة الأمريكية عن الأدب العربي القديم الكلاسيكي والحضارة الإسلامية وحركة الإصلاح عبر مظاهرها ورجالاتها بتونس. وهنا قدّم خدمة كبيرة لرجالات تونس الذين كافحوا في ميدان الكفاح الوطني وكذلك في ميدان الثقافة.

كذلك شارك في ملتقيات علمية عالمية عديدة في فرجينيا أيضا وولاية كولورادو حيث اجتمع أكثر من مائة عالم وعالمة من جميع أنحاء الدنيا حول القضايا العربية والإسلامية وتاريخ العرب والمسلمين المعاصر. وقد ساهم في هذا الملتقى في شرح قضية فلسطين وقدّم معلومات جديدة وبحوثا جديدة تتعلّق بالوطن «فلسطين» وأشقائنا الفلسطينيين في هذا الصدد ووضعها وشرح وسائل العلاج فيما وقعت فيه.

كما التأم في «نورفولك» ملتقى مهمّ شارك فيه علماء أمريكيون وآخرون من أستراليا وإنقلترا والمغرب مختصون بقضايا الإسلام المعاصر، وترأس العديد من ورشات العمل خاصة في الدفاع عن اللغة العربية وضرورة تعليمها بالولايات المتحدة الأمريكية وهو نوعية أخرى من الإشعاعات باعتباره يدعو إلى تعليم اللغة العربية في بلد كبير ومتقدّم في الحضارة كالولايات المتحدة الأمريكية. وقد نادى بضرورة تعليم العربية للاطلاع عن كثب على حقيقة القرآن والحديث النبوي

والمبادئ العليا التي يدعوان لها من تسامح ومحبّة وتعاون على البر.

و ممّا كان يثلج الصدر أنّه في العديد من المرّات كان يقع الإعلان عن محاضرته في لافتات ومعلّقات تزيّن بالعلمين التونسي والأمريكي، أي أنّ هناك ظاهرة جديدة عندما يلقي محاضرة تعلّق معلّقات في الكليات وفي مراكز نوادي الثقافة، وهي أنّه يعلق العلم التونسي بجانب العلم الأمريكي باعتبار أنّ المحاضرة ستلقى في الربوع الأمريكية وهذا عمل يقدّمه جليل.

ونفتخر بهذا العلَم والعالم والمحقّق والمفكر، وتفتخر به تونس.وهو يعّد من أكبر رجالات تونس الذين دافعوا عن المبادئ المتجذّرة في تونس الإسلام والعربية والتاريخ والحضارة والثقافة. فالدكتور أحمد الطويلي يعدّ من أكبر أعلام تونس في ميدان نشر العلم، فقد أشعّ عليها من الداخل والخارج، ولمثل هذا فليعمل العاملون، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل أعماله مقبولة عند الله سبحانه وتعالى ومكسوّة بالإخلاص وبالرضا من قبل المولى سبحانه وتعالى.

الفهارس

فهرس الأعلام

- آدم : 48، 65، 67، 70، 96، 122، 126
- آمنة : 58
- ابن أدهم : 35
- ابن حنبل : 34، 129
- ابن عفرا : 44، 101
- ابن عوف : 33، 45، 53، (ترجمته) 93
- ابن عيسى (صاحب (ترجمته) الطريقة العيسوية) : 58
- ابن ماجه : 35
- ابن مسعود : 43، 76
- ابن هند : 52
- ابليس (أبو مرة) : 71، 92، 116، 138
- أبو بكر : 32، 71، 92، 116، 136، 138
- أبو ثمامة : 44
- أبو جهل (مصفّر أسته) : 42، 55 76، 81، 101، 124 (ترجمته) 135، 137
- أبو حنيفة : 129
- أبو داود : 35
- أبو ذر : 44
- أبو زمعة البلوي : 33، 46، (ترجمته) 128
- أبو طالب : 61
- أبو مرّة : 137
- أسامة : 45
- إسماعيل : 120
- الأشعري : 35، 129
- أم حبيبة : 33، 93، 116
- أم عامر(أخت أبي بكر الصديق) : 44
- الأنصار : 71، 77
- أويس : 35
- أيوب : 106
- البخاري : 34
- بلال : 81 (ترجمته)، 94
- بنو سعد : 60، 89
- بنو عفرا : 76
- بهرام : 96
- الترمذي : 35
- ثمود : 81
- جعفر : 45
- جنيد : 35، 129 (ترجمته)
- جويرية : 94، 116
- الجيلي (عبد القادر) : 35،129 (ترجمته)
- حسّان بن ثابت 39
- الحسن والحسين (السبطان، الحسنان) : 33، 45، 62، 100، 103، 124، 138
- حفصة (أمّ المؤمنين) : 33، 93، (ترجمتها) 116
- حمّالة الحطب : 56
- حليمة السعدية : 89، 117، 121 126،
- حمزة بن عبد المطّلب (عمّ الرسول) : 55 (ترجمته) 69، 76، 77، 93، 102
- الحميراء : 116
- خارجة : 34

- خالد بن الوليد : 45
- خديجة بنت خويلد أمّ المؤمنين : 33، 86، 93، 100، 115، 116، 124
- الخضر : 34
- الخليل : 112
- الدمياطي : 139
- الذبيح : 112
- رابعة : 35
- رضوان : 56، 135
- رقية : 33
- الزبير : 33، 45، 53، 93
- الزهراء : انظر فاطمة
- زينب بنت محمّد ﷺ : 33
- زينب أمّ المؤمنين : 33، 93 (ترجمتها) 116
- زيد : 34
سام : 96، 98
- سبأ : 68، 96، 98
- سراقة : 96 (ترجمته) 136
- السري : 35
- سعد : 33، 45، 53، 93
- سعيد : 33، 34، 45، 53، 93
- سلمان : 34، 55 (ترجمته)، 137
- سودة أمّ المؤمنين : 33، 93 (ترجمتها) 116
- الشاذلي (أبو الحسن) : 35، 129
- الشافعي : 34، 129
- شيبة بن ربيعة : 72 (ترجمته) 76، 102
- شيث : 38
- الصديق (أبو بكر) : 53، 62
- صفية (أمّ المؤمنين) : 33، 72 (ترجمتها) 94 (ترجمتها) 116
- الصيد (الشاعر) : 46، 61، 63، 66، 83، 89، 99، 139
- طلحة : 33، 45، 53، 93 (ترجمتها)
- عائشة (أمّ المؤمنين) : 33، 93
- عاد : 81
- عامر : 33، 45، 53، 93
- العبّاس : 52، 72
- عبيد الله : 34
- عتبة بن ربيعة : 43، 72، 76، 101 (ترجمته)
- عثمان بن عفّان : 33، 44، 53، 62، 83، 93، 103، 116، 138
- عدنان : 48، 112، 135
- عروة : 34
- العزّى : 68
- عقبة بن نافع : 129 (ترجمته)
- عقيل : 45
- علي بن أبي طالب : 33، 45، 62، 69، 76، 81، 92، 93، 102، 103، 115، 116، 138
- عمر بن الخطّاب (الفاروق) : 33، 44، 53 (ترجمته) 56، 62، 103، 116، 138
- عمر وبن العاص : 103
- عمير : 83، 101
- عياض (القاضي صاحب الشفا) : 35، 129
- عيسى بن مريم : 117
غيلان : 133
- فاطمة الزهراء : 33، 53، 93، 100، 115، 116، 128، 138

- فاطمة بنت الخطّاب أخت الخليفة عمر : 56 (ترجمتها)
- فرعون : 135، 137
- الفضيل : 35
- قاسم : 34
- قتادة : 137
- قحطان : 112
- قريش : 81، 135
- قصي : 46، 131
- قيصر : 59
- كسرى : 61، 85، 96
- مالك بن أنس : 34، 129
- المجوس : 85
- مسلم : 35
- مضر : 48
- معروف (المتصوّف) : 35
- المهلهل : 86
- موسى بن عمران : 135
- ميسرة : 86
- ميمونة : 33، 94 (ترجمتها) 116
- نزار : 112
- النسائي : 35
- النعمان : 34
- نوح : 67
- هاشم بن عبد مناف : 40، 44، 103، 114
- هامان : 72
- هبل : 68
- هند : 33، 93 (ترجمتها) 116
- الوليد : 43
- يعقوب : 106
- اليهود : 61

فهرس المدن والمواقع

- أمّ القرى : انظر مكّة
- بدر : 33، 42، 46، 51، 71، 72 (التعريف) 75، 76، 101، 102، 136
- البطحاء : 71، 73 (وانظر مكّة)
- بغداد : 52، 99
- البقيع : 121
- تبوك : 46
- تهامة : 41
- ثور (الغار) : 42، 136
- جران : 101
- جيرون : 99
- الحجر : 34
- الحجون : 112
- الحطيم : 43، 46، 73، 98 (التعريف)
- حنين : 46
- خيبر : 68 (التعريف) 69، 72
- رضوى : 67
- الروحاء : 71 (التعريف)، 73
- زمزم : 98
- سامراء : 99
- ساوة : 61، 85 (التعريف)
- الشام : 58، 86، 98
- الصفا : 34، 52، 112
- طيبة : 34، 43، 71، 104، 114، 121، 126، 128
- العراق : 98
- العذيب : 106
- العقيق : 44
- عكاد (جبل) : 82 (التعريف)
- الغار : انظر ثور
- الغرب (تونس) : 105
- المحصّب : 121
- المقام : 43
- مكّة (أمّ القرى، البطحاء) : 34، 51، 68، 71، 72، 73، 77، 98، 103، 117، 126

فهرس الأشعار

بداية المقطع	القوافي	الرقم	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
لمغناكم السامي	النوائب	21	الطويل	10	107
نابنا الدهر	نابه	17	الخفيف	50	91
صلاة بلا عدّ	لحظة	31	الطويل	78	126
هذا ربيع المنى	المسرّات	23	البسيط	28	109
أنتم مرادي	فتأوي بي	20	البسيط	106	105
طال الرجا	واج	8	الكامل	24	63
دعوت لمولاك	جرحا	11	الطويل	47	71
خلّ المضاجع	بسهاد	14	الكامل	62	80
إذا لاح صبحا	الورد	22	الطويل	3	108
لربيع المنى	عدّه	25	الخفيف	28	112
طاب المنى	وانشد	30	الكامل	41	123
لك الحمد مولانا	الذكرى	1	الطويل	129	31
دع الفجر	الأمرا	12	الطويل	40	75
بدت عن سنًى	الزهرا	27	الطويل	28	115
عطّر الكون	بشرا	15	الخفيف	47	85
لاح شمسا	زهر	4	الرمل	110	48
بدا وجهه الوضّاح	نهاره	26	الطويل	9	114
له الرتبة القصيا	تحظى	7	الطويل	40	60
لك الحمد	الأوفى	24	الطويل	11	111
أتى للهدى	مستوفى	28	الطويل	30	117
جماله وضّاح	شائق	10	الطويل	63	67

بداة المقطع	القوافي	الرقم	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
وافى يردّد	متمسّكا	13	الكامل	24	78
قد صبا القلب	الجمالا	2	الخفيف	66	37
طالع السعد	وجلاّ	14	الخفيف	42	88
جلّت مكانته	رسولا	29	الكامل	45	120
إذا كنت ترجو	حلاّ	34	الطويل	154	139
بعز سطوة	القلم	9	البسيط	32	65
تيقّظْ صاح	انسيام	6	الوافر	34	57
أطلع السعد	علامة	3	الخفيف	124	41
لكمال حسنك	الأقوام	18	الكامل	64	95
أنت الإله	الإحسان	5	الكامل	31	55
دعاني الأماني	أمان	19	الطويل	91	99
تبدّى مشرقا	أسنى	32	الوافر	24	131
رجوت زماني	فأضناني	33	الطويل	95	133

الفهرس العام

- مقدمة 5
- محمد الصيد القيرواني 7
- في المديح النبوي 16
- الديوان 27
- ترجمة المحقق 147
- الفهارس 151
- فهرس الأعلام 153
- فهرس المدن والمواقع 156
- فهرس الأشعار 157

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية